١٩٥٢ / ١٩٦٤

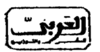
رسائل سجين سياسى
ى حبيبته



مصطفى طيبة

رسائل سجين سياسى إلى حبيبته

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلى
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

إليكِ

حبيبتى

هل تذكرين حديثك التليفونى معى فى اول يناير عام ١٩٦٥ ؟
انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد ٠

ــ الاستاذ ٠٠٠٠٠
ــ انا هو ٠
ــ متى خرجت من السجن ؟
ــ **٤ ابريل ١٩٦٤**
ــ كم سنة مكثت فى السجن ؟
ــ **١٢ سنة**
ــ سجن أو اعتقال
ــ **١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال**
ــ ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟ ٠
ــ من انت ؟
ــ صديقة ٠
ــ ما اسمك ؟
ــ وهل يهمك اسمى ؟
ــ ما دمت صديقة كما تقولين فيهمنى ان اعرف اسمك ٠
ــ وهل تعرف اسم كل صديقاتك واصدقائك ؟
ــ أظن ذلك والا أكون قد فقدت ذاكرتى ٠
ــ تواضع هذا ؟
ــ واين التواضع هنا ؟
ــ انت فارس الاربعينات ٠

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل أحداث الاربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية ٠

ــ لماذا توقف ارسالك ؟

وبدت رنة الغضب فى نبرات صوتى ٠

ــ هل تسخرين منى ؟

ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الأسف والاعتذار

ــ عفوا « آسفة » كنت امزح معك ٠

واستمرت رنة الغضب فى صوتى ٠

ــ هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا؟

وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية ٠

ــ كلا ، كلا

ـ ابدا · ابدا · ولكن لنـا بعض الملاحظات · ومن واجبكم ان تسمعوها·
ـ هل هي ملاحظـات أو أحكـام مسبقـة ؟
« ولم تردى الا بعد ثوان ـ ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
ـ معك حق هنـاك فـرق بين ملاحظات قـد تكون سليمة وقـد تكـون خاطئة ومن الضرورى أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة ·
« ومـرت لحظة عادت ذاكرتي خلالها الى الوراء ·· الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع في الستينات ·· ثـم جـاء صوتك يحمل رنة الصدق »
ـ أرجو ان لا أكون قـد لمست جانبـا مـن مسيرتكم يثيـر حساسية خاصـة عندكم ·
ـ أبـدا · أبـدا · من رأيي أن هـذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفـوه يا جيـل الستينات ·
ـ ولماذا لا تكتبيـه ؟
ـ اخشى أن لا التزم بالموضوعية التـامة ·
ـ حـاول ·
ـ حاولت مـرات وفشلت ·
ـ ولمـاذا ؟
ـ لانني فـرد ، جـزء من ظاهرة كبيـرة ومعقـدة ·
ـ لكنك لست مجـرد فـرد ·· كنت أحد البارزين من قادة المسيرة ·
ـ هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عنـد محاولتي الكتابة في هـذا الموضوع ·
ـ مـا العمل اذن ؟
ـ اكتبي انت :
ـ وهل أملك قـدرة الكتـابة في مثل هذا الموضوع ؟
ـ نعم تملكين ·
« وجـاء صوتك يحمل الدهشـة كل الدهشة »
ـ انا لا املك الا خبرة صغيـرة ·
ـ الا تملكين الايمـان بالشعب ؟
ـ كل الايمان · ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره ·
ـ ابحثي عنهـا وستجدينهـا ·
ـ أيـن ؟
ـ عند الذين اشتركوا في صنع المسيرة ·
ـ ولكنهم مختلفـون ·
ـ الأموات فقط هم الذين لا يختلفون ··
ـ كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور ·
ـ ابحثي عن أسباب ذلك ·

ـ أيــن ؟
ـ فى كل ما يمولونه ويفعلونه ٠
ـ سيكون مجـرد تسجيل ٠
ـ سجلى أولا ثـم بعد ذلك يجىء دور التحليل ٠
ـ لا أملك القـدرة على التحليل ٠
ـ لا تفكـرى فى ذلك الآن ٠ هيــا ابـدئى وستجدين معك آخـــرين يســاعدونك ٠
ـ هل تعـدنى أن تكون أحـد الذين يساعدوننى ؟
ـ ليس وعـدا ٠ بل التزامــا ٠
ـ موافقــة ٠ ولكن بشرط ٠
ـ ما هو الشرط ؟
ـ ان تكتب ذكرياتك خـلال ١٢ سنة سجن ٠
ـ موافق ٠
ـ ومتى تبـــدأ ؟
ـ حين أجـد نفسى فى ظـروف تساعدنى على الكتابة ٠
ـ وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
ـ نعـــم ٠
ـ ما هـو ؟
ـ ابحث عن شىء صــادق ٠
ـ هل انت متشائم ؟
ـ بل فى غــاية التفــاؤل ٠
ـ لســت أفهم ٠
ـ لا تتعجلى ٠٠ غـدا تفهمين ٠
ـ هل تساعدنى على الفهم ؟
ـ أعـدك ولكن بشرط ٠
ـ ما هـو ؟
ـ ان تبـدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات ٠٠
ـ سأبـدأ بالبحث عن فرسانها ٠
ـ أو لست أنا أحد فرسانها ٠٠ كمــا تقولين ؟
ـ نعم ٠٠ ومن فرسانها البارزين ٠
ـ اذن نلتقى ٠٠
ـ كل لقــاء لـــه شروط
ـ وما هى شروطك ؟
ـ ليست شروطى ولكنهــا شروط الحيــاة ٠

« وساد الصمت لحظـة دار خلالها بيننا حـوار صامت لكنــه ، كـــان اعمق من كل حوارنا الســابق المسموع »

ومنــذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كى اكتب ، وفشلت خ
كنت لا اعــرف لمــاذا ظللت اعلق نجاحى فى الكتــابة على لقــائ
فرحت أبحث عنك عنــد كثيــرات ولم اجــدك • لم أجــد الصورة التى
خــلال حديثك التليفونى معى وبعــده • ومضت الســنوات تجـ
السنوات وكاننى أسـير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت •
اننى كنت **أبحث عن لحظــة صــدق هى أشـبه بالسراب فى عــالم
بالزيف والنفــاق •**

ورغم أن هذه اللحظــه قــد أعــادت الى الثقــة فى قــدرتى على
ومنحتنى الشجاعة كى اكتب كل ما اعــرفه عن الحقيقة ، فاننى لم
غيــر جــزء منها لأســباب موضوعيــة لم تكن مطــروحة منــذ ١٢
يــوم وعدتك ياحبيبتى بأن أكتب •

ولقــد حاولت كل جهــدى أن اتجنب مــا يمكن أن يلوى البعض
ليضعــه فى خدمــة القــوى المشبوهة ، وفى نفس الوقت كنت مو
قــدر استطاعتى ــ عندما تعرضت لعــدد مــن المواقف السياسية ،
لبعض قيادات « التنظيمات » •• فاعفــرى لقلمى حين تناولهــا
بسخرية مريرة •• ولا ترفضى اجتهــاده عندمــا طرح تســاؤلات
القضايا النظــرية • واحسب أنه قــد آن الآوان كى تعرف الأجيا
حقائق فتــرة خصبة فى تاريخ مصر •

الرسالة رقم ١

حبيبتى

اللحظة الصادقة التى بحثت عنها **١٢ سنة ، أعيشها اليوم بكل** كيانى · ومن هذه اللحظة أستمد الثقة فى قدرتى (على الكتابة)

وأبدأ بيوم خروجى من السجن فى ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين **يوم ٤ أبريل ١٩٦٤** نقلتنا السيارات من سجن «**المحاريق** » القابع فى قلب الصحراء **بالواحات الخارجة** الى أسيوط ، ومنها بالقطار الى محطة تكنات الجيش بالعباسية· لن أحك كيف تم « شحننا » ·· وأحسب ان **طريقة** « شحن » الحيوانات أفضل بكثير من الطريقة التى « شحنا بها » · ولم تكن هذه هى مشكلتنا فنحن على أى حال فى طريقنا الى « الحرية » · فبل ذلك حين كانوا « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعامله اللاانسانية أملا فى ان نجد معاملة أكثر انسانية فى السجن « المشحونين » اليه · لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هى مشكلة حياتنا فى ظل «الحرية» كنا أكثر من ٧٠ شخصا · فى طريقنا الى الحياة التى غبنا عنها سنوات طويلة وصلت الى **١٢ سنة** بالنسبة للبعض ولم تقل عن **٥ سنوات** للبعض الآخر · وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها كلها تصب فى مشكلة واحده هى « لقمة العيش » · فالجميع ، عمالا ، وفلاحين وطلبة ، ومثقفين وأساتذه جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم منذ سنوات · والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه الاجتماعى . وقتا طال أو قصر ، غير أنه بالتأكيد سيجد « لقمة العيش » والبعض ـ بحكم وضعه الاجتماعى ، لن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما معدودة تحددها قدرات عائلاتهم المالية المحدودة · بعدها ستكون لقمة عيشهم صعبة وعسيرة · وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان الذى سيقضى فيه أياما معدودة يبحث خلالها عن أحد من أهله أو أقاربه فقط كى ياويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التى لايدرى متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا فى شكل أبشع أنواع الاستغلال · هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » ·

راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذى استغرقته رحلة السيارات

من سجن المحاريق الى اسيوط • وجـاءت « الفكـرة » بعد ركوبنـا القطـار المتجـه الى القاهـرة • وفى **محطة العباسية وضع الجميع أمـام « المحنـة » !**
ارتفع صـوت الضابط قائـد الحرس يقـول :
ـ اللى بيتـه فى القاهرة وضواحيها يركب العربيـة دى ، ودى • واللى بيتـه فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى •
ركب الجميع عـدا ثلاثـة زمـلاء لم يركبوا السيارات • سالهم الضابط ، عن سبب عـدم ركوبهم • لـم يجب أحـد منهم • ذهبت الى الضابط وهمست فى أذنـــه :
ـ الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة فى مصر كلهـا •
قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :
ـ ما العمل ؟ ليس أمامى الا أن **أسلمهم لسجن الاستئناف** حتى يعثـروا على محـال اقامتهم •
ـ صبـرا •• سنجد حـلا •
وانتظـر الرجل والدمعـة تكـاد تقفز مـن عينـه • والجميع ينتظـرون تحـرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عـدم تحركهـا ، ولا سبب عـدم ركـوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيـد تقـريبا الذى لـم يفاجـأ بهـذا الوضع • ربمـا لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مـدى **١٢ عامـا** لم تكن مجـرد صلة سياسية وانمـا كانت صلة انسـانية فـى معظمها ، مئـات المشـاكل التى واجهت مئـات المسـجونين والمعتقلين كـان لا يعـرفها أحـد غيـرى • ساهمت فى حـل بعضهـا بمـا يتفق مع الظـروف العـامة والخاصـة ، لكن البعض الآخـر كـان مستعصيـا على الحـل ، منهـا هـذه المشكلة • ناديت على أحد الزمـلاء المقتدرين وطلبت منـه أن يجـد للزمـلاء محـلا لسكنهم حتى يدبـروا أمـر اقامتهم • وركب الزمــلاء الثلاثـة سـيارة الذين يعيشـون فى القاهرة ! أمـا كيف عاشـوا هـم والآخـرين •• فتلك قصـة سـاحكيهـا لـك فى رسـالة أخـرى • عندما أكتب عن **١٢ سـنة** بعـد خروجى من السجن •
تحركت السيارات وكنت فى احـدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهـة السيارات هى العنـاوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجـه الى أقسـام بوليس أحيـاء العاصمة حيث يتـم اجـراءات الافـراج بعـد التاكد من محل السكن لتنفيذ باقى العقـوبة ! نعـم يا حبيبتى **باقـى العقـوبة** ، وهى « **المراقبـة** » • انا مثـلا كـان الحـكم الذى صدر ضـدى **هو ١٠ سـنوات أشغال شـاقة ، و ٥ سنوات مراقبـة** ـ طبعـا السنتين الزيادة كانوا اعتقال ـ وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العـرض واللص **٩ شهور** فقط وفقـا للائحـة السـجون ، **امـا** بالنسبة لسـجون الـرأى فهى **١٢ شـهرا** بالتمـام والكمـال ، **فقـد**

تنبهوا فى عـام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الرأى أخطر من أعتى المجـرمين. فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا اننى قضيت فى السجن ١٢٠ شهـرا بـدلا من ٩٠ شهرا ثـم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى ٢٤ شهـرا أخـرى ، فيكون المجموع ١٤٤ شهـرا وكـان يمكن ان يمـد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار الرئيس الراحل عبـد الناصر بالافـراج عنـا ٠ والافراج لم يكن يعنى أسقاط العقـوبة وبالتالى كان على ان أنفـذ بقيـة العقـوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غـروب الشمس حتى شروقها ٠ والمراقب معه دفتـر يوقع عليـه شرطى بما يثبت وجـود المسجون فى بيته ٠ وطبعا من حق هذا الشرطى ـ حرصا على أمن الدولة ـ أن يوقظ « المراقب » فى أى وقت من الليل ليتأكـد مـن وجـوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتـى حـالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فـى عـز الليل ليوقظـه ويجبـره على النزول الى حيث ينتظـره الشرطى علـى البـاب الخارجى للمنزل ليوقع لـه على الدفتـر مـرّة ثانيـة وربما ثالثـة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقـوبة الهرب من حكم المراقبـة ؟ السجن مـرة أخـرى وقـد يصل الى الحـكم بقضـاء مـدة المراقبـة فى السجن ! ولقـد حاولوا هـذا معى بعـد خروجى من السجن باسبوع واحـد حين جـاء زوار الفجـر ليقبضـوا على بتهمه الهـرب مـن المراقبـة الليليـة ٠ فـى تلك الليلـة لـم يات الشرطى كالمعتـاد فى كل ليلة ٠ ولما وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبيته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسـم ويثبتوا فى محضر اننـى موجود فى المنـزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتـر ٠ وكان هذا المحضر هو السند القـانونى الـذى استند اليـه المحامى الذى تطـوع للدفاع عنى عنـد محاكمتى وأفـرج عنى القاضى ولكن بعـد أن قضيت ٤ أيـام فى سجن الاستئناف وتسمى « التخشيبة » وكانت أفضـل على أى حـال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخـرى ٠

وقـد اعتـرف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لقضاء السنوات الخمس ! ثـم اعتـرف لى بعـد ذلك أنـهم حاولوا مـرة أخـرى معى ومع عـدد من الزمـلاء تلفيق تهمـة الهـرب مـن المراقبة لولا صدور قرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقـوبة عن كل الشيوعيين الذين أفـرج عنهم ٠ اذكـر اننى فـى اليوم نفسه الذى صـدر فيـه هـذا القـرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهـرة سيرا علـى الأقـدام طـول الليل ٠ وكانت هذه أول مـرة أرى فيهـا ليل القاهرة بعـد اثنـى عشر عامـا ونصف !

أعـود بك الى ٤ ابريل ١٩٦٤ ، يـوم خروجى من السجن وعودتى اليـه مـرة أخـرى فى اليـوم نفسـه ٠

قلت لك انني ركبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعونى مع عدد من الزملاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعد حوالى ٦ سنوات اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصال فهى لم تعد تحتمل مطاردتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل انني فى السنوات الأخيرة وطدت نفسى على انني ساقضى ما بقى من عمرى فى السجن • وبالطبع استبعدت الذهاب الى منزلى السابق • لم يبق أمامى غير ثلاثة أمكنة فى القاهرة• الأول فى شبرا حيث يسكن أحد أخوتى الكبار •• لكنه قاطعنى تماما منذ أكثر من ٨ سنوات خوفا على عمله وعلى بيته ، فانقطع تماما عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبر منى أيضا ــ رحمه الله ــ كان يسكن فى طره بجوار السجن الذى قضيت فيه ٤ سنوات ولم يفكر أبدا فى زيارتى منذ قبض على ــ ولم يبق أمامى غير منزل أخى الصغير ــ رحمه الله ــ كان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضا ثم آثر السلامة بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٥ لكنه تزوج وأنجب طفلة خلال وجودى فى السجن ، ولا أعرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكير أكثر وارسال من يتحسس الموقف عند الاخوة الثلاثة • ولما طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقوله :

ــ لا استطيع ان اتحمل بقاءك هنا حتى الصباح •

قلت له مشكلتى •• وتأثر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فى مكتبه حتى الصباح • كان شابا له صلة بالسياسة واهتماما بها • وبينما نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغر مسعد « رحمه الله » امامنا فى المكتب • لقد راح منذ الصباح يسأل عنى فى أقسام الشرطة حتى عرف من بعض الزملاء انني هنا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقاء الانسانى بعد أكثر من ٨ سنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقل عن ١٢ جنيها أجور مواصلات فقط • يضاف اليها مصاريف المبيت فى أسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قال :

ــ صدفة عظيمة جدا •

ــ ما هى ؟

قال ــ رحمه الله ــ والدموع تسيل من عينه :

ــ اليوم ٤ أبريل عيد ميلاد ابنتى وذكرى زواجنا •

ــ كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد ! حقا لما ينسعد الفقى تيجى له عشوتين فى ليلة واحدة •

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق ٠ وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم **مصر الجديدة** لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » ٠ الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكسى ٠ خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، أبى الذى مات فى أحد الملاجىء !!

تصورى مات فى ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى ولكن مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابريل ١٩٦٢ - تاريخ انتهاء العشرة سنوات - ولما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء ٠ و ٠ و ٠ و تجسدت امامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل ٠ وشعرت فجأة بصداع شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاى فى مكتب الضابط النوبتجى **بقسم مصر الجديدة** ٠ بعد أن هنأنى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لأن الموظف المختص غير موجود ٠ لم أعلق ٠ لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته ٠ وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس ٠ والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى ٠ وطبعا قبلنا الشرطين وشكرناه ٠

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

- ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة ،

- وما رأيك انت ؟

- انها لم تنسك لحظة واحدة

- وأولادها كيف حالهم ؟

- الابن فى كلية الطب ، والبنت موظفة ٠

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شىء وقع منى ٠ ولما استأنفت السير ظللت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها ٠ قال :

- هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع منى جوابا ، وانما سمع بكائى المتشنج · لم أعرف لحظتهـــا لماذا بكيت كالأطفال · بعـد اقل من نصف ساعة قضيتها فى جـو غـريب عنـى ، جـو لم اعـرفه منـذ شبابى المبكـــر ، شعرت وكأننى لا انتمى الى هذا العــالم · **وحلمت بالسجن مـرة أخـرى !** بل ان نفسى لـم تهـدأ الا بعد أن عـدت مـرة أخـرى الى سجن **قسم مصر الجديدة** · هل تصدقين ؟ هذا ما حـدث ·· أحكيــه لك فى الرســالة المقبلة يا حبيبتى ·

٥ ينــاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٢

حبيبتي

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » في اذني وانا ما زلت عند باب العمارة . أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفي كل مرة كان الشرطي يمسك بذراعي .. كي لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من اخي أن يعفيني من حضور هذه الحفلة . لم يجب .. واحتواني بين ذراعيه وأخذ يقبلني ، وجاء صوت نسائي لينتزعني من هذه اللحظة الانسانية .

ـ أهلا وسهلا .. حمد الله على السلامة .

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخي » . حدثني عنها كثيرا في خطاباته القليلة الى في السجن . هذه الابتسامة التي تملأ وجهها لم تبدد احساسي ببرودة صوتها وهي تحييني ولا برودة يدها وهي تسلم على . معذورة . عليها أن تقوم بالواجب ارضاء لزوجها . لكن اخي حدثها عني كثيرا ...

هكذا كتب الى في خطاباته ! . أغلب الظن انها لم تفهم شيئا مما قاله. سكتت الموسيقى فجأة واتجهت كل أنظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب . **احد المدعوين يتأبط ذراعه شرطي** . منظر يستحق الفرجة . همس يدور ، وزوجة أخي تتركني لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية . هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن . لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف .. وارتفعت أصوات :

ـ حمد الله على السلامة .

ـ أهلا وسهلا .

وعادت الموسيقى تصدح مرة أخرى . الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص . والذين لم يعرفوها بعد يتهامسون قلبلا مع زوجة أخي ثم يعودون الى الرقص . وراح المصور يلتقط لي صورا كثيرة .. على باب الشقة . وبين المدعوين واثناء جلوسي . وكان الشرطي الحارس حريص على ان يظهر معي في الصورة وهو يتأبط ذراعي . انا لا احب الأضواء لا كما يقولون في الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لي صورا عديدة من كل الجهات ، . وفي كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة .. يوم قبضوا على .. وعند نقلي من سجن الى آخر .. وما أكثر السجون التي تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالعشرات .. لتوزع على جميع **اقسام بوليس المملكة المصرية**

ثـم ـ جمهورية مصر ـ ثـم الجمهورية العـربية المتحـدة ـ ! فيـوم دخلت السجن يا حبيبتى كانت مصر ما زالت « مملكـة » ·· ومكثت به ١٢ عـاما وهى « جمهورية مصرية » ثـم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامى ·· لأول مـرة منـذ غـادرت قسـم السيدة زينب مـرورا بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولى المنزل ، لم تترك يـد الشرطى اليمنى يـدى اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساوندويتش يتحسسنى ليطمئن على وجود وديعتـه ! رغم اننى استحق الشفقـة فقـد اشفقت حقيقة على اخـى مسعد · كـان المسكين يجلس الى جانبى لحظـة يرحب بى ويعزم على بالأكل ثـم يذهب الى مدعـويه وهكذا ·

« مـالى انا وهذا العالم » · ١٢٠ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما أبيض لم تسمع صـوت أمـرأة · لـم تلمس يـداك يـد امـرأة · عينـاك لم تر غير لون الزنزانة الأصفـر ·· ولون الصحراء ·· الأصفر · واذناك لم تســمع سوى أصوات « بروجى » حرس السجن ـ والسلاسل التى يقيدونك بها·· تسمع صوتهـا فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من المـوت الى الحيـاة ·· وأى حياة ؟ » كـاد رأسى ينفجر ·· هاجمنى الصـداع ·· صرخت ··

ـ أسـبرين ··

توقفت الموسيقى وعـادت بسرعة بعـد أن تناولت الأسبرين من فتـاة كانت تجلس الى جانبى طـول الوقت ·· كـانت صامتـة ولكن نظـراتها ودودة ·· وابتساماتها حلـوة ·

« هذه الفتـاة من تكـون ؟ ربمـا ابنـة أخى الكبيـر · ان له ولد وبنتين· يوم دخلت السجن كـان أحمد فى الثانوية العامة · وكانت آمال فى الاعـدادية وأميـرة فى الابتدائيـة ! أغلب الظن أنهـا آمال · هل أسالها ؟ لا داعى · لكن هى بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتى الآخرين ، وهى أيضا ليست ديدى بنت أختى ـ الله يرحمها ـ فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لايقل عمـرها عن ٢٢ عامـا · ربمـا تكون « تيتى » بنت زوجتى السـابقة ·· يا سيدى لا تتعجل الأمـور · بكـرة تعـرف كل حاجة »

رأسى يتثاقل ·· أشعر برغبـة شديدة فى النـوم فقـد انهـد جسـدى تماما ·· ورحت فى اغفائه ·· وحلمت ·· نعـم حلمت ·

مازلت اذكـر كل تفاصيل هذا الحلم البعيـد · سأحكيه لك يا حبيبتى بالتفصيل · الفتـاة التى كانت تجلس الى جانبى تقـول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقهـا ·

ـ أنا لست قريبتك يا اسـتاذ ···

ـ عفـوا ·· وهل سـألتك ؟

ـ تعبيرات وجهك كانت تسأل

ـ تقرئين افكـــارى ؟
ـ اقرأها ٠٠ وأومن بالعـام منهـا ٠
ـ لا زلت صغيـرة ؟
ـ وأنت ٠٠ ألم تبـدأ فى مثل عمـرى ؟
ـ يبـدو انك تعرفين عنى الكثيـر ؟
ـ لست وحـدى ٠٠ كثيرون يعرفون ٠
ـ كيف ومتـى ؟
ـ كمـا عرفت أنت الذين سبقوك ؟
ـ عرفناهم من الكتب والصحف ٠
ـ ونحن كذلك ٠٠ ولكـن ازيـد عليك ٠٠ فأنـا اعـرفك شخصيا ٠
ـ شخصيا ! انت فى عمـر ابنتـى لو كان لى بنتـا ٠
ـ كنـا جيرانك حين أتـوا للقبض عليك
ـ اذن كان يجب ان اعـرفك ٠
تسكت الفتـاة لحظـة ثـم تقـول :
ـ كنت طفلة ٠٠ وكـان عمرى ٨ ســنوات ٠٠ وكـانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ٠٠
ـ لم تنسك لحظـة واحـدة ٠٠
وأصرخ قائـلا وبضحكة هيستيرية
ـ لم تنسنى لحظـة ٠٠ سيدى يا سيدى ٠
تأخذنى الفتـاة بين ذراعيها ٠٠ تهدهدنى كالطفل وتقـول :
ـ انها تحبك ٠٠ صدقنى ٠
أصرخ مـرة أخـرى وأقـول ٠
لكنهـا قتلت ابنـى ٠٠ أسقطته وهو جنين ٠٠ كان عمره الآن ١٣ ســنة ٠
ـ أدركت خطأها ! ٠ وهى تريـد طفـلا منك ٠
ـ بعدها ٠٠ تصرف نظـر ٠
وتعود الفتـاة الى هدهدتى كطفل رضيع :
ـ انهـا تنتظـرك ٠٠ صدقنى انها تحبك ٠
ـ انا لا احبها ولم أحبهـا فى حياتى ٠٠ لن ترانى ابدا ٠٠ ابدا ٠
ـ لمـاذا تزوجتهـا اذن ؟
كـان من الضرورى ان استيقظ من النـوم ٠ فهذا السؤال لن أجـد لـه جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق يشدنى ٠
ـ فيـه حـد ينـام ليلة الافـراج عنـه ؟
أخذنى عبد السلام هاشم وهو الأخ الأصغر لصلاح هاشم زميل الدراسـة وزميل السجن ٠ تركتـه فى سجن المحاريق فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم ينهـوا مـدة العقـوبة مثلى ٠ حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سـنوات

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو فى السجن ! وتهمته أنه قاد مظاهرة من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة •• كان غيره كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وانا ما زلت فى حالة نوم

ـ والله كبرت يا عبد السلام •

ـ ومخى كبر كمان •• مالك ؟

ـ قرفان تعالى ننزل •

ـ نروح فين ؟

ـ نقعد على قهوة •• عاوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت باننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة أخرى •

احكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتى

مازلنا فى يوم ٤ **ابريل ١٩٦٤** ـ يوم الافراج عنى ٠

عدت الى سجن « التخشيبة » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن « ساعتين » قضيتها فى حفلة عيد ميلاد بنت أخى ثم أحد المقاهى الشعبية٠

ما ان وطأت قدماى أرض « التخشبية » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !

تصورى يا حبيبتى ٠٠ أحسست بالأمان مع اللصوص والنصابين والقوادين ٠٠ الصغار طبعا ٠٠ فالكبار لا يأتون هنا ٠٠ ومع المتسولين والمشردين و ٠ و ٠

الأمان داخل « حجرة » أرضها مكسوة « **بالزفت** » وخليط من « **بصاق** » النزلاء وبولهم ٠٠ وبرازهم ٠٠ فهى للنوم ٠٠ و « لقضاء الحاجة » فى نفس الوقت ! وجدران « التخشيبة » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم الحشرات ٠ فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون أن تحدث « خناقة » بين النزلاء تستخدم فيها الأمواس والمطاوى ٠ كما لا يمكن أن يعيش « الانسان » لحظة واحدة فى هذه « التخشيبة » دون ان ـ يقتل مئات من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسان فى امتصاص دم أخيه « الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبة » ؟

ربما لأن البشر يكدسون بها كما يكدس الخشب فى المخازن !

هذا هو الأرجح ٠٠ فقد رحت أبحث عن مساحة اقف عليها داخل هذه « التخشيبة » ٠

ـ اتفضل يا بيه هنا ٠٠

ـ لا ياأبيه تعالى هنا ٠٠

وكادت تحدث خناقة تستخدم فيها كالعادة الأمواس والمطاوى لولا تدخل « المعلم »٠

ـ بس يا واد انت وهوه ٠٠ سيب « الايراد » ده ليه ٠٠ اتفضل هنا يابيه ، واشار الى مكان بجانبه ٠

ـ الف شكر يا معلم ٠

ـ جاى فى أيه يا بيه ؟

نظرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم الباركر أيضا لم أجده لم أجب ٠٠ وضعت الاكل الذى كان فى يدى على الارض ٠

ــ اتفضلوا يا رجالة ٠

ما كاد الرجال يهجمون على الاكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

ــ اسنني باواد أنت وهوه ٠٠

تراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم ٠

ــ ياولاد « الكلب » بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول ٠ اسمع يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع ذلك تعزم علينا بالاكل الحلو ده ٠٠ يا واد يا عبده هات حاجات البيه ٠٠ يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

ــ اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة ٠ فيها خمسة جنيه أهم ٠

ــ متشكر قوى ٠٠ اتفضلوا ٠٠

ــ متشكرين يا بيه ٠٠ دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح ٠

« لم ينسوا القيم الشعبية ٠٠ أكل العيش والملح يعنى الأمان ٠٠ أن لا تخن من أكلت معه ٠٠ اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى السرقة من أجل أن يعيشوا ٠ لكن اللصوص الكبار ٠٠ نجوم المجتمع ٠٠ غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة ٠٠ خيانة الناس ٠٠ وخيانة الوطن »

واستمرت جلستنا حتى الصباح ٠٠ يسألون واجيب على أسئلتهم ٠٠ نظراتهم تفيض مودة وحبا ٠

قال أحدهم :

ــ يا بيه أنت صحيح بنى آدم ٠٠

قلت ضاحكا ٠٠

ــ ٠٠ هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

ــ لا يابيه ٠٠ فيه ناس ولاد الشيطان ٠٠ بيعاملونا زى الكلاب ٠

ــ الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان ٠٠ انما هى حكاية الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وباسلوب بسيط عن استغلال الانسان لأخيه الانسان ٠٠ كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على الاستغلال » ٠

ويسأل أحدهم :

ــ والاشتراكية دى يا بيه تدينا الفرصة انّنا نعيش زى البنى آدمين ؟

ــ طبعا ٠٠ الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

ــ زى ما عبد الناصر بيقول ؟

ــ تقريبا ٠٠

تعرفين يا حبيبتى اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو باسبوع واحد ٠٠ ولم أشهدها الا فى **٤ ابريل ١٩٦٤** ٠٠ ولكن كـان لى موقف مختلف تمامـا عن مواقف زملائـى حين كانوا خارج الأسـوار وكان مختلفـا أيضـا عندمـا قبض عليهم فى **ينـاير ١٩٥٩** ٠٠ وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلى المقبلة ٠

١٠ ينـاير ١٩٧٧
بغـــداد

الرسـالة رقـم ٤

حبيبتـى

طلع على صباح **يـوم ٥ ابريل** وأنا مستغرق فى حديث منـذ العـاشرة مسـاء اليـوم السـابق مع نزلاء « تخشيبة » **قسـم شرطة مصر الجديدة** ٠ ولقـد عرفت « **التخشيبة** » مرتين ، كانت المـرة الأولى فى « **تخشيبة** » **قسم شرطة الوايلى** يـوم قبض على **أحمد حلمى** رئيس المباحث العـامة « البوليس السياسى سـابقاً » **فى ١٨ يوليـو ١٩٥٢** ، فقـد أودعنى هنـاك لحسـابه حتى انتقل الى **سجن مصر** لحسـاب النيـابة العامة ٠ فى ذلك اليوم حـذر **أحمـد حلمى** مأمور القسـم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفـة انفـرادية ! ٠ وأحتـار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسـم غير غرفة للرجال وأخـرى للنساء ، فاين يضعنى ؟ واخيرا وجـد الحل ٠٠ غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعـد عن غـرفة الرجـال ٠٠ فوضعنى فى طـرقة صغيرة تطل على غـرفة النسـاء ٠٠ ولكن ظلت مشكلة هى أنـه يمكن الحديث مع النساء المسجونات مـن شباك واسع لغرفتهن ٠٠٠ ولم يكن أمامـه من حل خوفـا على المرأتين سوى أن ينبهما الـى خطورتـى ٠ وبعـد أن أغلق بنفسـه باب غـرفة النسـاء ٠٠ وتأكـد مـن اغلاق بـاب الطـرقة ٠٠ وبعـد اعطـاء التعليمـات المشـددة للحراس بأن لا يتصل بـى أحـد والتنبيـه الى أى حـديث يجـرى بينـى وبين المرأتين ٠٠ أنصرف مطمئنـا !

ويبـدو ان تلك الاجـراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المـرأتين فبعـد دقائق قالت أحداهن :

ـ أيه الحكاية يا بيـه ٠٠ أنت جاى فى أيـه ٠٠ أنا عمرى ما شفت كده ٠

ـ وانتى بتيجى هنـا كثيـر ؟

ـ مـرة كل أسبوع ٠٠ مرتين ٠٠ حسب الأحوال ٠

« لـم أفهم ما تقصـده ٠٠ فلم أرد عليهـا ٠٠ فقالت بغضب »

ـ أيه يا فندى ما بتردش على ليـه ٠٠ مش قـد المقـام والا أيه ؟

وتدخلت المرأة الأخـرى ٠

ـ يا أختى ٠٠ حيلك على البيه شوية ٠٠ ده باين ابن ناس ومش فاهم ٠

قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :

ـ الحقيقة مش فاهم ٠

قالت نفس المــرأة :

ـ مش باقول ـــ والنبى ده ابن ناس ٠٠ شوفى ضحكته يا روحى عليـــه

قالت الأولى :

ـ آه والنبى ٠٠ ضحكته حلوة ٠٠ يحميك لشبابك ٠

ـ الله يخليكى ٠٠ لكن ٠٠ بتيجى هنـــا كثير ليـــه ؟

ـ لمـــا تتسحط وما اقدرش أدفع المعلوم

« ويبدو أن وجهى لم يستطع اخفـــاء الاحساس بالألم والاشمئزاز » ٠

قلت :

ـ أيه ابدا ما فيش حاجـــة ٠

قالت بغضب :

ـ أيه يعنى أحنا ولاد ناس برضه ٠٠ بس الزمان اللى حكم علينـــا ٠٠ ولقمـــة العيش مــــرة ٠

« لقـــد حسبت المسكينة اننى احتقرتها ٠٠ كمـــا يحتقرها حتى أولئك الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

ـ وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط ٠٠ انا زعلان علشانك !

وتدخلت المــرأة الثانيـــة

ـ والنبى ماليكى حق يا ستيه ٠٠ شوفى صوته فيه حنية قد أيه !

قـــالت الأولـــى :

ـ متأسفة يا بيـــه والنبى أنت طيب وباين عليك خام قـــوى ٠

« عرفت لأول مـــرة انهـــا اذا نادتنى بيا بيـــه تكون راضية عنى واذا قالت يا افنـــدى يكون ذلك تعبيـــرا عن غضبها ٠٠ قلت :

ـ لا أبـــدأ مفيش داعى للأسف ٠٠ أنتو مظلومين ٠

قالت الأولـــى :

ـ أول مـــرة فى حياتى حـــد يقول لى أنتى مظلومة ٠

قالت الثانية :

ـ والنبى ده خـــام قوى ٠٠ أنت يا بيـــه جاى فى أيه ٠

ـ جاى فى قضية سياسية ٠

ـ يعنى أيه يا بيـــه ٠٠ عملت أيـــه ؟

ـ بنطالب بأن الناس تعيش كويس ٠٠

ـ طيب واللى يطالب بكـــده يحبسوه ؟

ـ طبعـــا لأنهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ٠٠

قالت المــرأة الثانيـــة

ـ يعنى البيـــه عاوز يخلـــى كل الناس كويسين ؟

قالت الأولى :

ـ صحيح يا بيـــــه ؟

قلت :
ــ كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حــد
قالت الأولى .
ــ الله يحميك لشبابك أنت واللى زيك يا أخويا ٠٠
وقالت الثانيــة :
ــ الله ينصرك انت وزمايلك يا حبيبى ٠٠
« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة ٠٠ سمعتها كثيرا من زوجتى السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة ٠٠ هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل ينفعلون كما انفعلت ٠٠ بالقطع لا ٠٠ وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا ٠٠ كان انفعالا انسانيا خالصا »
وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتى وتأملاتى :
ــ شوفى يا سنية ٠٠ وشه زى الملاك ٠٠ والنبى ده بنى آدم ٠
« رغم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لمسة صادقة تعود اليها انسانيتها المهدرة ٠٠ » ٠
كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا ٠٠ ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الأولى :
ــ الايراد وصل ٠٠
وقالت الثانيــة :
ــ الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟
فتح الباب ٠٠ وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب ٠٠ زج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم ٠٠ وبعد ان اغلق الباب عليهن ٠٠ تنبه الضابط الى وجودى ٠٠ سأل بغضب ٠
ــ انت أيه ٠٠ وأيه جابك هنا ؟
قلت بسخرية :
ــ انا زى ما انت شايف ٠٠ واللى جابنى هنا المامور ٠
ــ ليه ما دخلتش حجرة الرجالة ٠
ــ والله تسأل المامور فى الحكاية دى ٠٠ يظهر انه مش حريص قوى على حماية الآداب !
قال بغضب :
ــ انت بتهزر ٠٠ انت جاى فى أيه ؟
ــ أسأل البكباشى أحمد حلمى رئيس البوليس السياسى ٠
« وما كاد الرجل يسمع اسم أحمد حلمى حتى ظهر على وجهه الرعب ٠٠

فأسرع بغلق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبه عليه بأن يمنعنى من أى كلام مع النساء ٠

بعد انصرافه ٠٠ قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

ــ طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات ٠٠ طيب وليه هو راح يقول لهم أيه يعنى ٠٠ ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم ٠٠ انا مش فاهم ٠

ناديت على الشرطى وقلت له :

ــ افهمك انا ٠٠

ــ الله يسترك فهمنى انا عقلى راح بطير ٠٠ الظابط النوبتجى قال خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات ٠٠ والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن ٠٠ وأنا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو ٠٠ كلامك حلو ٠٠ ما فيهش ابدا لا مؤاخذة ٠٠ قلة أدب ٠٠

قلت مقاطعا :

ــ اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن ٠٠

قال :

ــ أمن مين بس ؟

ــ أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك ٠٠

ــ آه فهمت ٠

ــ أيوه ــ فهمت أيه بقى ٠

ــ فهمت ٠

« انصرف الشرطى بعيدا ٠٠ ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » ٠

واردت أن أروح فى اغفاءة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النيابة الذى لم يبق عليه سوى ساعات ٠٠ لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكننى من هذه الرغبة ٠٠ سمعت احداهن تقول :

ــ وأنت شفتى سياسيين قبل كده ؟

وترد أخرى ٠

ــ آه وحياتك ٠٠ جانى واحد مرة ٠٠ ما عملش حاجة ٠٠ لكن ادانى فلوس ٠

وترد الأولى ٠

ــ وعرفتى منين أنه سياسى ؟

ــ هوه قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس ٠٠ ولما اطمأن مشى ٠٠

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى ٠٠ اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله ٠٠ اذكر انني حتى زواجي الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس ٠٠ وذات يوم في عام ١٩٤٨ حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن من ذلك ٠٠ واذكر انني مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتي الأولى والأخيرة حتى منزلي بشبرا وأنا لا أعرف سببا محددا لهذا الموقف الشاذ في نظر زملائي الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحوا يتهكمون على ويسخرون من قدراتي ويشككون فيها ٠ ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا في تكويني ٠٠ لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة ٠٠ عرفت ان لحظة الاتصال الحسي بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل الانساني والفكرى والعاطفي ٠ وهذه اللحظة هي أصدق لحظات الانسان الحقيقي ٠٠ واظن ان مثل هذه اللحظات الصادقة ٠٠ نادرة جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق ٠

ورحت في اغفائه صحوت منها على صوت يناديني ٠

شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكباشي **أحمد حلمي** ٠٠ جاءوا كي يصحبوني الى نيابة أمن الدولة ٠٠ للتحقيق معي ٠

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها « **تخشيبة** » قسم الشرطة ومنها خرجت الى **سجن مصر** ثم الى **سجون أخرى** كثيرة سأحدثك عن ذكرياتي فيها في رسائلي المقبلة ٠ وكانت المرة الثانية التي عرفت فيها « **التخشيبة** » هي يوم الافراج عنى بعد **١٢ عاما** عشتها في سجون مصر المختلفة ٠

وكل « **تخشيبات** » **أقسام الشرطة** تشهد مع صباح كل يوم نشاطا كبيرا ٠٠ اعداد من رجال الشرطة يحملون **القيود الحديدية** التي توضع في المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » **أو جنزيرا** طويلا يربطون به عددا من المتهمين « غير الخطرين » ٠ ومع اشراقة صباح كل يوم عندما يسمع نزلاء التخشيبة صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل ٠٠ وعادة يعرف كل واحد اين سيذهب ٠٠ هذا للتحقيق معه ثم السجن ٠٠ وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه ٠٠ وهكذا ٠٠ كنت انا الوحيد الذى قضى ليلته في « التخشيبة » ليفرج عنى في الصباح ٠

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من في « التخشيبة » وعانقوني في ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنواني ليزوروني ٠٠ وبالفعل حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عني ٠

وعلى الرغم من انني خرجت من **التخشيبة** حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ أبريـل ١٩٦٤ فانني لـم اغـادر **قسم مصر الجديدة** الا الساعة التاسـعة مساء حيث صحبوني الى المباحث العـامة ومنهـا الى المنـزل الـذى وصلته حوالـى الثانية عشر مسـاء وخلال تلك الساعات حدث الكثير ٠٠ وهو مـا سأحيكه لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبة ٠

١٢ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسـالة رقـم ٥

حبيبتى

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب **مامور قسـم مصر الجديـدة** لعمل الاجراءات اللازمة للافـراج عنـى • حيانـى الرجل بابتسـامة عريضـة وودودة وحولنـى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجـراءات •• وما كـاد الجاويش يبـدأ فى تدوين البيانات المطلوبـة •• الاسـم •• السـكن •• العمل •• الخ حتى دخل رجل بملابس مدنيـة •

وهمس بكلمات لـم اتبينهـا فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مـع ضابط المباحث الى مأمور القسـم •• ثـم عـاد ليقول لى ان على ان انتظر حتـى تأتى الأوامر بالافـراج •

قلت مستفسرا :

ـ أوامـر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

ـ والله يا ابنى ما أنا عارف •

ـ امـال مين اللى يعـرف ؟

ـ المباحث العامـة •

ولعب الفار فى « عبى » •• لا بـد ان أمـرا قـد حدث •• طلبت مـن الجاويش ان اقـرأ صحيفـة الصباح •• فناولنـى اياهـا وهو يبتسـم ابتسـامة من يعرف مـا الذى اريـد ان اعرفـه من قـراءتى للجريـدة •• وبعـد ان تصفحت **أهـرام ٥ أبريل ١٩٦٤** قلت :

ـ مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

ـ والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا **المباحث العامـة** •• اصبر شـوية ربنـا يفرجهـا •

ذهبت الى مأمور القسـم لاعرف منـه الموضـوع وقبل ان ادخـل مكتبـه قابلت بعضا من اهالـى المسجونين الذين ما زالوا فى **الواحـات** ولـم يصدر عنهم قـرار الافراج بعـد •• وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **المحاريق بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للافراج عنا نحن المعتقلين.. دبرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم فى انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** اسحق » وجرح محمد سيد أحمد و د. اسماعيل صبرى عبدالله .

بدأت **المؤامرة** بتحرش **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اثناء « فسحة » الزملاء المسجونين .. وكان هذا التحرش هو ساعة الصفر ما ان بدأ المسجونون يتجهون الى حيث يقف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص المدافع الرشاشة** من وراء الأسوار الخارجية للسجن .. وأسقطت احدى الرصاصات الغادرة **الشهيد** « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجه **محمد سيد أحمد** وأخرى ساق د . **اسماعيل صبرى عبدالله** وكادت تتحول الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن الذى صاح بأعلى صوته .

ــ احذروا هذه مؤامرة ضدكم .

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المأمور ويبدو أنه كان يعرف تواطؤه مع المباحث العامه بالكف عن اطلاق الرصاص .. ونصح الزملاء المسجونين بدخول العنابر .

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس **جمال عبدالناصر** يوضحون فيها ابعاد المؤامره وأهدافها ويطلبون التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية . كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات مماثلة الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق .

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين مقسمين بين **رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس جمال عبد الناصر** يعلنون تأييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالى الغاء قرار الافراج عنهم .

ولم يهدأ بال الأهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق . وفى التحقيق شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة بما حدث من استفزاز مأمور السجن لأحد الزملاء . وشهد بعض السجانه بأن المأمور أمرهم بالاستعداد بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الأسوار الخارجية للسجن واطلاق النار على المجسونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان قد حضر بعد رحلينا مباشرة .

وعندما عرض التحقيق على **الرئيس عبد الناصر** امـر باحـالة **مأمـور السجن** الى المعاش والتحقيق لمعـرفة من الذى دبـر هذه **المؤامـرة فى المباحث العامة** • ويبـدو ان نقـل حسن المصيلحى من **المباحث الى الجوازات والجنسية** كان دليـلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيحلى هذا ـ وهو منذ **أواخـر عـام ١٩٦٤** يملك شركـة للتصـدير والاستيراد فى جنيف ـ قصص مـع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة•

وبالطبع كنت انا وبعض الذين لـم يخرجوا **يوم ٤ أبريـل** ـ وقبـل ان تصـل أوامـر المباحث بحجزنـا رهائن فـى أقسـام الشرطة لحسـاب المباحث العامة ـ فى انتظار نتائج المؤامرة حتـى اذا حققت أهـدافها والغى قرار الافراج نعود مـرة أخرى الى المعتقـل • حتى الـذين أفلتوا وخرجـوا **يوم ٤ أبريـل** ذهب رجـال المباحث الى بيوتهم **للاطمئنـان** على وجـودهم للقبض عليهم مـرة أخرى عندما تنجح المؤامـرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فشلت مؤامرة المباحث العـامة •

وفى الساعة الثامنة **مسـاء ٥ أبريـل** كنت فى حجرة الضابط النوبتجـى لانهـاء اجـراءات الافراج عنـى •• وعلى باب قسـم البوليس حيث تجمـع حولـى الأهـل والأصدقـاء ، رأيت ضابط مباحث القسـم وعلـى وجهـه ابتسـامة مسـطحة •• هنأنـى بالافراج •• وبادب رجـال المبـاحث المعروف طلب منـى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحى • انهـال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبـه •

قال ضابط المباحث فى برود شـديد

ـ لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كـل ما فـى الأمـر ان سيادة اللواء « **حسن المصيلحى** » يريد أن يتحدث معك قليـلا • « تملكتنـى رغبـة شـديدة فى الذهاب الى **حسن المصيلحـى** كـى اسـمع ما سيقوله عـن المؤامرة التى دبرهـا من مكتبة فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

ـ سأحضر معك من الواجب ان اشـكر الرجل الذى استضافنـا واكـرم ضيافتنـا !

قـال :

ـ انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بنفذ أوامر عليـا •

ـ ومؤامرة المحاريق •• كانت أوامـر عليـا أيضـا ؟

امتقـع وجـه الرجـل ولـم يجب ركبت معـه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فـى عـربته •• ولحقت بنـا ثـلاث سيـارات أجـرة تحمـل الأصـدقاء •• استقبلنى **أحمـد صـالح داود** رئيس قسـم مكافحـة الشيوعيـة وكـانت هـذه هـى المـرة الثالثـة التـى اقابـل فيها هـذا **الرجـل** • كـانت المـرة الأولـى فـى **سجن مصر** عنـدما رحلت اليـه مـن

سجن **المحاريق بالواحات** حيث كان من المفروض ان يفرج **عنى فى ابريل١٩٦٢** •
غير ان **المباحث العامة** استضافتنى عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك يا حبيبتى فى رسالة سابقة • فى ذلك اليوم كان معى زميل فى قضيتى نفسها وزميل آخر فى قضية أخرى ، أنا وزميلى الأول قبض علينا فى يوم واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه ٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام • وفى صباح اليوم نفسه الذى خرج فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن •• **انتباه •• انتباه •• انتباه** • يصيح بها السجانة بصوت عال جدا حين تصل الى السجن **شخصية خطيرة** مثل شخصية **أحمد صالح داود** • دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من **ضباط المباحث ومأمور السجن** وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة التى تحتوينى وزميلى صاح سجان بصوت عال :

ـ تفتيش •• تفتيش ••

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه •• تلتقى نظراتهم بعينى التى ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون •

ـ لا يوجد شىء ممنوع • اطمئن ••

والتقت نظرات **أحمد صالح داود** وضباط المباحث الذين معه بعينى فلم يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجىء • وبعد دقائق معدودة كان كل شىء واضحا • الغرض الذى أتى من أجله ضباط المباحث لم يتحقق •• لم يجدوا **علبة السلمون !**

لا تضحكى يا حبيبتى •• اقسم لك انهم جاءوا من اجل **علبة سمك** سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !

قال أحد الضباط بغيظ :

ـ فين الأكل اللى كان معاكو •

قلت بسخرية ••

ـ قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه •

ـ أيوه فين هيه •• ؟

ـ اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذى خرج اليوم اسألوه عنها •• لعله لم يزل عندكم بعد فى الانتظار •

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوهم بالحقد والغضب •• لقد فشلت مؤامرتهم لتلفيق **قضية جديدة لى ولزميلى من أجل استضافتى عشر سنوات أخرى** •.

كان معنا بالفعل علبة سلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيها لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سنذهب اليه انا وزميلى الثانى قبل اعتقالنا من جديد أو الافراج عنا من هناك . لا أدرى لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لانه مكث طول الليل يكيل لى المديح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى أنه يدبر شيئا . وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاها لى قبل ان يترك سجن مصر بدقائق .. ولم تمض دقائق بعد أن ترك الزنزانة الا وكانت العلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط اليد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة أحرقت وزميلى كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معناها ان يخرج السجين الى دورة المياه ليقضى حاجة ولبلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزانة .. وفى دورة المياه ازال زميلى الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لأحد المساجين الذى فرح به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن . مامور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء لبضبط علبة السلمون .. تاخر المامور خطوات ليشد على يدى شاكرا ممتنا فلو ان المباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه .

تسالين .. لماذا ياحبيبتى ؟ .. ساقول لك .

عند دخول أى سجين الى السجن أو خروجه منه لأى غرض .. التحقيق معه . أو العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهى بالمنشورات « الشيوعية » . وكل الممنوعات بما فيها **المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب** « **المنشورات** » ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة فهى دليل على انه ينوى كتابة أفكار « **هدامة ومستوردة** » ولكن اذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينبسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروع منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أياها وما بها من أوراق لانهدت الدنيا على مامور السجن وضباطه وسجانيه لأهمالهم وعدم

يقظتهم وبالتالي يضع رجال المباحث أرجلهم في السجن بشكل واضح وهو ما درفضه ضباط السجن حيث يجدون في هذا تدخلا في عملهم ، فقانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش واذا حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك في حالتنا هذه وفي حالات اخرى نادرة جدا ٠ لم أعرف ماذا حدث « للزميل » الثالث حين عاد ضباط المباحث بخفي حنين ٠ لكنه أفرج عنه على أي حال وعدت وزميلي الى سجن القلعة تم الحاربق معلفين ٠ وحين افرج عني في أبريل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميل الثالث يكتب في الصحف والاذاعة والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، في النقد والادب ، وحتى السياسة ! وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « كبير » يشار اليه بكل أصابع اليدين والرجلين ! كانت هذه هي المرة الأولى التي أقابل فيها **أحمد صالح داود** ٠٠٠ وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بي من **سجن القناطر الخيرية الى المباحث العامة** ٠٠ لاعتقالي ٠٠ أو للافراج عني ٠ يومها لم أشك لحظة في انني سأعتقل ٠٠ وما كنت أفكر فيه هو انني سأفقد كثيرا من **امتيازات المسجون** ٠٠ سأخلع الحذاء وامشي حافيا ٠٠ لن يسمح لي بالزيارة كل مدة كما تقضي لائحة السجون ٠٠ لن استطيع شراء شيء من الكانتين ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠ والبدلة « الملكي » التي ألبسها هذه ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه ٠٠ لم ألبسها قبل عشر سنوات الا اياما قليلة خلعتها مره أخرى كي ألبس « بدلة » المعتقل !! ما كدت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت زوج اختي « رحمه الله » ومعه احد اخوتي الكبار ٠ هجم علي وهو يكاد يختنق من البكاء ويقول :

ـ اختك في انتظارك ٠٠ راح تموت لو ما طلعتش ٠٠

ويقول اخي :

ـ ذنب اختك في رقبتك ٠٠ اعمل اللي يقولوا لك عليه ٠٠

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ننهي الاجراءات المطلوبة ٠٠٠ يقول وعلى وجهه ابتسامة باردة ٠٠ باهتة ٠٠ خبيثة ٠٠ :

ـ مستعجل ليه ٠٠ خليك شوية مع اهلك ٠٠ يا أخي هما مش واحشينك والا أيه ؟ ٠

ـ بغضب والالم يمزقني

ـ من امتى المواقف الانسانية دي ؟

وتعمد هذا الوحش في زي الانسان ان يتركني مع زوج اختي الذي يبكي كالأطفال واخي الذي يلح على أن أكون واقعيا ! واكتب لهم ما يريدون ٠ اكثر من نصف ساعة لم استطع ان احبس الدموع التي طفرت من عيني ! ولم اتكلم كلمة واحدة ٠

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شىء قد انضح قال :
ــ أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ·
قلت بهدوء :
ــ طبعا عارف ·
ــ وأيه رأيك ؟
ــ انت عارفه ·
وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلا .
ــ ما فيش فايدة ·· أنا قلت لكو ·
وانصرف أهلى يبكون ·· وذهبت انا الى سجن القلعة ·· ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى ·
ــ وهل امتنعت عن الخروج ؟
قال :
ــ كلمتين تكتبهم وتخرج ··
قلت بغضب :
ــ انت عارف الاجابة ؟
يومها قضيت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى··كان سؤال يطن فى رأسى· هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ · المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة ·· لا لست مسئولا ·· حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده · والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة · بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مامور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله · قدم لى الرائد «····» مأمور السجن العزاء · وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة ·
والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ ابريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة · ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا ·· ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه، ويده ممدودة بالتحية ·· وقال :
ــ ارجو انك ما تكونش زعلان ·
ــ ودى مسالة تهم سيادتك ؟
ــ طبعا تهمنى ·· خصوصا الآن ·
ــ ولماذا الآن بالذات ؟

ـ من أجـل الثورة والتطـور الاشتراكــى ٠
ـ ومؤامره أمس ضد زملائنــا ٠٠ كانت من أجل ذلك ؟
ويرد الرجل بخبث ســديد :
ـ عبيكو يا شيوعيين انكو بتحطونــا فى كفــة واحـــدة ٠ انا ليس لــى علاقــة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك ٠

فهمت ما يقصــده ٠٠ ولم أعلق ٠٠ وعنــد انصرافــى قــال للضابط الذى يرافقنــى ٠
ـ اللواء **حسن المصيلحى** عاوز يشـوف الأستاذ ٠٠
وجدت الرجل « مهذبــا » أكثر من اللازم الى درجـــة أنــه اســـتقبلنـــى على باب مكتبه ثــم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
ـ ارجو ان تفهموا موقفــى على حقيقته ٠٠
ـ موقفك بـالذات معروف لنــا تماما ٠
قال بأدب متجاعــلا سخرينى
ـ موقفــى ينبع من أرضية فكرية ٠
ـ ولحساب من هذا الموقف ٠٠ الذى تسميه فكريــا ؟

بلع الرجل كلماتى ٠٠ ومد يــده محييا ٠٠ انصرفت الى منزل أخى لأول مــرة بعد ١٢ عاما ٠ وبعد أيــام نقــل حسن المصيلحى الى ادارة الجـوازات والجنسية ٠
والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحى كانت فى صيف **عام ١٩٦٨!** فى خـــلال استراحة احد المسارح وكان معــى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف** وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحى** وكنت صامتــا ٠ وادرك الخفيف اننى لا اتذكــر حسن المصيلحى ٠٠ فقــال من خلال ضحكته العاليــة المشهورة عنــه ٠٠
ـ أنت مش عارف الأستاذ والا أيــه ؟
قلت وانا اتأمله محاولا تذكــره ٠٠
ـ والله مش واخد بالــى ٠
ـ حسن المصيلحى ٠
و... ...نى كلمة دون أن ا...
ـ ... ...ساتر ٠٠
ضحك حسن المصيلحى وقال :
ـ لا خلاص ٠٠ انا دلوقت رجل اعمال ٠
واكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفــة دمه المعروفــة ٠

ـ شركة استيراد وتصدير يا أستاذ ٠٠ فى جنيف ٠٠ أمـــال ٠٠ عقبال املتـــك ٠

ـ أمـل عدوبنـك يا دكتور ٠
وبقـول المصيلحى ٠٠
ـ لبـه بقى ٠٠ والشغلة دى فيها أبـه كمان ٠
قلت بسخريـة :
ـ يعنى ٠٠ ترقيـة ٠٠ الشغل دقـى على مستوى عالمـى ٠
قـال :
ـ يعنى انت لسـه عند رأبك ٠٠ طيب دلوقت لحساب مين ؟
قلت ضاحكـا :
ـ لحساب كله ٠٠ عالمى يا أسـتاذ ٠
قـال :
ـ على أى حـال أنـا ضد الشيوعية ٠٠ من موقع فكرى ٠
قلت والخفيف فى نفس واحـد بسخرية :
ـ واضح ٠٠ واضح جـدا ٠
فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن المصيلحى مساء يوم ٥ ابريـل ١٩٦٤ ٠

حبيبتى

هذه هى الرسـالة السادسه اليك ٠٠ ومازلت عنـد احـداث يوم الافـراج رأيت ان ابـدأ بهـا ٠ فربما تعطيـك فـكرة عن بعض مـا تريدين معرفتـه عنـى ٠ أما عن ذكرياتـى خـلال ١٢ عاما من السجن والاعتقـال فموعدهـا رسائلى المقبـلة ٠

١٤ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٦

حبيبتى

بعد تلك الليلة المثيرة التى قضيناها فى « **تخشيبة** » **قسم بوليس الوايلى** ، أخذنى **البكباشى أحمد حلمى** « رئيس قسم مكافحة الشيوعية » ومنئذ الى النيابة العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفية معلنة منذ حريق القاهرة **فى يناير ١٩٥٢** • كانت الشهور التى تلت حريق القاهرة تشهد ازمة النظام الخائنة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليدية بما فيها الأحكام العرفية ذاتها وكانت الثورة تدق الأبواب ، ولكن لم تكن هناك التنظيم الجماهيرى القادر على القيام بثورة شعبية تطيح بالنظام الملكى • ومن هنا كان موقفنا هو التحذير من انقلاب فاشى والنضال من أجل عودة **حكومة الأغلبية** ،**حكومة الوفد** • كانت السلطة الحقيقية هى للبوليس السياسى ، وبالتالى كان البكباشى **أحمد حلمى** هو الحاكم الفعلى وبعد الاستعمار الأمريكى الذى بدأ منذ الخمسينات على وجه الخصوص يوطد نفوذه فى البلاد • حين بدأ **رئيس النيابة العسكرية** التحقيق معى تجاهل تماما طلبى بعدم **حضور أحمد حلمى** التحقيق ولما كررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما لم اتبينه • وحين طلبت أن يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمى •• رفض أيضا بغضب •• قلت بهدوء :

ـ طيب على الأقل •• واحتراما **للسلطة القضائية** •• هل تأمر بفك **القيد الحديدى** من معصمى ! اختلطت حمرة الغضب بحمرة الخجل ليكسو وجهه لون غريب جسد كل ما يعانيه الرجل من مذلة ومهانة •

بعد فترة صمت قصيرة ، **تدخل أحمد حلمى** وأمر بفك القيود من يدى !

كان ... سريعا و... سيرا فلم ... أى ... قانونى يثبت تهمة تأسيس و... وتنظيم « الحزب ... السرى » • حتى تقارير البوليس السياسى لم تكن تعرف اسمى الحقيقى فحتى يوم القبض على **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل بدء التحقيق أن استفيد من موقفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح به المحامون بعد ذلك • ولم يكن فى القضية سواى وزميل آخر مارسوا معه كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ • انتهى التحقيق فى أيام وبقينا

فى سجن مصر فى انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الأيام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحى رضوان وزير** « **الارشاد القومى** » تفيد بان كل المسجونين السياسين الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** سوف يفرج عنهم فورا . وخلال زيارات الاهالى لنا قالوا ان **فتحى رضوان** أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات التنظيمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** وكان عددهم لا يتعدى الثلاثين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمتهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض . وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى **أحمد شوقى الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير **معظم دول العالم** المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وانما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة واحدة فقط هى حالة استيلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزميلى **مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١** آخرين قبض عليهم **بعد ٢٣ يوليو** والاتهام الموجه للجميع هو قلب **نظام الحكم ..** اثنان متهمان بقلب **نظام الحكم الملكى** والباقى متهمين بقلب **نظام الحكم الجديد !!**

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات** العسكرية وأعضائها من مستشارين كى ينظرها **مجلس عسكرى** اعضاؤه **من العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقى عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكرى وباجراءات مجلس عسكرى** . وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها **مجلس عسكرى خاص** .

وقد نشرت **روز اليوسف** خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية ارتاحت** لتشكيل **مجلس عسكرى خاص** لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا اياما قبل بدء المحاكمة نسأل باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون **صدقى** الذى أقصى عقوبة فيه هى **١٠ سنوات أشغال شاقة ؟** أم بقانون محاكم الثورة والذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى **صدر عام ١٩٤٦** غير الدستورى لأنه صدر

مى عبــة البرلمان حلمــا ننمناه !! ومضت أيــام لم نصلنــا اى اجــابة علــى عذا السؤال حتى المحامين الذين **وكلوا** للدفاع عنــا لم يعـرموا احابة علــى عذا السؤال ! أكثــر من ذلك لم نكن نعــرف ولا المحــامين يعــرفون أين سنحاكم ؟ .. هل مى احدى قاعات **المحاكم الجنائية أم** مى أحد **معسكرات الجيش ؟** ووصلتنا اشاعات تقـول بأن النيــة نتجه الى عمل محاكمات سريعة مى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عـــدد مـن الأحـكام **بالأعـدام وتنفيذها فــورا رميــا بالرصاص !**

وهكذا عشنا أكثر من عشره أيام نهبأ للاشاعات والاخبار المتضاربه ، غير ان الروح المعنـويه للغالبيــة العظمى من الزملاء المدمين الى هذه **المحاكمــة الاستثنائية** كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح ـ **الاستشهاد فــى النهــاية** وكنــا فى نهــار كل يــوم نعقـد الاجتماعات لتقـوية الروح المعنــوية ، وفــى المساء بعــد قفل الزنازين ننشـد الأناشيد الوطنية .

ولم نعــرف موعــد المحاكمــة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الــذى خرجنا فيــه للمحاكمة ، ولم نعــرف وفق أى قانون سنحاكم الا مــن نــائب **الأحكام البكباشى حسن سرى** قبل ان تبـدأ أول جلســة للمحكمة .

وبــدأت محاكمتنا لتستمر أكثــر من شهرين ثـم توقفت لتبدأ محكمــة جديدة **برئاســة اللــواء فؤاد الدجوى بعــد أن قبض على رئيس المحكمــة الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .**

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون **أرهابا لنــا ولكل زملائنا فى الخارج،** ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحدينا ارهابهم وحدثت أثناء محاكمتنا **أمام** المحكمتين قصص طريفة .. موعدها معك يا حبيبتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ ينــاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان يوم ٨ **يوليو ١٩٥٣ يوما** غير عادى فى سجن مصر . فمن المعتاد أن تفتح زنازين كل عنبر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكى تقضى المساجين « حاجتهم » فى دورات المياه ، ثم ينزلون الى فناء السجن فى « طابور » صباحى ، بعدها يتسلمون وجبه الغذاء ، ثم تغلق **الزنازين** . لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد . الزنازين التى كان بها الزملاء المتهمون فى القضية الأولى المقدمة الى **المجلس العسكرى برئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** هى فقط التى فتحت تحت اشراف مأمور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنا من الطابق الثانى عنبر ب **فى سجن مصر** وهتافاتنا تهز كل جدران السجن .. عاش نضال الشعب المصرى .. تحيا مصر حرة مستقلة وكان زملاؤنا من التنظيمات الأخرى ينشدون .. بلادى بلادى ويلوحون لنا بأيديهم مشجعين .

وفى غرفة المأمور كان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجراء الكشف على قلوبنا .. لا أدرى لماذا ؟

بعد الكشف على قلوبنا ووضع **القيود الحديدية** فى معاصمنا خرجنا من باب السجن العمومى لنجد أربع سيارات وقد امتلأت برجال الشرطة .. **الأسلحة الرشاشة فى أيديهم** مصوبة نحونا .. وعربتان مغلقتان تماما مثل الزنزانة ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** . كانت المنطقة المحيطة بالسجن خالية تماما .. الدكاكين مغلقة .. لا باعة .. ولا أهالى فقد منعت الزيارة فى هذا اليوم . ومن الطريف أن قائد الحرس كان لايعرف شيئا عنا فسألنى .

ـ أيه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بأيه ؟

ـ شيوعية .

ـ طيب وليه الهيصه دى كلها ؟

قلت بسخرية :

ـ بيبدو ان احنا خطرين قوى ..

وأردت أن أعرف منه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لى أنه لايعرف بعد !

ـ أمال راح توديننا فين ؟
قال الرجل الطيب :
ـ اديني مستني الأوامر ٠٠
وعرفت من **البكباشي رئيس الحرس** أنه استدعى مساء أمس من قنا حيث يعمل هناك ـ في مهمه سرية جدا وعليه أن يتواجد في سجن **مصر يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ !**
بعد حوالي نصف ساعة تحرك الموكب المهيب ٠٠ سيارتان في **المقدمة ورشاشات** تحملها الشرطة مصوبة **الى امام** العربيتين اللتين نركبهما ٠٠ وسيارتان خلفنا **والرشاشات مصوبة الى الخلف ٠٠**
ناداني مأمور الحرس لأجلس الى جانبه ٠٠٠ بعد دقائق قلت ضاحكا :
ـ أيه العظمة دي كلها !
رد على الرجل وكان التأثر بادبا على وجهه ٠
ـ يا ابني انت في أيه والا أيه بس !
ـ يا سيدي ولا يهمك ٠٠ لكن احنا راح نتحاكم فين ؟
ـ في محكمة الاستئناف بباب الخلق
صحت فرحا واعلنت الخبر للزملاء ٠
تعجب المأمور وسألني في اندهاش
ـ أيه الحكاية مبسوطين قوى كده ليه ؟
قلت :
كنا فاكرين اننا رابحين أحد معسكرات الجيش ٠٠٠ نتحاكم هناك زي **خميس والبقري ٠٠٠**
علق الرجل وقد ازداد اندهاشه ٠
ـ ليه يا ابني وانتو عملتوا أيه ؟
كان الموكب قد وصل الى ميدان باب الخلق ٠٠ هذا الميدان المزدحم الذي لاتجد فيه موطأ لقدم ٠٠ كان خاليا تماما ٠٠ من السيارات وعربات الكارو ٠٠ ومن كل الناس ٠ وقفت عربات الموكب ، وعلى طول السلم والطرقات المؤدية الى قاعة المحكمة ٠٠ اصطفت اعداد هائلة من الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هذا الحشد الهائل من الجنود ٠٠ سرنا نرفع ايدينا المقيدتين **بالقيود الحديديه** نحيي أهالينا الذين وقفوا على مبعدة منا وننشد ٠٠ **بلادي ٠٠ بلادي ٠٠ لك حبي وفؤادي ٠٠**
وبعد أن ادخلونا قفص الاتهام ٠٠ دخل الأهالي والمحامون الى قاعة المحكمة ٠ جاء عدد كبير من المحامين التقدميين والوطنيين ٠ كان من التقدميين اسماء لامعة ولمعت أكثر في الستينات ٠٠ وكنت اعرفهم جميعا ٠٠ للأسف كان موقفهم مخزيا ٠٠ واحد منهم تنحى عن الدفاع عني وآخرون تنحوا أيضا ٠٠ ولما سألت عن السبب قالوا :

ـ أصل ما فيش فايـدة ٠٠ الأحكام صادرة ٠٠ صادرة ٠

يؤسفنى أن أقـــرر اننى اسقطتهم جميعـا ٠٠ واحتقارا لشانهم لم اعلق ٠
الذين دافعوا عنـا كانوا متطوعين كـان من بين **الوفـدين** ٠٠ **سليمـان غنـام** ، **أحمد الحضرى** ، ومن بين رجـال المحاماة البارزين **موريس أرقش وعادل أمين** وغيـرهم ٠ حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنـا كان موقفهم عظيما ٠ اذكر منهم **الدكتور مدحت** الـذى جـاءنى فـى قفص الاتهام يطلب منى فـى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاسـتاذ سليمان غنـام** ٠٠ قـال :

ـ رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قـرأت كـل التحقيق ٠٠ وانته ١٠٠٪ بـراءة ٠

ـ ١٠٠٪ بـراءة ؟ سيادتك متفائل قـوى ٠

قال الرجل ورنـة صوته تحمل كل الثقـة ٠

ـ التهمـة الموجهة اليك قلب **نظـام الحكم الملكى** ٠٠

قلت مازحـا :

ـ طب ودى فيهـا أيـه ؟

ـ ما أهو **الضباط** قلبـوا **نظـام الحـكم الملكى** فعـلا اللى انت متهـم بمحـاولة قلبـه ٠

ـ ده كـلام منطقى يا دكتور ٠٠ لكن ٠٠

ـ ما أهو يا تطلع انت براءة ٠٠ **يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك** ٠٠

لمحت على باب القاعـة الاستاذ **سليمان غنـام** قادما نحـوى ٠٠ سـمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقـال مبتسما :

ـ يا دكتور مدحت ٠٠ ما تزعلش ٠٠ روق دمك ٠٠

ورأيت الدهشـة على وجه **الدكتور مدحت** ٠٠ وراح يخبط يـده باليـد الأخـرى ويقـول كلامـا لم اتبينـه ٠٠

قال لـه الاستاذ **سليمان غنـام** مبتسما ٠٠

ـ بعدين افهمك يا دكتور مدحت ٠

قال لـى **الأستاذ سليمان غنـام** « رحمه الله » :

ـ موقفك فى القضية سليم جـدا ٠٠ لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون بـراءة ٠

قلت ضاحكا :

ـ هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

ـ انا باقول القـانون ٠٠ مش المنطق ٠٠ ليس هنـاك دليل واحد عليك ٠

قلت :

ـ يا استاذ غنـام ٠٠ انت موكـل للدفـاع عـن **الديمقراطية والحـريات السياسية** ٠٠ **كل ما** نـريده **هو** أن يسمع الرأى العام **دفاعك عن الحـرية** ٠

وصاح الحاجب :

ـ محكمـــة ٠

ـ دخل **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** رئيس المحكمه ٠٠ وضـابطان برتبـه صاغ ٠٠ بعدهما دخل **حسن سرى** نائب الأحكام ٠٠ ثـم **على نور الدين** « المدعـــى » ٠

قبل أن يجلسوا ٠٠ وقف أعضاء المحكمـه ووضعـوا أياديهم اليمين علـى المصحف ورددوا القسـم ٠٠ وبـدأت المحاكمـــه ٠

نادى رئيس المحكمة ٠٠ المتهم الأول (٠٠٠)

ـ هل لك اعتراض على المحكمه ؟

ـ اعترض على تشكيل المجلس العسـكرى ٠٠ وليس لى اعتـراض على اشخاص المحكمـة ٠

واعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكرى

وتقـدم المحامون ٠٠ **سليمان غنـام ٠٠ أحمد الخضرى ٠٠ موريس أرقش، عادل أمين** يطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظـر **مجلس الدولـة فى المذكـرة** التى تقدموا بهـا يطعنون فى دستورية **تشكيل المجلس العسـكرى** ٠

ورفعت الجلســه للمداوله ٠

وانعقدت المحكمة بعـد نصف ساعة وأعلن الرئيس

ـ قـررت المحكمة الاستمرار فى نظـر القضية المعروضة عليها حتى يصدر **مجلس الدولة** قـراره بشأن اعتراض الدفاع على تشكيلها ٠٠

واستؤنفت المحاكمة ٠٠ جلسات صباحية ومسائية واستمرت شـــهرين كاملين ٠٠ وقبل ان تصل اجـراءات المحاكمة الى نهايتها بأيــام ٠٠ **قبض على أحمد شوقى عبد الرحمن رئيس المحكمـة وعلى المرحوم الاستاذ سـليمان غنـام !** كيف بـدأت المحاكمه ٠٠ وكيف انتهت **بالقبض على رئيس المحكمـة وعلى المحامى الذى** يدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبلة ٠

١٦ ينـاير ١٩٧٧

بغـداد

الرســالة رقــم ٨

حبيبتــى

ما يقــرب من شهرين استمرت محاكمتنا **أمام المجلس العسكرى** برئاسة **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** • وكانت الجلسات تعقــد صباحا ومساءا، وبعــد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنــا فرصة للقــاء الأهل والاصدقاء وتنــاول الأكل « **البيتــى** » الذى حرمنــا منــه مــدة طويلة • كميات وافــرة من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منـــذ دخلنــا السجن •• كنــا نأكــل مى المحكمــة ونأخذ معنــا أيضــا • حــدث مــرة أن أعتــرض ضابط السجن (•••) وكــان معروفا بصلته **بالمباحث العامة** ، على ادخــال مــا نأخــذه معنــا من طعــام الى السجن • شكونا لنائب **الأحكام حسن سرى** فامــر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمــة يسمح لنــا بالجلوس مع اهالينــا بعض الوقت فى قاعــة المحكمة •

قلت لــه يومــا :

ـ تبدو انسانا •• خلاف ما يــدل عليــه مظهرك •• ودورك فى المحاكمة

ابتســم وقــال :

ـ وعــلام يــدل مظهــرى ؟

قلت ضاحا :

ـ فاشى

ضحك وقــال :

ـ وهل تاخذ بالمظهــر ؟

ـ أرجو أن تتاح لى فرصــة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكرى تكونت بيننــا شبه صداقة • اذا شكونا لــه من ســوء معاملتنــا فى السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمــر بمعاملة حسنة **وفق اللائحــة** •

ورئيس الحرس •• نشأت أيضــا معه علاقــة طيبــة ، قال يوما :

ـ لقــد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• ساشعر بنقص فى حيــاتى بعــد انتهــاء المحاكمــة •

قلت ضاحــكا :

ـ **بسيطة •• دعنى أهــرب ••**

قــال :

والله يا ابنى لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهـروب ·· لكن أنا عـــارف انك راح تخرج بــراءة ·

ـ ومنين عـرفت ·· ؟

ـ لقـد سمعت رئيس المحكمة **يهنئك** ·· عندما انتقلت المحكمة لمعاينة واقعة القبض عليك ·

وحقيقة ·· لقــد **هنأنى رئيس المحكمة** ·· كمـا هنأنى **على نــور الدين** المدعى العـام **وحسن سرى** نائب الاحكام والبك ما حدث .

حين بـدأت المحكمة فى سؤال شـهود الاثبـات ·· تضاربت أقـــوال الشهود ، واحــد منهم قال أنـــه قبض على وأنا أطرق بــاب زميلى **مصطفى كمال خليل** مساء وكان قد قبض عليه صباحا ·· والآخـر قال اننى بعـد ان صعــدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجـرى خلفى وهو يصيح :

ـ حرامى ·· حرامى ··

وعلق **الاستاذ سليمان غنــام** ساخرا .

ـ ما هو لو كنت قلت شيوعى ·· كانت الناس ضربتك ·

وقبل أن يطلب الاستاذ **غنــام** انتقال المحكمة لمعاينة واقعة القبض على كان **رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ··**

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة درب البرابرة بالموسكى ·· منــزل قـديم لا تدخله الشمس ابـدا ·· ويقبع فى ظلام دامس الى حــد ان المرء لا يستطيع أن يــرى أبعـد من متــر واحد فى حوشــه أو على السلم فى وضح النهــار ·

بعــد أن نــزل أعضــاء المحكمــة من منزل زميلى وكنت انتظرهـم فــى الشارع همس غنــام فى اذنى .

ـ المحكمة مقتنعة تماما ببراءتك ·

وقال على نور الدين :

ـ مبـــــروك ·

قلت :

ـ كان المفروض أن تقــوم النيــابة بذلك ·

لم يطق الرجــل

والتفت الى **أحمد شوقى عبد الرحمن** وقال :

ـ من الناحية القانونيــة ·· **مبــروك** ·

والحقيقــة اننـــا كنـــا غيــر قادرين على تفسير موقف **أحمـد شــوقى عبد الرحمن** · كــان يهتم اهتماما ملحوظـا بكل **الجوانب القانونية** · ورغم ان المـدعى طلب مـــرات عـــديده أن تعقـد الجلســات سرية فقــد رفض الرجــل وكـــان يصر على **علنيـــة الجلســات** ويطلب نشر ما يــدور بهـا

فى الصحف ٠ وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئا فيما عدا **جريدة المصرى** التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى جلسات المحاكمة ٠ ويوميا وطوال مدة المحاكمة كنت أقول للاستاذ غنام أن الصحف **لا** تنشر شيئا ٠٠ وكان يطلب من المحكمة ضروره أن تنشر الصحف ما يدور فى المحكمة ٠٠ وكان **أحمد شوقى عبد الرحمن** يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون الرأى العام رقيبا على ما يدور ٠٠ وكان يطلب يوميا من نائب الأحكام الاتصال بالصحف وأن يطلب منها النشر ٠٠ وكثيرا مالام مندوبى الصحافة الذين يحضرون الجلسات ٠

وهكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزهة ٠٠ فيها ما فيها من الطرائف ٠٠

وفى احد الأيام ذهبنا كالمعتاد الى المحاكمة ٠٠ وقبل ان ندخل قاعة المحكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس باعادتنا الى السجن ٠

سألته ٠٠

ـ ماذا جرى ؟ **هل أجلت المحاكمة ؟**

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

ـ أيوة أجلت ٠٠

ـ ليه ؟

ـ لأن القاضى القى القبض عليه !

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيه شهرا فى انتظار محاكمة جديدة حتى شكلوا مجلسا عسكريا جديدا برئاسة اللواء فؤاد الدجوى ٠

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ٠٠

موعدها معك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

١٧ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتـــى

بعــد القاء القبض على « **القاضى** » **احمد شوقى عبد الرحمن** مكثنـــا فـــى السجن أكثـــر من شهر ونصف ٠ وبدات محاكمتنا من جـديد أمـــام مجلس عسكرى برئاسة **اللـــواء فؤاد الدجوى فى أكتـــوبر ١٩٥٣ ٠**

لم تبـــدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كمـــا يحدث فى المحاكم الجنائيـــة ٠ وانمـــا باجراءات المجلس العسكرى الذى يلغى كل اجـــراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد ٠ بعد أن أقسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها علـــى :

ــ المتهم الأول ٠٠ **عبد الرحيم عثمان ــ** هل لك اعتـــراض على تشـــكيل المحكمـــة ؟

ــ أعترض شكلا وموضوعـــا ٠

ــ المتهم الثانى (٠٠٠)

ــ أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة فى الدعوى المرفوعـــة أمامـــه بعـــدم دستورية تشكيل هذا المجلس ٠

ــ هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا ٠

ــ بل هو مجلس عسكرى ٠٠ وأحكامه جاهزة ٠

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد ٠٠ وترتفع هتافاتنا ٠٠ الدستور ٠٠ الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظـــر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه ٠ ويتداول « القاضى » مع نائب الأحـــكام ٠٠ ويقول :

ــ قـــررت المحكمة الاستمرار فى نظـــر القضية ٠٠ المتهم الثالث (٠٠٠)٠

ــ تشكيل هذا المجلس غير دستورى وأعترض عليه ٠

ويسأل « الدجوى » :

ــ [illegible] تعترض [illegible]

ــ أيضـــا ٠٠ أعترض ٠٠

ــ لماذا تعترض ؟ ٠ سنحكم بالقانـــون ٠

ــ لا تملكون ٠٠ الأحكام جاهزة ٠٠

ويصرخ الدجوى ٠ يهدد مـــرة أخـــرى ويقول :

ــ كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (٠٠٠)

ــ هذا النـــوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات ٠٠ لا للقاضى ٠٠ ولاللمحامى ولا للمتهـــم ٠٠

ويعـاود الدجوى صراخه ٠٠ وتتوالى تعليقات الزملاء :
ـ أين القاضى السـابق ؟
ـ **أين أحمد شوقى عبد الرحمن ؟**
ـ **وأين الدفـاع عن المتهمين ؟**
ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**
ـ **فين هيـه الضمانـات ؟**
ـ **الدستور هو الضمـان ٠**
وترفع الجلسة ٠٠ وبعـد خمس دقائق تعـود **للانعقـاد** ٠ يهدد مـرة أخـرى ثـم ينـادى :
ـ المتهم الخامس (٠٠٠)
ـ نرفض التهـديد ٠
ـ جاوب على السؤال ٠
ـ نرفضكم شـكلا وموضوعا ٠
ويعترض المتهم السادس ٠ ثم المتهم السابع ٠٠ وكنت أنا المتهم الثامن٠٠ اقـول :
ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**
ويصرخ الدجـوى ٠٠
ـ جاوب على السؤال ٠
ـ سأجاوب ٠٠ ولكن فى حضور المحامى الموكل عنى ٠
ـ محامى لم يحضر ٠٠ المحكمة مالهـا ؟
ـ المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟
ويتقـدم محامى من مكتب الاستاذ غنـام ٠٠ يقول :
ـ **الاستاذ سليمان قبض عليـه** ٠٠ وهو يطلب السماح بحضوره للدفـاع عن المتهـم ٠
ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :
ـ على النيـابة أن تقوم بعمل اللازم ٠٠
ويقـول لى :
ـ جاوب على السؤال ٠
ـ لما يحضر الاستاذ غنـام ٠
ـ المحكمة ستنتدب محاميا آخـر ٠
ـ وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنـام ٠
(صمت)
ثـم ينـادى على المتهم التاسع ٠٠ و و ٠ والثالث والعشرين ٠٠ الجميـع يعترضون على تشكيل المجلس العسكرى من حيث الشكل والموضوع ٠ وفـى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتنعقد فى صباح الغـد ٠
فى مسـاء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمـة وقـررنا

أن نحعل منهـا مظاهـره سـياسية تطالب بالديمقراطيـة والحـريات السياسية والدسـتور · ومع أننـى اتفقت مـع الزملاء على أن اقـوم بعمل دفـاع سياسـي · الا أن الزملاء فى الخارج رفضـوا ذلك · بحجـة أنـه لا يجب التفريط فى موقفـى القانونـى فى القضيـه ، خاصـه وأن « القاضى » السابق كـان قد أبدى رأيا ببراءتى · واتفقنـا على أن يقـوم الزميـل سعد باسيلى بعمل هـذا الدفـاع السياسـى وكنت قـد انتهيت من اعـداده قبل أن يلقيه سعد باسيلى بوقت كاف حيث أرسلناه للزملاء فى الخـارج لطبعه وتوزيعـه أثنـاء المحاكمة فى المحكمة · وبالفعـل بينما كـان سعد باسيلى يلقى دفاعـه السياسى كان زملاؤنا فى الخـارج يوزعونـه وكانـوا قـد أرسلـوه الى القاضـى وأعضـاء المحكمة وكل المحامين ·

وكان مشهدا طريفـا ·· سعد باسيلى يلقـى دفاعـه السياسـى من ورق مكتوب بخط اليـد ·· وعدد مـن المحامين يستمعون اليـه ·· ويقـرأون ما يسمعونه فى كتيب « مطبوع » ·· الصمت يلف قاعـه المحكمة وأعضائهـا وصوت سعد باسيلى يرتفـع ·

وتوالـى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقـد ركزوا على الجانب السياسى فى القضية ولم يكن الجانب القانونى يحتل فى دفاعهم سـوى القـدر الضئيل جـدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف · بعدهـا سمعنـا اشاعات قويـة تقول بأن القضيـة سـوف تحـول الى محكمـة الثورة · وقد ازعجتنا هذه الاشاعات ، فقانون صدقى « غيـر الدستورى » أقصى عقوبـة ينص عليهـا هـى عشرة أعـوام أشغال شـاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعـدام · وفى أحـد الأيـام همس نائب الأحكام لنـا :

— اطلبوا من المحامين الاختصار فى الدفاع ·

— لماذا انها فرصـة لرؤيـة الأهل وشم الهواء ·

قال الرجل بجديـة ·

— هنـاك اتجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة ·

واستمرت المحاكمة عـده جلسـات ، ثـم رفعت الجلسـة وأعلن رئيس المحكمة انتهـاء المحاكمة فى النصف الثانـى من نوفمبر عام ١٩٥٣ · وبقينـا فى سجن مصر ننتظـر اعـلان الأحـكام ، فالمجلس العسـكرى لا يعلن أحكامه فى قاعة المحكمة وانما بعـد التصديق عليهـا من رئيس الجمهورية !

وفى ١٢ ينـاير ١٩٥٤ أعلنت حـاله الطوارىء فى السجن كله وفى كـل المنطقة المحيطة بـه · · لسبب لم نعرفـه ولم يعرفـه احد الا بعـد ان وقف ٢٣ زميـلا فى طابـور لينلو ضـابط كبيـر فى الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكـى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ·

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٠)

حبيبتـــى

كتبت جريدة **المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤** وصفا للطريقة التى اعلنت بها الأحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به **الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجونا** ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وانما كان تعبيرا عن **موقف حزب الوفد** من الحريات السياسية والديمقراطية ٠

فى ذلك اليوم ظلت **زنازين السجن** كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحا وهى عادة تفتح فى السابعة ٠ السجانة يقفون خارج الزنازين لا يعرفون السبب ٠ والمنادى الذى ينادى يوميا على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالمعتاد ٠ والأهالى الذين كنا نراهم يوميا حول السجن من شبابيك الزنازين الضيقة لم نجد لأى واحد منهم أثرا ٠ الدكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن أغلقت كلها ٠ ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان **انقلابا جديدا** وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر ٠ سألنا السجانة والححنا فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعا ٠٠ كما يصمت أبو الهول ٠ وفى التاسعة صباحا ٠٠ فتح باب العنبر ٠٠ ثم سمعنا صوتا ينادى ٠٠ بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء ٠٠ عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها ٠ وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتا :

ـ الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل ٠

اذن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثناء تلاوة الأحكام ٠

وقفنا صفا واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام ٠٠

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يده :

ـ كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام ٠

وبدأ ينادى ٠٠

ـ المتهم الأول ٠٠ **عبدالرحيم عثمان** ٠

ـ ١٠ سنوات أشغال شاقة ٠

ويهتف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصري
- المتهم الثاني .. (..) .
- ١٠ سنوات أشغال شاقة .
- عاشت الحرية ويسقط الارهاب .

وهكذا .. كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم . ولم يصدر حكم واحد بالبراءة . لم يعترض احد من الضباط على الهتافات .. وطوال هذه العملية ران صمت رهيب في كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام . ثم ارتفعت أصوات زملائنا في الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد .. بلادي .. بلادي .

كنت انا **ومعي ١٠ زملاء** حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ **سنوات** . وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين **١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن** وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التي ستنقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان . وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالاشغال الشاقة يلبسون **بدلة زرقاء .. ممزقة .. بالية** . بها اعداد كبيرة من حشرات « **القمل والبق** » .. ويدق في كل قدم حلقة بها **سلسلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام .. وتعلق في الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق في حزام جلدي . ويقضي الحكم بأن يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا .. سواء في نومه .. أو في يقظته .. أو حتى عند الاستحمام ..**

على باب سجن مصر الخارجي كانت تنتظر عربتان .. انا وخمسة زملاء ركبنا احداها .. والخمسة الآخرون ركبوا الآخرى .

سارت بنا العربة الأولى الى **ليمان أبي زعبل** واتجهت العربة الثانية الى **ليمان طره** .

وعندما تحركت بنا السيارة .. لمحت على البعد اخي مسعد « رحمه الله » ومعه زوجتي السابقة يلوحان لي من بعيد .. كانا قد أتيا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتي ! وخلال الرحلة من **سجن مصر الى ليمان أبو زعبل** .. كنا ننشد نشيد (بلادي .. بلادي) . وننشد :

اخى ما الحـــديد اذا البســـونا الحـــديدا
لقـــد جهلونـــا اذا حســـبونا عبيـــدا

فجأة .. قال **وليم اسحق** وهو يبتسم وقد أمسك قيوده بيديه
ـ الا غولنى يا درش .. لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاى ؟
وتـــبهنا الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها القدم .. وحاولنا جميعا خلعها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول القدم .. وتصل الحلقتان **سلسلة حديدية ثقيلة** لا يمكن الافلات منها الا على يد « حداد » .. ومتى ؟ **بعد ١٠ سنوات** ! !
قلت ضاحكا ..

ـ على أى حال نمكن ان نستفيد من خبرة من سبقونا .
قال وليم اسحق ضاحكا :
ـ حنرة ستفيدوا انتو بمى .. شوف .
كان يرفع قدمه اليمنى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها منها بيده ..
قال مجدى ضاحكا :
ـ يا نحنك يا وليم .. عملتها ازاى .. ؟
قال بزهو :

ـ دد عى يا أستاذ .. امال بنلعب .
كان وليم نحيفا الى درجة مخيفة .. ويبدو ان الحداد الذى وضع له الحلقتين فى قدميه لم يجد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى رجله اليمنى .. فقد كانت اليسرى ضيمة جدا فلم يستطع اخراج رجله منها رغم محاولاته .

قلت لوليم ضاحكا
ـ انت بمبنى يا وليم ..
ـ انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالى ساعة .. كنا أمام **ليمان ابو زعبل** .. على باب الليمان كان يقف **المامور ومعه ثلاث ضباط** واكثر من **عشرة سجانة** .. من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « **الجبل** » كان **موكب العبيد يقترب** منا تدريجيا .. وفى الأفق كان شعاع الشمس الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد نهار كامل من الشغل فى تقطيع أحجار **البازلت** فى الجبل . ويحيط

بهم عشرات الجنــود وهم يحملون **مدافعهم الرشــاشه** ٠٠ وعـدد من الضباط يمنطـون حبولهم ٠

وعلى باب الليمان جلس المساجين « **ديز** » **لاجـراء التمام** ٠٠ بعـد دقائق ضرب بروجـى « التمام » والتمام فى لغـه السجـون هو مراجعـــه عـــدد المســاجين للتأكـد من مطابقـة العـــدد لما فى دفاتـر السجن ٠٠ وهـى عمليـة تجـرى يوميـا صباحا ومســاء عنـد خروج المساجين للعمـــل وعند عودتهم ٠

« اذن سنكون من الغـــد أفـرادا فى حشد العبيـــد هـــذا ٠ وهـــل يطـول بنـــا العمر عشر سنوات على هذه الحـــال ٠٠ وهـل نحتمل هـــذا العذاب اليومى » ؟ ٠

وأفقت من تأملاتــى على صوت ســجان ينــادى علينـا ان نتبعــه ٠ كــان الســكون مخيما تماما على **الليمــان** ٠٠ العبيـد دخـلوا عنابـرهم ٠٠ عدد من السجانــة والضباط يغـــادرون الليمان الى بيوتهم ٠٠ وعلى باب مكتب **المأمور** وقف الضابط النوبتجـى و٣ سجانــه ٠٠ وأمـام المكتب وقفنـــا صفـا واحـد ٠٠ ما ان خـرج المأمور من مكتبه حتى سمعنـــا صوتا عاليـــا يقــول :

ـ اقعـد « ديـز » يا مسـجون أنت وهو

لم ننفـذ ٠٠ وظللنـــا واقفين

عاد الصوت أكثر حـدة :

ـ يا مســجون أنت وهوه أقعـــد

ظللنا واقفين ٠٠ وهم احـد السجانـة بعصاتـه كى يضربنــــا ٠٠ لكن احد الضباط منعــه ٠٠ وقال :

ـ ليـه ما بتنفذوش الأمـــر

قلت بتحـــد :

ـ لم نعتـد على هذا ٠

ـ لكن انتو دلوقت محكوم عليكو بالأشغال الشاقة

ـ ولـــو

ـ يعنى ايــه ولو ؟

ـ يعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين ٠

كان المامور فى مكتبه يسمع الحوار وفجـــأة خرج وهو يصيح بصوت عـــال :

ـ انتو هنـــا فى الليمان ولازم اللائحـــة تتنفذ ٠

ـ وهل فى فى اللايحة اهانة المسجونين ٠

ـ بلاش فلسفة ٠٠ حكاية الشيوعية دى مش هنا ٠٠ انتم هنا مساجين٠

ـ مساجين بس سياسيين ٠

زاد غضبـه :

ـ وايه يعنى ·· عايزين امتيازات ؟

ـ لا ·· عاوزين بس **تطبيق اللايحـة** ·

تدخل ضـابط كـان يراقب الموقف صامتـا ·· كـانت فـى نظـراته مودة نحونـا ·· همس فى اذن المأمور كلاما لـم نتبينه ·· ثـم جـاء الينا وطلب ان نتبعـه · وفى مكتبه دار معـه حديث ودود ·· قال :

ـ انا طبعـا ماليش دعـوة بالسياسـة ·· وانا عمرى ما شـفت شيوعيين لكن باين عليكو نـاس متقفين ·· لكن طبعـا لازم تنفذوا اللايحـة ·· فاهمين اللايحـة ··

ـ احنـا لا نريـد غير تنفيذ اللايحـة ·

ـ مضبوط ·· يا الله يا سجـان خدهم على **التاديب** ··

قلت محتجـا ··

ـ منين لايحـة يا حضرة الضابط · ومنين تودونا التاديب ··

قـال ضاحـكا :

ـ تعجبنـى ·· اهو كـده ··

ثم تركنا وذهب الى مكتب المأمور ·

فى السجون زنازين نسمى « **التاديب** » يسجن فيهـا المسـجون الـذى يرتكب مخالفـة فى السجن · وتأديب المسجون هو ان يسجن « انفـرادبا » وينـام على **الأسفلت** ·· ولا يأكـل **الا عيش حـاف** وملح الثلاث وجبـات ، ولا ولا يخرج من زنزانته أبـدا ·

وطبعـا وضعنـا فى هذه الزنازين مخالفـة واضحة للائحـة السـجون ·

جاء الضابط (··) قائلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

ـ أصـل بقى فيـه مشـكلة ·· انتو شيوعين والمأمور مش عـاوز يخليكو مع المساجين فى العنابـر ··

ـ ليـه بقى وهو احنـا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقـال :

ـ خايف عليهم من المبادىء الهدامة بتاعتكو دى !

ـ معنى كـده اننا نعيش هنـا فى سـجن انفرادى ·· يعنى **اشـغال شـاقة وتأديب** كمـان ··

ـ دى مسـألة مؤقتـة

ووجدنـا الامـر يصلح للمسـاومة ··

ـ طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانة ··

قال الضابط :

ـ أنا عرضت المسألة دى على المأمور ·· ووعدنى أنه بعـد كـام يـوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ··

ونظـر الينـا الضابط نظـرة ودودة وكنـا قـد ارتحنـا اليـه حيث

لسنا منه رغبه جادة فى مساعدتنا ‥ فوافقنا بشرط ان يتعهد هو بتنفيذ ما وعد به ٠

وتعهد الرجل بذلك ٠

فى الطريق الى التأديب ‥ قال الضابط (٠٠٠)

ـ والله « التاديب » ده أحسن من العنابر ‥ نضيف ومستمل ‥ زى الفيلا تمام ‥

ثم صحك وقال .

ـ وعلى فكرة الفيلا اللى أنا ساكن فيها بتطل عليكو ٠

قلت ضاحكا :

ـ يعني جيران ‥ والجار له على الجار سبع حاجات

قال .

ـ يا سيدى خليهم عشرة الا حكاية النزاور ٠

ـ على الأقل من جانبك ‥ تزورنا أنت ٠

قال الرجل بود :

ـ قوى ‥ كل ما أكون هنا راح امر عليكو ٠

فتح السجان ٦ **زنازين** ‥ دخلها الضابط الواحدة بعد الأخرى ثم

ـ كل مسجون له بطانية واحدة ‥ **وبرش يا افندم** ٠

قال السجان :

التفت الينا الضابط ضاحكا :

ـ شايفين وادينى بقيت برش ‥

ثم وجه كلامه للسجان :

ـ امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة ٠

وزنزانة « **التأديب** » يا حبيبتى تختلف عن الزنازين العادية فى السجون والليمانات ٠ جدرانها من **الأسمنت المسلح** ٠ ونافذتها **الوحيدة** فى سقفها العالى جدا ، وبابها من **الحديد** ٠ وليس به سوى ثقب صغير يسمونه فى السجون «**نضارة** » ـ أى التى ينظر السجان منها كلما أراد أن يطمئن على وجود « ودبعته » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد التى [illegible] الخارج وينظر [illegible] واحدة ٠ [illegible] الثقب الذى لا يزيد [illegible] عن ٥ سم هو [illegible] الوحيدة بين المسجون وسجانه عندما يغلق باب الزنزانة ٠

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة كى يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « التأديب » ، فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ، ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا ‥ كذا) ‥ ثم يسرع بوضع أحدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا ٠ كذا) ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا ٠ كذا) ثم يضع أذنه

ويسمع من المسـجون (كذا · كذا) ، ·· وهكذا حتـى « يزهـق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومـن وضع فمـه على ثقب البـاب تـارة ، ثم أحدى اذنيـه تـارة أخرى ·· مرات يزيد عددهـا كلما طـال الحديث ·

داخل هذه الزنزانـة ، **وفى ١٢ يناير ١٩٥٤** ، وفى عـز البرد ، أمضيت الليلة الأولـى · انتقلت فجأة من مسـجون تحت التحقيق ، يرتـدى الملابس الملكيـة ويأكل الأكـل « الملكـى » من عند « المتعهد » أو من الأهالـى الـى محكوم عليـه بالأشـغال الشـاقة ، يلبس ملابس السجن الباليـه ·· ويأكل ؟ ··· يفتح بـاب الزنزانة ·· وأجـد « **قروانة** » **بها شىء لـم أتبينه** · لـم أكن قـد جعت بعـد فلم أفـكر فى معرفـة « هذا الشـىء » ! لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منهـا « بخـار » · وجلست الى جانبها ·· ربما تبعث بعض الدفء فى يـدى المرتعشتين ! لسـعات أسفلت أرض الزنزانـه تخترق « البرش » الذى أجلس عليـه ، فأهب واقفـا ، وتحتك **السلاسـل الحديدية** بقدمـى العاريتين ·· أمسكها بيدى ·· أزيحها عن قدمى ·· فتمتص الحرارة التـى أخذتهما من بخـار « القروانـه » · دقائق وتتحول « القروانة » هى الأخـرى الى كتلة مـن **الثلج** · أفرش بطـانيه مهترئة ، ممزقـة ، على البرش ، وأجلس ولكن « آنى » لبرس منسـوج من الليف وعليه هذه البطانيـة أن يحمى جسمى الذى أحـاول تمديـده من البـرد القارص ·· أنفخ فى يدى ·· ونبعث أنفاسى فيهما الدفء ·· لكن جسمى كله يكـاد يتجمد ·· كتفاى ·· وظهرى ·· وصـدرى · · وقدماى · من أين يأتيهم الدفء · جسم شـبه عـار ·· قيدوه بسلاسـل حديدية ·· وحاصره جدران الزنزانـة الاسمنتية « وأرضهـا الاسفلتيه » ، والهـواء البارد يصب على رأسى لسعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلويـه هكذا ·· طول الليل ·· محاولات يائسـه للبحث عن أقـل دفء ·· أقف تـارة ·· وأجلس تارة أخرى ·· وأمـدد جسمى المنهك مـره ثانيـه ·· والبـرد لا يرحم ·· وأصوات الحراس تطن فى اذنى بين لحظـه وأخرى .

ـ تـا ·· مـا ·· م

ـ تـا ·· مـا ·· م

ـ تـا ·· مـا ·· م

أى « **تمـام** » · يتبادل الحراس الذين يقفون على سور الليمان الخـارجى النداء بهـا طوال الليـل · منذ غروب الشمس حتى شروقهـا فـى صباح اليوم التالـى ·

لا أذكـر كـم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهـل كـان **نومـا** ، **أم كان سقوطا فى غيبوبة** ؟ كل ما أذكـره أننى تنبهت على صـوت « زقزقة » العصافير التى خرجت من اعشاشـها على الشـجر المحيط بمبنـى « التأديب » تستقبل مولد يـوم جديد · شدتنـى أصواتهـا الجميلة وأدخلت فـى نفسى هـدوءا سرعـان ما بـدده صوت البروجى يعلن ·

ـ تمـا ٠٠مـا ٠٠م ، تـا ٠٠مـا ٠٠م ٠

أى طلع الصباح يا مدبـر الليمان وكله « تمـام » ولـم يهـرب أى أحـد من المسجونين ! ٠ السـجان يضـع مفتاحـه فى بـاب الزنزانـة وأذهب واقفـا وفى يـدى **جـردل** البول لأذهب بـه الى دورة الميـاه ، **ولأمضـى « حاجة » « حبستها »** طول الليـل وسببت لـى آلامـا حـادة ٠ عنـد عودتـى من دوره الميـاه ٠ وجدت على البرش ملابس سـجن اخرى ولكـن « أحسن شويـة » من هذه التى ارتديتهـا فى سـجن مصر ٠

سألت السـجان :

ـ **البسها ازاى ؟**

ـ أنت باين عليك « **كركـى** »

و « **كركى** » معناهـا فى لغـة السـجون هو عـدم المعرفـة بعالـم السـجون والليمانات !

ـ أيـوه « كركـى » خـالص ٠

ويبدأ الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف البسها !!

ورغم أن هذا السـجان وغيره كثيرون شرحـوا لى عمليـة خلـع الملابس ولبسـها فاننى لا أذكـر اننى استطعت يوما أن أفـهم بهذه العمليـة المعقـدة دون مسـاعدة السجان قبل كـل استحمام وبعده ٠

أشرح لك يا حبيبتى هذه العمليـة وأعـرف أنـك لن تفهمى منها شيئا !

لا صعوبـة فى نزع السيـور من على « وسـط الجسـم » ٠ وانما الصعوبة فى خلع الملابس ٠ ولابـد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحـذق ٠ ان علـى السـجين بعد نزع فـردة السروال اليسرى أن يمررهـا بين « الجحـلة » ـ أى الحلقـة ـ والسـاق ، وأن يعيد امرارهـا فـى الاتجاه المعاكس تحـت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما ٠ ويكـون علـى السـجين بعدئذ أن يمرر فـرده السروال اليسرى تحت « حجلة » السـاق اليمنى ، وأن يعيد امرارهـا ثانية الى الوراء مع فـردة السروال اليمنى ٠

وهذه العملية المعقدة تتم أيضـا عند لبس الملابس !

وبعد أن القـى علـى السجان هذه المحاضرة ٠ اغلق باب الزنزانـة ، وذهب الى كل زميل ٠٠ يفتح عليه ويلقى عليـه المحاضرة نفسها ثم يغلق الزنزانـة ويذهب الى زميـل ثـان ٠٠ وهكـذا ٠٠ ألقـى المسـكين المحاضرة نفسها ست مرات ٠٠ فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « الستة » أبـدا خوفـا علـى « **أمن واستقرار** » الليمان ٠ وظللنـا هـكذا **١٢ يوما** ٠٠ وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخـذ موقفا ٠ **الاضراب عن الطعام** ٠٠ والمطالب هـى ٠٠ نقلنـا الى **ليمان طره** فنحن « **سـابقة أولى** » ومكاننـا هناك وليس فى أبى زعبل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١١)

حبيبتـــى

فى اليـوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعبل لـم اكن أنـا فقط الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجـى » الصباح الذى اختلط باصـوات زقزقة العصـافير الواقفـة على أغصـان الأشـجار المحيطـة بغـــرف الزنازين ·

ـ صباح الخير يا درش

ـ صباح الخير يا وليـم

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا عبد الرحيـم

وكأننا ارتكبنـا جريمة لا تغتفـر ·· جـاء السـجان مذعـورا يقـرع الزنازين بكـل قوتـه ويصيح ··

ـ اسكت يا مسجون انت وهو ··

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا وليـم

ويصيح السـجان ··

ـ يا مسـجون اسكت ·· المامور يسـمعكم

ـ وفيها أيـه لمـا المامور يسـمع ؟

ـ يا نهـار أسـود ·· فيها أيـه ·· فيها مصيبة ·· فيهـا خصـم ١٥ يوما

ـ ليـه كـده ؟

ويهمس السـجان

ـ ده نـده على من الصبح وقال لـى خد بالك من الجماعـة الشيوعيين دول ·· واوعـى حـد يتكلم مع زميلـه والا راح اوديك فى داهيـة ··

ـ طيب افتح علشـان نروح دورة الميـاه

ـ المامور قال لـى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط

ـ طيب روح انـده واحد من الضباط

ـ أهو حضرة الضابط جـه

وسمعنا السـجان يشكونا للضابط (···) ·· وتفتـح زنزانتـى واقـول للضابط ·

ـ صباح الخير يا حضرة الضابط

يمسكنى السجان من كتفى وينهرنى قائلا :
ـ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
ويبتسم الضابط ويقول :
ـ صحيح ٠٠ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
وارد على ابتسامته بابتسامة خفيفة
ـ آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !
ـ أيوه كده ٠٠ خد بالك من اللائحة
كان يلمح لنا بان لا نتهاون فى تطبيق اللائحة ٠٠ ورغم ان الضابط كان يحاول جاهدا أن يبدو فى مظهر « ناشف » أمامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة ٠٠ كيف يتحدث **مسجون مع ضابط بمثل هذه البساطة ؟**
قلت للضابط :
ـ ممكن أصبح على زملائى
ـ طيب ما أنت صبحت
ـ يعنى نفف مع بعض شوية ٠٠
ـ ما فيش مانع ٠٠ بس اجيب اذن من المأمور
ثم يقول متصنعا الحده
ـ يا سجان افتح الزنازين كلها ٠ ٠ وهات المساجين عندى هنا ٠ ٠
فتحت الزنازين الستة ٠٠ وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكأننا افترقنا لسنوات ٠٠
الضابط يتظاهر بالانشغال فى أمور أخرى ٠٠ والسجان يُرتفع صوته عاليا
ـ ما حدش يكلم حد يا مسجون انت وهوه ٠٠
ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى **جريمة** حديثنا مع بعض فيقول بحدة تبدو مفتعلة ٠ ٠
ـ أيه ده يا مسجنون أنت وهوه ٠٠ تعالوا هنا ٠٠
ونتجمع حوله ٠٠ لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح
ـ أقعد يا مسجون أنت وهوه ٠
ويفرق الضابط
ـ سيبهم يا سجان ٠٠ سيبهم واقفين
ويستطرد فى سخرية
ـ دول ما يستاهلوش الرحمة ٠٠
كان يشير الى ما حدث بالأمس مساء عندما رفضنا أن نجلس « ديز » أمام المامور ٠
قال الضابط برنة أفهمتنا أن علينا أن لا نقبل أوامر المامور التى يقولها ٠

ـ أوامر حضرة المأمور هى .. **الحبس الانفرادى** ، ممنوع حد يتكلم م زميله **زنزانة وحدة** بس اللى نتفتح مرة الصبح ومره بعد الظهر ولمدة **خمس دقائق بس** ..

ـ اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيش عبر الجلد .. سامعين ؟

ـ دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟

ـ دى أوامر المأمور .

ـ طيب بقى نتفاهم مع المأمور

ـ المأمور مش عاوز يقابل حد

ـ طيب يبقى فيه طريقة تانية للتفاهم

ـ أيه الطريقه التانية دى ؟

ـ **أضراب عن الطعام**

ويبدو على وجه الضابط الارتياح ..

ـ يعنى مصممين على الأضراب ؟

وبابتسامة خفيفة أقول

ـ مصممين جدا

ـ طيب .. يا سجان أقفل عليهم .. أنا رايح **للمأمور** .

ويستمر أضرابنا عن الطعام **ثلاثة أيام** .. وكان هذا **هو الاضراب الأول فى ليمان أبو زعبل** والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الأيام الثلاثة كان الضابط يأتى الينا ،

ـ لسه مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظل مضربيين

وفى **رابع يوم** جاء الضابط يبلغنا أن **النيابة وصلت** للتحقيق .. وفى الطريق لقابلة وكيل النيابة همس الضابط .

ـ تمسكوا بتنفيذ اللائحة .

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لما جاء بها فسأل المأمور عن السبب .

وكانت أجابته

ـ **الأوامر اللى عندى** .. أعمل ايه ؟

قال وكيل النيابة بغضب

ـ أوامر مين .. أنت عندك اللايحة تنفذها .

وأمر وكيل النيابة بمنع الحبس الانفرادى . وأقر حقنا **فى الطابور الصباحى وطابور بعد الظهر** .

قلنا لوكيل النيابة

ـ باقى حاجتين .. ان نخرج الى العمل **فى الجبل** .. وان ننقل الى ليمان طرة .

ـ دى بقى حاجات مش فى اللائحة وترجع فيها الى المصلحة . ووعدنا برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا هى العمل فى الجبل هو الخروج للشمس والهواء ولو حتى فى موكب « العبيد » فلم نعد نطيق الجلوس فى زنزانة مقفلة نخرج منها للفسحة فى داخل مساحة ضيقة جدا . وكان مطلبنا للنقل الى ليمان طرة يستند الى أن **السابعة الأولى فى حكم الأشغال الشاقة** مكانه ليمان طرة حيث العمل فى الجبل هو تكسير **الحجر الجيرى** أما ليمان أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير **الحجر البازلت** .

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل **الا بعد شهر .. وكان يوما مثيرا** أقص عليك أحداثه يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتـــى

شهر كامـل منذ جئنـا الى **ليمان ابو زعبـل** ونحن لا نعـرف شـيئا عمـا يجرى فى خارج الأسـوار ٠الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنـا أى صلة بالسـاجين ٠ السجان هو صلتنـا الوحيدة بالعالم الخارجـى ٠ وعبثـا راحت كل محاولاتنـا مع سـجان الصباح أو سـجان المسـاء الذين لـم يتغيرا أبـدا فكلاهما صامت لا يتكلم خوفـا من المأمور الذى نبـه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الاطلاق ٠ وطـوال شـهر كامـل لـم ندخن خلاله نفسـا من سيجارة ٠ كان عزاؤنـا أن **لوليـم اسحق** قـدرة هائـلة على الحديث ٠٠ فكنا نقضى ليالـى بكاملهـا نستمع اليـه ٠٠ حتـى أن زملاء الزنزانـة الأخـرى احتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننـا نستأثـر بوليم فاتفقنـا أن يبيت وليم كـل ليلة فى زنزانـة ٠

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجـاء أخـر بـدلا منـه كـان اسـمه **عم على** ٠٠ يبلغ من العمر أكثر من **٦٠ عاما** ٠٠ اطلق عليه وليم اسـم عـم « كاكـا » ٠

ــ لماذا كاكا يا وليـم ؟

ــ هو كـده مفيش أسم ينفعه الا كاكـا ٠ ٠

فى المسـاء طلبنـا منه سيجارة ٠٠ لم يتردد الرجل ٠٠ أشـعل سـيجارة وتناولناهـا من ثقب الزنزانـة ٠٠ وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناهـا نحن الثلاثة ٠٠ جـاء صوت من الزنزانـة الأخرى ٠

ــ عاوزين **نفس** يا عـالم

وجرى عـم كاكا ليعطيهم سيجارة أخـرى ٠

وجرى حديث طريف ، وبعـد أن اطمأن لنـا الرجل سأله وليـم ٠

ــ أيـه الأخبار يا عم على ؟

ــ الحمد الله ٠٠ كله كويس

ــ ما تعرفش حاجة عن أخبار **الحكومة**

ــ ما لها الحكومة كويسـة ٠٠ **النحاس باشا راجل عال العال**

ــ النحاس باشا ٠٠ النحاس باشا ما له ٠٠ جرى لـه حاجة ؟

ــ حاجة أيـه ده **رئيس الحكومة**

ــ **النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على** ٠٠ ؟

ــ **أيـوه طبعا أمـال مين** ٠٠ ؟

وابتعد الرجل بعيدا ·· ورحت كل محاولــا عبثــا عن حق أن يعود أليفــا لنفهم شــيئا ·· ولكن يبدو أن الرجــل شعر بأنه تحـدث معنــا أكثر من اللازم فرفض بعنــاد أن يعــاود الحديث مرة أخرى ··

ورحنــا طول الليل نحــلل **الموقف السياسـى** · معقول جدا أن يعــود **الوفــد** الى الحــكم ·

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعــاده عن السياسة لا يدرى ان **النحاس باشــا** بعيــد عن الحكم مدد وعن طويــل فهل عــاد حقــا ؟ ومن المؤكــد أن عم علــى يعــرف أن هنــاك ســلطة جديدة وحكومة جديــدة منذ أكثر من عــام · لا بــد أن شيئا جديدا قــد حدث ·· **معقــول جــدا أن يعــود الوفــد للحكم** · ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب **وتولــى النحاس رئاسة الحكومة** · ومكثنا طوال الليــل نحــلل الموقف السياسى بعد أن تولى الوفــد الحـــكم وكأنه أصبح حقيقــة · وبالطبع خرجنـــا بنتيجة منطقيــة هى أن **الوفــد** سيعتمد فى حكمه **على اطــلاق الحـــريات السياســة والديمقراطيــة** وبــدا أمــل الافراج عنــا فى الامن ثــم رحنـــا فى نـــوم عميق نحلم **بالافراج عنــا ·· بالحــرية** ·

وفى الصباح الباكــر سمعنــا صوتــا عاليــا يطلب أن نستعد للخروج · صاح وليــم اسحق فى سعادة بالغــة ·

ــ مش قلت لكــم ·· أفــراج ·· **يحيا الوفــد**

ويقــول **مجدى فهمى**

ــ أصبر يا وليــم لمــا نشوف أيــة الحكاية ·· أنت دايما متفائــل

ويرد وليـــم

ــ **أنا** صحيح فنان ومش سياســى زيكوا ·· ولكن عندى احســاس

فتحت الزنزانتان وخرجنــا منهمــا ·· ليس مــن أجـــل الافــراج ·· ولكن للعمل فى **الجبــل** ·

علق وليــم ضاحــكا ··

ــ أهوه برضه خروج ·· نشم الهواء ونقعد فى الشمس

ضحكنــا من الاعماق ·· لــم نفقــد الأمــل أن يكــون **النحاس باشـــا** قــد تولــى الحــكم بالفعل ·· وضرورى من كــام يوم وسوف يفرج عنــا · ولكن أحــدا لــم يصرح بما فى نفسه لزملاءه ·

كان خروجنــا الى العمل فى الجبــل أمــرا مثيرا لكــل المســاجين الذين ســمعوا عنــا ولم يرونــا أبــدا · كنــا محــور حديثهم طــوال الشــهر الذى أنقضى · وكثرت الأحاديث حولنــا بين المســاجين والسجانة · لاحظنا هذا عندما وضعونا فى **مؤخــرة طابــور** المســاجين · رأينــا الجمينــع ينظــر خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه **الحراسة المشددة**، أطلقوا علينــا أســم « **الفرقــة المخصوصــة** » وكان يحرســنا **حارســان** وصــول وضابط أى أن أربعــة يحرســون ستة ، وهذه حراسة خاصــة · التى

حاسب الحراسه العامه المكونــه من عشرات الجنود والضباط ٠
سرنـا فى نهايـة طابـور العبيـد فى طريقنـا الى **الجبـل** ٠٠ ومن حسن حظنـا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنـا **الضابط** (٠٠٠) ٠ أقترب منـا ودون أن يلتفت الينا وهو يركب حصانه قال :
ــ أزى الحــال ٠
ــ الحمد لله ٠٠ **أيه حكاية النحاس باشـا ؟**
لـم يستطع الرجل أن يمسـك نفسه من الضحك ٠
ــ **نحاس باشا مين ٠٠ انت بنحلم ٠٠ ؟**
وبددت كل احلامنـا ٠٠ كل التحلـلات السياسية راحـت هبـاء ٠٠ جزاك الله يا عم كاكا ٠
ووصلنـا الى مكان العمل ٠٠ الى الجبل ٠٠ حفرة **هائلة** يبلغ **اتساعهـا أكثر من عشرة كيلو مترات** ٠٠ يحيط بها **جبل** كبير من حجـر البازلت والعمل هناك مقسـم ، عده مجموعـة من المسـاجين تضـع الديناميت فى فتحات الجبل ثم تفجرها ٠ وعـدة مجموعه تانية تفكك **الأحجـار** الكبيـرة بعـد أن تفجر الديناميت ٠ وعده مجموعة ثالثه تحمل أحجـــار البازلت الضخمـة الى مجموعات متفرقة من المسـاجين ليقوموا بتكسيرهـــا بالشاكوش الـى قطـع صغيرة ٠ وبعيـداً عن كل المسـاجين أجلسـونا فى ركن بعيـــد ٠٠ يحرسنا السجانان والمسـول والضابط أكثر من نصف سـاعة لـم نتكلم ٠٠ ننظر الى ما حولنـا مندوهين ٠٠ كلما حـــاول مسـجون الاقتراب منـــا نهـره الحراس بشـده فيبتعد خائفـا ٠٠ ثـم جـاء الضابط وقال :
ــ دلوقت بقـى ٠٠ كل واحد بكسر **٧ غلقـان** من الحجر ده ٠
ــ حجر أيـه الى نكسره ده ٠ ؟
ــ حجر البازلت ده ٠
ــ ما عندناش خبـرة بالمسألة دى ٠
ــ كلها يوم وتعرفوا
قلنـا باصرار ٠
ــ لا يوم ولا يومين ــ احنا مكانيا مش عنـا ٠٠ عاوزين نـروح ليمـان طـره ٠
وظهرت ابتسـامة على وجــه الضابط
ــ لازم تعملوا **الطريحة** لغايـة ما تروحوا ليمان طـرة ٠
ــ لا طريحة ولا غيره مضربين عن الطعام
وارتاحت أسارير الرجـل ٠٠ وقال بلهجته التى اعتدناها والتـى تعنى التشـــجيـع ٠٠
ــ يعنى **مصرين على الاضراب** ٠
ــ أيـوه مصرين ٠
بعد أن اتخذنا قـرار الاضراب عن الطعـام ٠ ٠ كان أمامنـا مشـــكلة

ارسال خطاب الى زملائنا فى الخارج · كيف : يمكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين · ولكن كيف نتصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب · نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحدا منهم أن يقترب منا . والسجان يلازمنا لا يتركنا لحظه · والصول باسى أشد من نحس والحين « ينمم » علينا · قلت **لوليم اسحق** :

ـ تصرف يا وليم

يمسك وليم بيد الزميل **عبد الرحيم عثمان** ويقرأ له الكف · وكلما يقول وليم شيئا يرد عليه عبدالرحيم ·· مضبوط ·· تمام · والسجان فاغر فاه من الدهشة ·· فجأة يقول لوليم ··

ـ ممكن تشوف كفى ؟

ـ قوى ·· قوى ··

ويستمر وليم فى مشاغلة السجان وقتا نتمكن خلاله **مجدى فهمى** من لمح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه ··

ـ أنت مجدى فهمى أخو **مصطفى مهمى** ؟

ـ أيوه ··

ـ أنت شبهه تمام ··

ـ عاوزين خدمة صغيرة ··

ـ رقبتى ·

ويذهب المسجون (···) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به الينا ويضعه أمامنا ·

ما أن يراه السجان حتى يصيح ··

ـ ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

ـ حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاى يكسروا الحجارة ·

ويقول وليم للسجان ·

ـ خليك معايا أنت ·· ما تبوظش الشغل ·

ويواصل قراءة **كف السجان** · بينما يتفق مجدى مع صديقه المسجون (···) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيره كانت ملقاه فى بطن الجبل « **ويعقب** » ملم رصاص كان المسجون يخبئه فى ملابسه · **يعطيه** مجدى للمسجون (···) ويسأله ·

ـ امتى يوصل الخطاب ده لأخى مصطفى ؟

ـ النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها الى **ادارة الليمان ومصلحة السجون** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق **مطالبنا** ونقلنا الى **ليمان طره** · وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت النيابة للتحقيق · كان مطلبنا محددا هو النقل الى ليمان طرة فنحن **سابقة أولى** · وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المامور على خروجنا الى الجبل سأله وكيل النيابة عن السبب ٠٠ فقال بغضب ٠٠

– يا بيه دول فى أقل من ٤ ساعات اتصلوا باهاليهم وجت التلغرافات ترف ٠

يقول وكيل النيابة :

– شدد الحراسة عليهم ٠

ويرد المامور

– أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المامور باصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات الى الخارج ٠

بعدها نقلنا الى ليمان طرة ٠ ولكن فى منتصف ذلك الشهر جاءت عائلاتنا لزيارتنا ٠ فالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة بعد ٤٥ يوم ٠ ٠ وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى ٠٠ وهى زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة يا حبيبتى ٠

اول ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتـــى

مضى علينـا شهر ونصف لـم نحلق ذقوننـا كان كـل مـا يتصــور بشاعة مظهره حين ينظر الى زميله • الأمواس ممنوعـه فى الســجن • غير ان ذقـون كل المساجين ناعمة تماما •• فالجميـع عندهم أمواس ويحلقـون ذقونهم •• ولم يكن بوسعنـا أن نحصل على أمواس حتى يـوم موحشنـا **بزيـارة أهالينـا** •

نادوا علينـا للزيارة وسط حراسة مشـددة • **والزيارة** فى السـجون تتـم من خلال **حاجزين** من الاسـلاك يبعدان عن بعضهما حوالـى **متر ونصـف** • يقف المســجون خلف الحاجـز السلكـى داخـل السـجن ويقف الزائـــر خلف الحاجز الآخـر القريب من باب السجن • وبين الحاجزين يقف السجانـة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا **عـن القـانون** •• أو يقوموا بتهريب ممنوعات •

كان فى زيارتـــى أخـــى مسعد « رحمه الله » وزوجتـــى السابقة •

كما ان علاقـــة الـدم وحدهـا ليست كافيـة لقيـام علاقـة انســـانية حقيقيـة كذلك فان علاقـة الزواج وحدهــا ليست كافيـة لبنـاء علاقـــة حب حقيقيـة • واليـوم بعـد أكثر من ٢٢ عاما وأنـا أحـــاول أن أستعيد ماذا كانت عليه مشاعرى وأحاسيسى حيال أخوتى عامـة ومسعد خاصـة ، كـذا مشـــاعرى وأحاسيســى حيال زوجتـــى السابقة أجد أن علاقتـــى بأخـى مسعد كانت علاقـة انتماء بكـل ما تحمل هذه الكلمـــة من معنـــى ، بينما كانت علاقتـــى بأخوتـــى الآخرين مجرد علاقـة دم • أما علاقتـــى بزوجتـــى السابقة فلم تكن أكثر من علاقـة عطف من جانبـــى ، وحب مريض من جانبها •

وأعـــود بذاكرتـــى الى ظروف تعرفـــى عليهــا •

ذات يوم من أيــام **صيف ١٩٥٠** دعانـــى زميل فى العمل الى رحــــلة نيلية فى القناطـر الخيريـة ، وتقبلت الدعـــوة كنـوع من التغيير فى حياتـــى اليومية التى لا تتغير • العمل صباحـا ثـم الاجتماعات التنظيمية حتـــى ساعة متأخـرة من الليـل ثـم أعــود الى حجرتـــى الجرداء من كل شـيىء سـوى سرير صغير وبعض الكتب الملقـاة على أرض الحجرة •• وحيــدا لا أجد من اتبادل معـه كلمة •

على سطح السفينة المتجهـة الى القناطر الخيريـة صدحت الموسيقـى الراقصـة وراح الجميـع يغنـون وأنا جـالس بعيـدا تتضارب الأفـــكار فى

رأسى · هـل يتفق هذا مع القيـم الثورية ؟ مـرة أقـول لا ومرة أخرى ·· ماذا فى هذا ؟ وهل نرقص الثورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى نروح فى الرقص والغناء هل هـو وقت ضـائع ؟ الثورى لا يحب أن يضيـع وقتـه ؟ كل الوقـت يجب أن يكـون للثورة ·ولكن أليس من حق الثورى أن يستمتع أحيانـا بمثـل هذه الحيـاة ؟

بقيت هكذا مدة ·· لا أجـد اجابـة واضحـة علـى مـا يدور فى رأسى ·· حتى وجدت نفسى محاطـا بزميلـى فى العمـل وصديقتـه وصديقتهـا ·

ـ لماذا لا ترقص ؟

ـ لا أعـرف ·

قال زميلـى ضاحـكا :

ـ الرقص لا يتعارض مع السياسة ·

ويسـتطرد :

ـ يا اخى أن لبدنك عليك حقـا ·

وقالت مدمى برقـة :

ـ أعلمك الرقص ·· هناك فى مؤخرة السفينة

وبشـكل تلقائـى وجدت نفسـى أرقص معها ·

وبعد قليل صـاحت :

ـ أنت هابل ·· تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجـد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين ·

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية ·

كانت هذه أول مـرة أذهب فيها الى هنـاك · وبشـكل تلقائـى وجدته نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كدنـا نبـدأ حديث التعارف حتى سمعت من يصيح عليهـا ··

ـ ماما ·· ماما ·· عاوزين نركب فلوكـة ·

كانت طفلة عمرهـا سبع سنوات وطفـل لا يزيد عن ٩ سنوات · قالت وضحكـة حزينـة تمـلأ وجهها ·

ـ نيتى ·· ولوسى ·· أولادى ·

يبدو أن تعبيرات وجهى ·· كشفت ما فى أعماقى وقتئذ ·· ما الذى كان فى داخلـى · كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولـم تنشـأ بينى وبين امرأة أى علاقـة عاطفيـة أو حسية · فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ » ·

قالت والدموع تجرى من **عينيهـا** :

ـ ولكنـى الآن مطلقـة ··

قـلت :

ـ **وهل عندكم طـلاق ؟**

قـالت :

ـ اعلنت اسلامى حتى احصل على الطلاق ٠

وبدأت تحكى مصتها والدموع لا تجف فى عينيها ٠

كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا ويشغل وظيفة كبيرة فى وزارة الأشغال ٠ ولدت فى روما وحضرت وهى طفلة مع والدها واخوها الذى يكبرها وأختها الأصغر منها ٠ بعد سنوات أصبح أخوها مليونيرا من أعمال المقاولات وتزوجت اختها من امريكى وسافرت معه ٠ ولما توفى ابوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركته اختها ، وجدت نفسها وحدة فقد توفيت والدتها منذ زمن ٠ كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاما ٠٠ لا تعرف من العربيه الا كلمات ملبلة وتعيش فى شقة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها ٠ وكانت عائلة لبنانية تسكن فى الشقة المجاورة لها ٠ وفى احدى الحفلات التى كانت تقيمها هذه العائلة تعرف عليها شاب لبنانى وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة٠

وفى بيت الزوجية وجدت ما لا يتفق مع قيمها الاخلاقية ٠ حفلات يقيمها الزوج ويدعو اليها شخصيات بارزه فى الدوله وبعض رجال الأعمال لعقد صفقات ٠ وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض ضيوفه !

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه ٠ فى البداية كان لا يعلق على شكواها ٠ ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه اثناء غيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعقد معهم صفقات تجارية ٠٠ ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة ٠ وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها الى ان استقر بها المقام مع عائلة مقيمة فى حى القلعة ٠ ومكثت هناك ٧ سنوات تحيك الملابس لأهل الحى كى تعيش ٠ وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل الحى ٠ وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر ٠ فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد ٠٠ يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية ٠

قالت لها .

ـ أولادك ينتظرونك كى تركبى معهم المركب ٠

قالت :

ـ نركب كلنا معا ٠

وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم وولديها والمركب تخفف بنا فى عرض النيل ٠ ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتى اقبلهم ويقبلوننى ٠

وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظللت

أرقص معها طول الوقت ٠٠ ضممتها الى صـــدرى ٠٠ وضمتنـــى وغبنـــا أكثر من مرة فى أكثر من قبلة ٠

ومن مرسى الباخـرة فى روض الفـرج ركبنـا الترام حتـى بـــاب الحديد ، ومن هناك ركبنـــا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتهـــا تمسك بيـدى فتـرة ٠٠ ثـم يحتـج الابن ويطلب حفــه فى ان يمســـك يدى ٠٠ حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة ٠

وجدت نفسى أفكـر فى هذا الذى حدث اليـوم عندما انفـردت بنفسى فى حجرتـى على السطوح فى حدائق القبـة ٠ لـم أصـل الى شئ محـدد سـوى اننى فى حاجة الى امرأة ٠٠ولكن ليست أى امـرأة ٠٠ ربما كنت فى حاجـة الـى امرأة من أجـل علاقـة حسـية ٠٠ لكـن تجربتـى كشـــاب اكدت لـى ان ما اطلبـه ليس مجرد علاقـة حسـية ٠٠ انما اطلب شيئا آخر ٠٠ اطلب الحب ٠ ولكن ما هو الحب ؟ حقيقـة لـم اكن أعـرف ٠٠ ولم أعرفـه بعد ذلك الا أخيـرا وبعـــد أكثر من ٢٢ عاما ٠

فى مســاء اليوم التالـى كنت انتظرهـا على باب المحل التجارى الذى تعمل بـه ٠ فوجئت بـى فلم نكن على موعـــد ســابق ٠ عرضت عليهـــا ان نذهب الى سينما صيفـى فوافقت ٠ وبعـــد السينما ركبت معهـا المتـرو حتى بيتها ٠ وعندما عـدت الى منزلـى سألت نفسى مرة أخـــرى ٠٠ ما الذى اريـــده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجـــة الى علاقـة انسانية ٠٠ فى حاجة الى حنـان حرمت منه بعـد وفـاة أمى التى كانت تحبنـى حبـــا يفـــوق كل حبهـا لاخوتـى ٠ وتذكرت يوم ماتت أمى ٠٠ أصرت على ان تضـــع رأسها على رجلـى وهى تلفظ أنفاسـها الأخيرة ٠٠ كانت أخر كلماتها ٠

– خد بالك من مسعد يا مصطفـى ٠٠ خليه يكمل دراســته ٠٠ مســعد أمانــة فى رقبتك انت يا مصطفـى ٠

وعادت بـى الذاكـرة الى عامين قبل ذلك اليـــوم ٠ بعـد وفـاه أمى تحول المنزل الى جحيم ٠ كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمـــل بالسياســة وكانت تخـاف على وعلى مســعد ، ولكنها كانت تحمينـا من أبـى ومن اخوتى الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحمايـة فى منزلنـا بشبرا فتركنـــاه الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتســـام مرتبـى حتى يكمل دراســته ويجد وظيفــة ٠ ٠

ربما كنت فى حاجة الى حنـان ؟ ولكن ليس فقط حنـان الأم ٠٠ انمـا حنـــان المرأة فأنـا أريـد حقـــا ولكننى أيضا أملك القـدرة على العطـــاء ٠٠ والعطاء بسخاء ٠ حقا اننى أعطـى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتـى ٠٠ ولكن هـل يغنينى هذا عن علاقـة خاصـة جدا مع امرأة ؟ ٠٠ وهـل هـذه المرأة هى التى يمكن ان تنشـأ معها مثل هذه العلاقـة ؟

وظـل السـؤال بلا جواب حاسـم ٠٠ وجدت نفسى فى ذات الوقـــت

اقابلها يوميا أما فى عملهـا أو فـى أى مكـان آخـر كلما سـنحت لـى ظـروف العمل السياسـى . وذات يـوم كنت اقـوم بتوصيلهـا الـى منزلها قابلت وليـم اسحق ومعه صديقته التى تصـادف انها تعرفهـا . وذهبنـا جميعـا الى مرسـم وليـم وكان يطيب لـى ان اذهب اليـه كلما سـنحت لـى الفرصة فى جلسات انسانية رائعـة .

بعد أيـام عرضت على وليـم هذا السـؤال الذى لا أجـد لـه جوابـا .

سألنـى : هـل تحبهـا ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقـة انسانية وعاطفية

قلت : وفكرية أيضـا

ـ اذا توفـر يكـون أفضـل

ـ اذن فانـا لا أحبهـا

ـ ولكنك لا تستطيـع الاستغنـاء عنها

ـ ربمـا

ـ بـل من المؤكـد

ـ لنفرض ذلك

ـ فلتكن علاقـة

ـ حسـية ؟

ـ وانسانيـة

ـ احساسـى انها لن تكـون تلك العلاقة التى انشدهـا

قال ضاحكـا :

ـ وما هى مواصفـات هذه العلاقـة التى تنشدهـا ؟

قلت بأسـى :

ـ المصيبة لا أعـرف مقوماتهـا

واعدت مناقشـة هذه المسالة مع عـدد من الزمـلاء المقربين . بعـد المناقشة ازدادت حيرتـى . مشـكلتك هى العلاقـة الحسـية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشـكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتـك الـى الحنان . يا اخى تزوجهـا واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسـى حين تحل مشـكلتك الحسـية ... و . و . و . وتضاعفـت حيرتـى عشرات المرات وكادت تتحول الى أزمة نفسـية .

وذات مسـاء . . ودون أى حديث سـابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فورا وسألتنى أمتى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مأذون فى شارع الجيش ومعى صديقان مررت عليهما فى الطريق وجـاءا معـى كشـاهدين على العقـد وفى اليـوم التالـى قمت بايجـار غرفـة مفروشـة حتى اسسنا شـقة قامت هى بالنصيب الأعظم فى مصاريفهـا . ومكثت معهـا ١١ شهرا بعدهـا القي القبض علـى . وخـلال تلك الشـهور رغم كـل العناية التـى

كانت توليها لـي ، ورغم حنانهـــا وحبها وتفانيها الذى وصـل الـى حـد تكليفهـا ببعض الاعمـــال التنظيمية ، فاننى لـم أشـعر يوما بان هـــذه هى العلاقــة التــى احتاج اليهـــا ٠

حبيبتــى ٠٠

لقـد افضت فى حديثى عن زوجتى السـابقة قبل ان القاها فى **أول** زيارة بعـد صدور الحكم على **بالاشغال الشـاقة ١٠ سنوات** ٠ ربمـا عى محاولة لتفسير مسلكى الجـاف معهـا فى الزيارة ٠

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتشنج ٠٠

واحترت ٠٠ هل تبكى حزنا على مظهرى ٠٠ الملابس الممزقــة ٠٠ **والقيـــود** فى اقدامى ٠٠ وذقنى الطويلة ! ٠٠ أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لهــا بـــلا أى مقـــدمات

ـ انا افضل الانفصـــال

رفضت بشـدة رغم الحاحى وقالت انهـا تفضل الموت على الانفصال ٠٠ غير أنــه بعـد **٦ سنوات** لـم تقـم خلالها بزيارتى الا مـرات قليلة وصلنــى **حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال ٠**

الغريب اننى لم افكـر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة ٠ والاغـرب اننى لم أشعر بأى أسف بعـد الزيارة ولا بعـد ان انفصلنا ٠ حتى اننى خشيت ان يكـون موقفى هذا لا انسانيا ٠ على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعـد خروجى من السجن **بعـد ١٢ عـاما** ورغم مقابلتى الجـافة لهـا حين جـاءت لمقابلتى فقـد تزوجنا مـرة أخـرى بعـد خروجى بشهرين ثـم انفصلت عنهـا بعـد شهر واحد ولم أرها بعـد ذلـك ابـدا حتى اليـوم ٠ وايضـا لم أشعر بأى أسف رغم انهـا قامت بـكل ما يمكن ان تقـوم بـه امرأة من أجل رجل تحبـه حبـا مريضا ٠

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانيــة أحكى لك عنها فى الرســالة المقبلــة ياحبيبتــــى

٣ ابريل ١٩٧٧

بغـداد ٠

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتــى :

رغم شــدة القيــود التى كانت مفروضة علينــا خلال الزيارة ، فقد كانت الحصيله كبيرة · الأربعة أعـداد الأحيره من «راية الشـعب» جريـدة الحزب والعدد الأخير من « الحقيقه » نسرة الحزب الدخلية · ورسـاله من زملائنا فى الخارج، عرفنامن الرسالة اننا سوف ننتقل قريبا الى ليمان طره،وان حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنـا من قبل الاحزاب والقوى التقدميـه فى أوربـا مـد أحـدثت أثرهـا · ومرأنـا اعـداد « رايـة الشـعب » و « الحقيقـة » وكانـت لنـا عليهـا بعض الاعتراضات أرسلناهـا للمكتب السـياسى للحـزب · أمـا عن حالتنـا المعيشـية فقـد ارتفعت نسبيا حيث أصبح فى مقدرتنا أن نشترى سجاير وحـلاوة طحينية فقـد وضع أهالينـا فى كانتين السجن ٢ جنيه باسم كل منـا · وهذا شىء عظيم جـدا . فقـد أصبح فى وسـعنا ان نشـترى علب سردين وبلامون وبعض المأكولات الأخـرى ·· كانت سعادتنا كبيـرة وقضينـا الليـل كله تقريبـا فى القراءة والمناقشة والدردشة واحتلت أخبار الزيـارة جـزءا كبيرا من الوقت · · كان مجدى فهمى يملك القدر الأكبـر من حصيـلة الزيارة ·· حكى لنـا كيف تقـوم والـدته التى تقـدم بها السن بنشـاط كبير بين أهالى المسجونين السياسيين · تجمعهم أحيانا كى تذهب بهم الى مصلحة السجون لتقـديم مذكرة بشأن سـوء المعاملة مثـلا · وترسل البرقيات للمسئولين اذا اضربنـا عن الطعام لنطلب النيـابة للتحقيق · وحـدث حين وصل اليهـا خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير · · رفضت ان تسـلمه الى أحـد الزملاء الا بعـد ان تأكـدت من اخى مسعد بأنه يمكن الاطمئنـان اليه · ومجدى فهمى أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم ·· لا لأنه آخـر العنقود ·· ولكن لأنه « عنيد » وانسـان كمـا تقول أمه دائما ·· وتكمل·· خصوصا بعـد ما بقى سياسى ·· وكانت تخشى ان تقـول « شـيوعى » خوفا عليه ، حتى بعـد القبض عليه لم تقلها كى لا تـكون دليـلا ضـده فى المحاكمـة ، ولكن بعـد الحكم عليه لم يعـد هنـاك ما يمنعها من ذلك ، وزوجـات أخـوة مجدى وأولادهم يحبونـه كثيرا · عند كل زيارة تحـدث خناقـة بينهم · من الذى يذهب للزيـارة ؟

الأم تمسكت بحقها فى الزيارة باستمرار ‥ لكنهم اعتبروا ان هذا انانية ٠ واتفقوا على ان يقوم مجدى بحل المشكلة وكان الحل هو ان تأتى أمه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين الباقين الذين لم يزورونه بعد ٠ وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « **منى** » ابنه أخيه والتى كان مجدى فى شوق شديد لرؤيتها ‥ فقد جاءته فى « **الحلم** » قبل الزيارة الأخيرة بأيام !

ــ واخبار **الجو** أيه يا وليم ؟

لم يستطع ان يخفى رنه الاسى فى صوته ‥ وقال بسخريه :

ــ **جو أيه اللى أنت جاى تقول عليه**

ويكمل مجدى ضاحكا ‥

ــ **وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟**

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالألم :

ــ حب أيه ‥ و « جو » أيه ‥ سيبونا من الحكاية دى ٠

وليم اسحق فنان عبقرى ‥ وانسان يفيض رقة وعذوبة ‥ قدرته على العطاء « هائلة » كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها ٠ كان يحبها حبا جنونيا ‥ رسمها فى أكثر من **٢٠ لوحة** ، وكانت كلما تدللت عليه كلما ازداد تعلقا بها ٠ كان يدرك انها لا تحبه ولكنها لاتتركه لحظة واحدة حين يكون فى مرسمه ‥

ذات يوم وكنت فى مرسم وليم ‥ لاحظ اننى وضعت عددا من اللوحات التى رسمها لصديقته (٠٠٠) ورحت اتامل فيها قال :

ــ **عاوز تعرف أيه ؟**

ــ **عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك ‥ ولا يقوله لسانك**

ــ **وهل عرفت ؟**

ــ **لم اعرف ‥ وانما احس**

ــ **وماذا تحس ؟**

ــ لم أصل بعد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام ٠

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء المه ٠

ــ أنت يا درش ‥ ذكى جدا ‥ وغويط خالص ٠

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقته ٠ انه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط ‥ ولكنه كان يهرب دائما من هذه الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى المرسم قال لى فجأة ‥

ــ هنية قالت لك حاجة

فوجئت بالسؤال ٠ ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

حيث لاتجد فيه الاخر الذى ترده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبا من حياتها !

قلت

ـ راح تقول ايه يعنى ·· دى معجبة جدا بيك يا وليم

ادركت انى اخطأت التعبير · · وحاولت تصحيح الخطأ ·· لكنه أسرع يقول والألم يكاد يمزقه ·

ـ ما انا عارف ·· مجرد اعجاب ··

وساد الصمت دقائق ·· ثم جاءت صديقته (···) ·· ورأيت تعبيرات أخرى على وجه وليم ·· تعبيرات طفل عثر على لعبته التى ضاعت منه ·

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليم عن صديقته ·· لكننا فهمنا كل شيء · وتأكد فهمنا بعد ذلك ·· بعد القبض على وليم دخلت الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت اعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا واضع أمامه علامة استفهام ·

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على صوت « **البروجى** » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى « **التأديب** » ··

عندما فتح السجان الزنزانة قال :

ـ حضروا ملابسكم ·· حضرة الضابط جاى ·

ـ ليه خير ·· فيه ايه ؟

ـ والله ما انا عارف ··

عرفنا أننا مرحلون الى ليمان طره ·

قال الضابط (···) وهو يبتسم

ـ والله راح توحشونا يا جماعة ·· يعنى هى طره احسن من هنا ·

وتبادل الضابط معنا حديثا وديا · شكرناه على حسن معاملته وسعة أفقه · وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل ·

وحتى مامور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا بطريقة سيئة اعتذر عن ذلك [illegible] الاوامر من الجهات **العليا** · وتأثر الرجل كثيرا حين ملنا له [illegible] موقفه تماما · [illegible] منا من جانبنا نعتذر أيضا اذا كنا قد سببنا له أى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ البداية ولكنه ليس موقفا ضده ·

وكانت مفاجاة أن وجدنا بعض الاهالى على **باب الليمان** فى انتظارنا··

وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والجلوس معهم قليلا خلال الطريق الى **ليمان طره** · كان الضابط متأثرا الى حد كبير يريد ان يحقق لنا مطلبنا · · لكنه يخشى أن يراه أحد من **ضباط المباحث** ·· قال بود ·

– طبب سيبونى اتصرف ..

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينتظروا فى منتصف الطريق من الليمان حتى محطه السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من الماره تماما .

وسارت بنا عربة السجن التى تقلنا وعندما مرت بالاهالى وسبقتهم بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .

قال للسائق ..

– أنا نسيت أوراق فى ظرف على مكتب المأمور .. خد العربة وروح هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .

وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتنا لا يقل عن نصف ساعة بحثا عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيارة خاصة أكلنا خلالها لحما ودجاجا وأطعمه أخرى دسمه .

وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط سود

– ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة ثانية عند ليمان طره

وخرجت دعوات كثيرة من الأمهات ..

– ربنا يحميك لشبابك يا ابنى أنت واللى زيك

وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا **٣ مرات فى أقل من ٢٤ ساعة** حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود والاخبار .

وفى ليمان طره قابلنا زملاءنا الخمسة .. جمعونا فى زنزانة واحدة . مع **الحراسة المشددة** .

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمان طره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٥ ابريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتى .

لم ننم طول ليلة وصولنا الى ليمان طره ·· فبعد أكثر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وفى زنزانة واحدة · وكان جمعنا فى زنزانة واحدة امتياز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانة فى ليمان طره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجونا · وبينما تطفأ الأنوار فى الزنازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطرين » لا تطفأ أنوارها طول الليل ·· أيضا كأجراء من اجراءات الحراسة المشددة ·· وكان هذا ايضا امتياز اعطانا فرصة اعادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليها فى ليمان أبو زعبل والتى حصل عليها زملاءنا فى ليمان طره قبل حضورنا · كما ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمان على ضوء خبرة زملاءنا الذين سبقونا اليه منذ شهور · الفرق بين ليمان طره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق · الأول يضم « **وجهاء** » « المجرمين » والثانى يضم **حثالتهم** فضلا عن ذوى السوابق الكثيرة · **والفقراء الموجودون** بليمان طره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين ينوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التى يتفق مرتكبوها مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بثمنه · هؤلاء « الوجهاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مال ، يملكون ايضا « السلطة » · فهم لا يخرجون للعمل فى الجبل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخر ففى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بدلا منهم · والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كل انحاء السجن ، ويأتيهم من بيوتهم أو من « حروبى » أفخر أنواع المأكولات والمشروبات · حتى الممنوعة دائما · أما زياراتهم فهى تتم دائما فى مستشفى السجن حيث يدخل الزوار الى حجراتهم بالمستشفى ويمكثون معهم بالساعات تحت سمع وبصر ضباط السجن مع ان مدة الزيارة « الخاصة » لاتزيد عن نصف ساعة ·

و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نوع « الجريمة » ·· **كريم ثابت** « **المستشار الصحفى للملك فاروق** » · مثلا كان يعيش فى الليمان « **كباشا** » اذا سار يحيط به عدد من الضباط ·· ويضرب له الجنود « **تعظيم سلام** » عندما يمر بهم ·· ولا يمنع هذا ما يعرفونه عن الدور الحقيقى الذى كان يقوم به كريم ثابت خارج السجن ·

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التي يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات »
هدف اتصالنا بالمسجونين ادن هو تنفيذ اللائحة .
ووسيلة اتصالنا بهم هي **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .. يراسلونها .. ويوزعونها في **العنابر الأربعة بادوارها الستة عشر دورا** .
فكيف تختارهم في ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ .. نحن لا نحتاج في البداية سوى لأربعة أنصار .. لكل **عنبر** نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففي الليمان **جواسيس** زملاء للادارة وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة .. حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » .. كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان .. وبالطبع لم يعرفوا شيئا .
كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هي الاتصال بالمساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانة التي نعيش فيها في الدور الثاني **في عنبر ٤** تفتح علينا في الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل في الجبل كي نذهب الى دورة المياة التي **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانة ، وتتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانة معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها ليمنع أى مسجون من الاقتراب منها .
وكان قرارنا في تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت الجريدة . وتكليف الزميل الذى يذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون في المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الأول من « **الطريق** » شعارها **حمامة سلام** وقد مزقت **القيود الحديدية** برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .
كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟
وماذا كان موقف الادارة ؟
أحكى لك ذلك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٨ ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيبتـــي :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطريق** » يعنى بالنسبة لنـا علاقـــة وثيقــة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة • كان الليمان كله من رجـــال الادارة والمساجين يعرفون اننـــا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل• وبقــدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعـا بقــدر ما كــان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لــم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العـــــدد **السادس** ، أى بعــد شهرين ونصف فقــد كــان تصــدر كل ١٥ **يومـــا** • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايــدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمـــر المسجونين الذين بــدأو فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون **بالاضراب عن الطعام** ويرسلون الى النيـــابه شكاواهم •• الخ • اذكــر ان مأمور السجن جــاءنا يومــا على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنـــا بعــد منتصف الليـــل وهذا لا يحدث أبــدا الا فى حــالات خاصة فالمفــروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من **النيابة العامة أو بأمــر مدير مصلحة السجون** • فــى تلك الليلة كنت أول من استيقظ على صوت مفتاح الزنزانة •• ثــم صوت عال ••

ـ انتبـــاه ••

و« **انتباه** » تعنــى أن يقف المسجونون اســتعدادا للفتيش •

ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش**•• لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى الورق والأقـــلام والكتب والمنشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليـــل يثبت علاقتنـــا بالجريدة • وكنـــا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (•••) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحــد المسجونين الذى كان يثق بــه • والواقع أن هذا المسجون كـــان لــه العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدهائه أن يكسب لبس فقط ثقــة عدد كبير من المسجونين ولكن أيضـــا عدد من زملائنـــا الذين خـــدعوا فيــه • فقــد كــان الرجل يطمع فى أن يكــون هو مديــرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسعى الرجل الى كسب ثقــة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطــرق حتى شـــاع بين الجميع بأنه ســوف يرقى الى رتبة لــواء ويتولى منصب المدير • غير أنه فوجىء كما فوجىء الجميع بتعيين مدير جديد لليمـــان وكـــان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « **ناشفة** » ومكروها

من المساجين الذين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييأس المأمور (٠٠٠) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجه أمام المسئولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه عبر كفء لهذا المنصب ٠

ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس ٠ ولما لم يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العددين ، اطمأن اليه المسجون، بل ان بعض زملائى اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفتيشية** وكانت هذه النقطة محل نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وانتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ، وبالتالى اراد أن يستغل الفرصة ٠

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة خبيثة :

ـ لا مؤاخذة ٠٠ يا جماعة ٠٠ أعمل أيه ٠٠ أوامر المدير ٠

ـ خير ان شاء الله ٠٠ أية الحكاية ؟

ـ المدير الجديد ياسيدى ٠٠ **ضبط المجلة** ٠٠ كان حقكوا تاخدوا بالكو

قال أحد الزملاء بسخرية :

ـ مجلة آخر ساعة ٠

ـ آخر ساعة مين يا راجل ٠٠ دى مجلة الحكومة ٠٠ مجلة تانية ٠٠ شوف ومد الرجل يده الى ٠٠ لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت بعناية وكتب « **العدد الأول** » ٠

ـ ده العدد الأول ٠ ٠ لحقتوا تضبطوها ؟

وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا ٠٠ وأن تظاهرنا أمامه بالثقة فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى ٠ فقال غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش

ـ واقفين كده ليه ٠٠ فتش كويس

قال أحد الضباط :

ـ فتشنا يا أفندم ٠ ٠ مفيش حاجة ٠ ٠

قال بغضب أكثر :

ـ فتش فى **الحيطان** ٠٠ **فى الأرض** ٠٠ فى كل حته

ثم قال لأحد الجنود :

ـ روح هات **شاكوش** ٠ ٠

قلت بسخرية ٠٠ بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب

ـ وليه بقى الشاكوش ؟

ارتفعت نبرات صوته الغاضب

ـ أنت عارف كويس ٠٠ بلاش استهبال
قلت بحـــدة :
ـ حضرة المأمور ٠٠ قم بمهمتك حسب القانون ٠٠ ولا تــزد ٠
وكــان السجان قـد جـاء بالشاكوش ٠٠ أخذه المأمور وراح **يدق بــه** على جميع **جدران الزنزانة** وعلى **أرضيتها ٠٠ لكن** رجع كل الدقات كـــانت **صماء** ٠ كان يبحث عن **مخبأ** في الأرض أو في الحائط ولكن دون جدوى٠ كان المخبأ على غير العادة في **سقف الزنزانة** ٠ لا أحـد يتصور عمل مخبأ في سقف عـال ٠٠ فكيف الوصول اليـه ؟ لحفـر المخبأ ، ثـم لاستخدامه بعـد ذلك يوميـا ٠ لكننـا لمـدة **شهر ونصف** كان شغلنا الشاغل هو عمل هذا المخبأ ٠ حفرناه بموس حلاقة ، وكــان الزميل الذى يقوم بالحفر يحمله زميل آخـر ويحمل الزميلان زميل ثالث ٠ وكان العمل يبدأ يوميا بعد **منتصف الليل** حتى الفجـر ٠
ولمـا لـم يعثـر المأمور على ضالته ، أراد بعـد افتضاح أمـره أمامنـا أن لا يقطع حبل « الود » ٠ قال ٠٠
ـ يا جماعة أنا متأسف ٠٠ دى أوامر المديـر ٠٠ تصوروا صحانى من النـوم وأمـرنى بتفتيشكم بعـد ما جاب موافقة مديـر مصلحة السجون ٠
قلت ٠
ـ واسمعنى أحنـا بالـذات
ـ متفهمش ٠٠ دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومـد يـــده يناولنى الجريدة
ـ حتى خـد شوف ٠٠ اقــرأ
تظاهرت بتصفحها سريعا وقلت :
ـ طيب ما تصرفوا لهم **ملابس الصيف**
ـ هو انا لحقت ـ المدير الجديد جه من هنـا وكل حاجة ومفتش هنـا
ـ وقفت لــه
ـ مستنى أوامـر ٠ ٠
ثـم استطرد وابتســامة لئيمـة تملأ وجهــه ٠
ـ **والا أيــــه** !
قلت بابتسامة لهـا معناها
ـ الك حق ٠٠ وأنت الاحق
وفهم الرجل ما أقصده ٠٠ أنــه أحق من المديـر الجـديد بهـذا المنصب٠ أردت أن اطمئنه فهو وأن افتضح أمـــره بالنسبة لنــا ٠٠ يمكن الاســتفادة من تناقضه مع المديـر الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثـر ولمصلحـة كل المسجونين ٠٠
وفى صباح اليوم التــالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحـة وأن بدأت بالرمز ٠ قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد ان اخلى مكتبه

ـ أنا متأسف قــوى يا أستاذ ٠٠ أنت عارف دى أوامــر
قلت بســخرية
ـ أمــرك يا سيدى !
قال وقــد زالت ابتسامته ٠
ـ أحسن نتكلم بصراحــة ٠
ـ أحسن ٠٠ والمصلحة مشتركة ٠٠ على الأقل لفتــرة
ضحك الرجل وقــال
ـ وليــه لفتـــرة ؟
ـ لغــاية ما تتعين أنت مديــر
ضحك مــرة أخــرى وقــال
ـ ابــدا ٠٠ ابــدا ٠٠ هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
ـ يعنــى ٠٠
ـ يعنى أيـــه ؟
ضحكت وقلت
ـ الهدف راح يتغير ٠٠
قــال بخبث
ـ وبالتــالى التاكتيك
ـ أهو كـــده ٠٠
ـ يعنى نتفق على التاكتيك
ـ تمـــام ٠٠
ـ وفيك من يكتم السر
ـ فى عاشر بيــر ٠٠
ـ وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
ـ سرين ٠٠ واحد مؤكــد ٠٠ والثانى استنتاج حتى اعرف منك ٠
ـ أيه هوه المؤكــد ؟
ـ حكاية المجلة
ـ مضبوط ٠ ٠ والاستنتاج ؟
ـ مترتب على الأول
ضحك الرجل بصوت عــال
ـ برافو انا اللــى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشــكم ٠
قلت بابتســامة
ـ معلهش ٠٠ طلعت «آوت» المــرة دى
ـ يبقى نتفق ٠٠
ـ نتفق ٠٠ على أيه ؟
ـ ما انت فاهم ٠٠
ـ شيلنى واشيلك ؟

ـ تعجبنـي ٠
ـ والضمان ؟
ـ طلباتـــك ؟
ـ كله بوقتـه ٠
ـ يبقى اتفقنـا ٠

السياسة كمـا يقولون فن ٠ والشاطر هو الذى يلعب على التناقضات فى صفوف الأعداء ٠ هذا المأمور داهيـة ذكى ، ناعم ، لـه بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضـد المديـر الذى « اغتصب » حقه فـى منصب المديـر ٠ والمدير يتميز بالغبـاء الشديد مكـروه من الضباط والساجين والجنود ولا يدرى أن المأمور يعبىء الليمان كلـه ضـده لاحراجه أمام رؤساءه٠ ولقـد خلقت هذه المباراة ظـروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبـر قـدر من مطالب المسجونين ، فضلاً عن امكانية أكبـر لتحركنا بين الساجين والاتصال بهم وفى المقابـل لعب هذا المأمور الداهيـة لعبتـــه بذكاء ضد المدير الى حـــد جعله مهزلة أمـام كل المسجونين ٠

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

١١ ابريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٧)

حبيبتـــى

صـــدر العـــدد **السابع من مجلة الطريق** فى وقت كان فيـــه الليمان فى قمة الغليـــان • المأمور الداهية لـــم يعـــد يتصدى لحـــل أى مشكلة للمسجونين كما كان بفعل قبل قدوم المدبر الجديد،وكانضباط السجن معهبشكل أوبآخر •

وبالطبع استطاع المأمور فى ظل هذا الجـــو أن يورط المدير فى عـــــدد مـــن الأعمال الاستفزازية ضـــد جميع المساجين حتى أتى عمـــلا استفزازيا ضدنـــا وتحديناه باعلان **الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما** • كنـــا نخـــرج الى الجبل يوميـــا عـــدا زميلنـــا **وليم اسحق** حيث تعفيه اللائحة **من الأعمال الشاقة** اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها • وكان خروجنا الى الجبـــل بنـــاء على طلبنـــا وان كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور • وفى يوم من الأيام كان وليم يسير فى حوش الليمان مع حارس ولمـــا رآه المديـــر أمـــــر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفـــا بذلك اللائحة •،وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهـــال عليه ضربا ، ثـــم حمله عدد من السجانة الى الجبل •

ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عـــدد من الجنود وقد أحاطوا بنـــا من كل جانب تحت سفح الجبـــل ومعه المأمور وعلى وجهـــه ابتسامته الصفراء المعهوده • صـــاح المدير بأعلى صوتـــه :

ـ يا الله يا مذنب أنت وهوه •• كله يشتغل

لـــم يتحرك أحـــد منـــا من مكانـــه •

صاح مـــرة ثانيـــة وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتمـــــلا وجهـــه ابتســـامته الصفـــراء •

ـ بعـــد دقيقة واحـــدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة •• والا راح استخدم القـــــوة •

تقدمت اليه وقلت بهـــدوء •

ـ أحسن استعمل القـــوة

صـــاح بغضب

ـ أنت بتتحـــدانى •

قلت بهدوء أكثـــر

ـ لا اتحداك وانمـــا **اللائحـــة** هى التى تتحداك •

جن جنون الرجل •• وابتسامة المأمور تتسع أكثـــر

ـ اللائحــة ٠٠ اللائحة ٠٠ كل المساجين بتقول اللائحة ٠٠ مالها اللائحه
ـ اللائحة تمنعك من اخراج زميلنـــا بالقوة والاعتداء عليه ٠
ـ أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحــة
ـ لكن احنــا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! ٠

وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجنناه وواضعى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقــال ٠

ـ انا أوامــرى هى اللائحــة
ـ ونحن نتمسك باللائحه ٠٠ ونعلن **اضرابنا عن الطعام** ٠

تبك الرجل وازدادت ابتسامة المأمور اتساعا ٠ وهز الضباط رؤوســهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنتشرين تحت سفح الجبل يبلغونهم الخبــر ٠

وبعــد دقائق مــرت فى صمت ٠ انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنـــه ببعض كلمــات قال المأمور بعدها

ـ سعادة المديــر كلفنى انى اتفاهم معاكم
ـ نحن نفضل التفاهم مع النيــابة

صاح المديــر بغضب

ـ ودخلها أيــه النيابــة ؟

قلت بهدوء

ـ واجبهــا التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام

قال المأمور بلهجتــه التى نعرفها

ـ يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى ٠ ٠ وكل شىء بالتفاهم
ـ لن نتفاهم الا مع النيــابة

وبخبث شديد وجه المأمور كلامه الى المديــر

ـ يا سيادة المدير ٠٠ اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم ٠

لوى المديــر لجام حصانه ليعود الى الليمــان ونظرات الضباط والجنود والمساجين الســاخرة تلاحقــه ٠

همس المأمور فى اذنى

ـ واضح انكو مصرين على الاضراب
ـ أيــه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضــه ؟
ـ وبعدين ويــاك ؟
ـ يعنى علشان نأكــد لك ان احنا فاهمين بعض ٠

كان موعــد الغذاء قــد حل وأصوات تنــادى علينا بالذهاب « **بالقروانات** » لاستلام العدس أو الفول الذى كنــا نطلق عليه « **السوس الفول** » بــدلا مــن « **الفــول المسوس** »

التفت المأمور الى أحـد الحراس وقال
ـ روح هات لهم الغداء ٠٠ ثم التفت الى وقال
ـ والا أبـــه ؟
قلت
ـ آه طبعـا هـات الغدا أمـال أيـه ؟
امتقع وجه المأمور وتعبيرات وجهه تتساءل ، هل عدلنـا عن الاضراب ، وقال
ـ آه طبعـا مفيش داعي للاضراب
ـ احنـا مضربين
صاح المأمور بغضب
ـ أمال عـاوز الغدا ليـه ؟
ـ علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنـاه وتثبت ده في المحضر ٠٠ وألا أيـه ٠ ؟
ـ لك حق ٠٠ روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديه الليمان فى مكتبى ٠٠ وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكـره انشاء الله نعمل المحضر ٠
ـ بكره زى دلوقت ٠٠ والا أبـه يا حضرة المأمور ؟
قال بلهجـة تأكيـد
ـ طبعا ٠ طبعا ٠٠ أنا فاهم اللائحـة ٠
تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد ٢٤ ساعة من ساعة الاضراب ٠ لكن ادارة السجن عـادة لا تنفذ هذا النص الا بعـد مرور ٤ أيـام على الأقل ٠ وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسـائل الارهاب حتى يعدل المسجون عن الاضراب وبالتـالى لا يثبت فـى أوراق السجن ان اضرابا عن الطعام قـد حدث ٠ وبالطبع كنـا متأكدين ان المأمور سوف يفتح لنـا المحضر فى الموعـد الذى تنص عليه اللائحة بعـد ٢٤ ساعة٠ هكذا بـدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط والسجانة ، ومع تأكدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجون بخبر الاضراب بأقصى سرعة امعانا فى احراج المدير ٠ ونحن فى الطريق الى الليمـــان اقترب منى مسجون ـ من هيئة تحرير الطريق ٠ وهمس :
ـ أيه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟
ـ موافق وبأقصى سرعة
ـ وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة
ـ همتك أنت وزملائك ٠
ـ رقابنا ٠٠ انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة ٠
بعـد ٢٤ ساعة بالضبط كنت فى مكتب المأمور لعمـل المحضر ٠ فوجئت بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمـام مسئولية الاعتـداء على وليم وخرق اللائحة ٠ كذلك سب اللائحة والذين وضعوها ٠

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

ــ أيه رأيك ‥ انا قلت ابتدى أكتب المحضر ‥ أظن تمام كده ؟

قلت مبتسما ‥

ــ عظيم جدا ‥ بس شوية اضافات كده

ــ قوى قوى ‥ قول ٠

ــ يعني مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره

وقام المأمور باثبات هذه الطلبات ٠

عدت الى العنبر كي نحمل متاعنا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى « **التأديب** » ‥ زنازين انفرادية يسجن فيها **المخالف للنظام والمضرب عن الطعام** ٠ كان المسجونون في العنابر الأخرى والمنتشرين في الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بأيديهم **تحية** لنا وتشجيعا ٠ ومن استطاع منهم أن يقترب منا كان يعرض خدماته ٠ وعلى باب التأديب كان هناك من ينتظرنا كي يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » ٠ كان هذا العدد هو الثالث الذى تحرره اقلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منا كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم موقفنا من المدير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها ٠ وطالبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة حضورها للتحقيق ٠

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الأولى بعدها تكون المعدة قد تعودت على عدم استقبال الطعام ، ثم يبدأ التعب فى هد الجسم ٠ وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعد لا يزيد عن **٤٨ ساعة** منذ بداية الاضراب ٠ ومع أن مأمور السجن أرسل التحقيق الادارى الى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة فقد مضى **اليوم العاشر** ولم تأت ٠ والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيابة للتحقيق يعتبر هزيمة لنا ٠

كان عدم حضور النيابة شكل من أشكال الضغط التى بدأت **الحكومة** تمارسها علينا فقد أنهالت عليها **البرقيات** من عدد كبير من **الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالمية** فضلا عن **المظاهرات اليومية** التى كان الأهالى يقومون بها عند **رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية ومصلحة السجون** ٠ وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى رفضت الحكومة أن تبلغ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا ٠ أخذت المعركة طابعا

سياسيا . وقررنا الاستمرار فى **الاضراب عن الطعام** مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الاهالى .

وفى اليوم **الحادى عشر** صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها أمام الرأى العام العالمى . ونشرت المجلة مقتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومقتطفات من البيانات التى أرسلها **أهالى المسجونين** الى الجهات المسئولة .

وفى اليوم **الثالث عشر** ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى **المستشفى** الا فى اليوم **السابع عشر** بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول **العلاج الضرورى** . فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالتالى امتنع هو الآخر **عن الحضور** اليهما فى الزنزانة .

وفى مساء **اليوم السابع عشر** نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى **النيابة** لاثبات أسباب دخولهما المستشفى .. وفى صباح اليوم **الثامن عشر** علمنا أن الزميلين بين **الحياة والموت** وأن الطبيب كتب **تقريرا** بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى . وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم .

وفى مساء نفس اليوم **الثامن عشر** ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخيرا حضرت **النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن** وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

– قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل .

قلت :

– قبل هذا كله .. ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ أضرابنا عن الطعام .

قال :

– أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا .

– وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك .

وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

– هـل اخطرتم المصلحة بالاضراب فى الموعـد القانونـى ٠ ٠ ؟
التفت المدير الى المامور الذى قـال :
– أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك ٠
قـال المديـر :
– وأنا أرسـلته الى المصلحة ٠
سأله وكيل النيابـة :
– متـى ؟

لـم يجب ، وانتحـى بوكيل النيابة جانبا وأخذا يتهامسان ٠ ورغم الاعياء الشديد الذى كنت اعانيه ٠ كان ذهنـى يقظا لكـل ما يـدور حولـى ٠ انتهز المأمور فرصـة انشـغال وكيل النيابـة مع المديـر وهمس لـى وهـو يبتسـم بخبث ٠

– سمع كلامهم الشـفوى بالتليفـون وعطل ارسـال المحضر عشرة ايـام وطبعا هو اللـى راح يتحمل المسئولية ٠
عـاد وكيل النيابـة ومعـه المديـر وبدأت مساومة ، قـال :
– سيادة المديـر مستعد لأن يجيب كل طلباتكم ٠
– متشكرين ٠
– يعنى موافـق ٠
– ازاى ما أوافقش على اجابة كل طلباتنـا ٠
– يبقـى اتفقنـا ٠
– طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما ٠ ٠
– أمـال يبقى اتفقنـا على ايـه ؟
– على تحقيق مطالبنـا ٠ ٠
قال الرجل فى محاولة لاثـارة عطفنـا على المديـر الذى سـيتحمل المسـئولية ٠
– وأبـه لازمة المدير يتحمل المسئولية وكان عنده أوامـر ؟
– على من يتصـدى لوقـع المسـئولية ان يتحمل نتيجـة مواقفـه ٠

وامـام اصرارنـا انصرف المديـر تاركـا كل شـىء فى يـد وكيل النيابـة والمامور ٠ أرسل المامور لاحضار دفاتر السجن كى يثبت عـدم مسـئوليته وبالتالـى يلقـى المسئولية على المديـر الذى تأخـر فى ارسـال محضر بـدء الاضراب عن الطعام ٠ وبعـد أن اثبت وكيـل النيابـة ذلك كمـا اثبـت واقعـة الاعتداء على زميلنـا ولبـم ، حـاول المامور أن يوحـى لوكيـل النيابة بانهـاء المحضر فقلت :
– نتكلم بقـى عن مطالب المسجونين ؟
قـال المامور بغضب :

ـ أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟

ـ لانى مسجون زيهم ٠

وادرك وكيل النيابة أن فى الأمر شيئا لا يعرفه ٠٠ انتحى بى جانبا وسأل ، فقلت :

ـ أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع ٠

وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين ٠

ـ ملابس الصيف لم تصرف ٠

قال المأمور :

ـ بل صرفت ٠٠

سأل وكيل النيابة ؟

ـ متى ؟

ـ أمس ٠

سأل وكيل النيابة :

ـ أمس فقط ٠٠ **الصيف قرب يخلص ٠**

والتفت الى وقال :

ـ وأيه كمان ٠٠ قول :

ـ **كمية العسل قليلة ٠٠ ووزن اللحمة أقل من المقرر ٠٠ و ٠٠**

وأثبت الرجل كل شيء ٠ وقفل المحضر بانهاء الاضراب عن الطعام وعلامات الغضب بادية على وجه المأمور الذى قال :

ـ يعنى احنا حرامية يا أستاذ ؟

ثم اشار الى حذائه وقال :

ـ يا أخى ده أنا جزمتى مقطعة ٠

قلت بسخرية :

ـ أظن ده مش دليل كاف

قال بغضب :

ـ يعنى بتتهمنى ؟

ـ الجهة التى تملك الاتهام ٠٠ آهى ٠

وتدخل وكيل النيابة :

ـ يا حضرة المأمور أفتكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب ٠

ولأن المعدة لا تحتمل بعد توقفها عن العمل مدة فالمفروض أن تبدأ نشاطها ببعض السوائل ٠ وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب ، الذى ما كدنا نبدأ فى تناوله حتى فوجئنا بالمدير يأتى ومعه سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال وأكواب ٠ وراح الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير ، ولما شكرته قال بتأثر :

ـ يا ابنـى انتـو برضـه زى أولادى ·

تأثرنا جـدا بموقف الرجل وكدنـا نطلب من وكيـل النيابـة أن يعـدل المحضر حتى لا تقـع أى مسـئولية على المديـر · ان النورى الذى بحسـبه الناس قاسـيا ولا قلب لـه ، فى أعماقـه طفـل يتأثـر بأى عمـل طيب أو لمسـة انسانيـة ، والغريب أننا شعرنـا بعـد انتهـاء الاضراب ولأكثر من أسـبوع بانه كان يجب أن لا نحمـل المديـر أى مسـئولية وخصوصـا وأن المسـئولية الحقيقيـه تقـع على **الحكومة** وعلى وجـه التحديد **وزيـر داخليتهـا** الذى ينفـذ سياستها ، لقـد ظـل تساؤلنـا هذا قائما حتـى يـوم الاجتماع الكبير الذى دعـى اليـه مدير السـجن · فماذا حـدث فى ذلك اليوم المشـهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسـالة المقبـلة يا حبيبتـى ·

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتـــى

فى رسالتـى السابقة حكيت لك قصـة **اضرابنـا عن الطعـــام** وأسبابه ٠٠ وأهدافـه المباشرة داخل السجن ٠ غير أن أبعـــاد هذا الاضراب كانت أكبـــر من ذلك بكثير ٠ كانت لـــه ابعـاده السياسية داخل البـلاد وخارجهـــا فقد أصبحت قضيـة معاملتنـا كسياسين قضيـة حيـة فى أذهـان الناس وعلى عكس مـا كـان يتوقعـه **مدير الليـمان** الذى عطـل ارســـال محضر الاضراب الـى المسـئولين حيث كـان ينتظـر مسـاءلتـه قانونيـــا ، فقـد أطلقت يـده بشـكل كبير فـى الليمـان كـى يعيـد اليه « **النظـام** » ، الذى «**اختل**» خـلال الاضراب ٠ لكن المديـر لـم يفهم ماذا تعنيـه « **أوامـر** » اعـادة النظـام ٠ أما المأمور فقد فهمها جدا ٠ فهم انهـا مضايقتنـــا الى أقصى حـد ومحاولة استفزازنـا وعزلنـا عن المسـجونين الذين دعمت علاقتنـا بهم ٠ واقامـــة الدليـل على أننا وراء صـــدور جريدة « **الطريـق** » ، وحتى لا ينفضـح أمـر المأمور أمامنـا وأمـام المسجونين عامة راح الرجـل يوعز الى المديـر بتطبيق نظـــام صـارم فى الليمـان كله ليســـتطيع من خلالـه أن ينفذ مهمته ازائنـــا ٠

وبدأت الأوامـر تنهـال : ممنوع بيـع السـكر فى الكانتين حتى لا يستخدمه المساجين فى عمل الشـاى فى الزنازين ، فاشـعال أى **نـار** تحرمه اللائحـة ٠ لا يصرح لأى مسجون أن يشترى أكثر من **٣ علب سجاير** فى الأسبوع وبحيث لا يدخن الا خارج الزنزانـة نهارا فالمفروض أن لا يكـون مـع المسـجون **كبريت** ٠ وهكذا سلسلة من الأوامـر التى راح يصدرهـا المديـر لاعـادة « النظـام » بايعـاز من المأمور الذى كـان يجرى يوميـا تفتيشـا وهميـا لزنازين بعض المسـجونين ، وتفتيشـــا يوميا لزنزانتنـــا بهـدف اسـتفزازنـا ٠

كانت مجموعـة من زملاء « **حدتو** » قـد حـكم عليهم بالأشـغال الشـاقة ووصلوا الى السـجن خـلال اضرابنـــا عن الطعـام وبعـد صـدور حوالـى سـبعة أعـداد من مجلة الطريـق ٠ وكان المأمور بحـكم صلاتـه يعـرف أن هنـاك خلافـا بيننا وبينهم ، وبـــدأت خطتـه لتحقيق هدفـه بمحاولـة تعميق الخلافـات بيننا وبينهم ٠ ومع أن الزملاء كانـوا متنبهين الـى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل الشعر مع **زكي مراد** ، ويسمح للدكتور **شريف حتاته** بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن • لعب الرجل على خلافاتنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علاقتنا معهم • ومع أننا قلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمنى الذى جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم •

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضييق على حياتهم ، تكثرت لقاءاتهم مع المدير الذى كان يصر على اعادة « النظام » والمأمور الذى كان « يناضل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامى جدا » ! •

وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التعسفيه فى موعد أقصاه **عشرة أيام** • ويبدو أن ما نشرته « **الطريق** » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذى أوحى له أن يدعوا الى **اجتماع عام لكل المسجونين** ليناقشهم فى مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش •

حوش اللبمان واسع جدا • تتوسطه منصة عالية يسميها المساجين « **البرج** » • كان **المأمور الانجليزى** يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى **لينسلى** بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج •• وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! •

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت **الادارة البريطانية عن السجون** • حوالى ٤٠٠٠ مسجون يجلسون القرفصاء فى شكل مجموعات • يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون **المدافع الرشاشة** ، وكان مكاننا فى آخر الصفوف حيث جلسنا القرفصاء • يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسلحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم احد مأمورى السجن ، (•••) الذى كان يقف قريبا منى •• سألته :

ـ ايه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

ـ والله ما أنا عارف • علمي علمك •

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس المأمور الأول « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

– انتو عارفين . أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت **ضابط ملازم هنا** . فاكرين ؟ . وسرت همسات بين المساجين .. قطعها الرجل بصوت جهورى .

– النظافة أهم حاجة عندى . احنا **مسلمين** ونحب النظافة . تبادلت النظرات مع (...) الضابط المسيحى . . وسرت همهمات بين المساجين المسيحين .. واستطرد الرجل :

– وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرشه « **البرش** » « والبطاطين » من الصبح لغاية **التمام** .. حسب اللوائح والقوانين .

وعلت الهمهمات بين المساجين .. وبدت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام .. لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « **سعادة المدير** » من نصائحه وحديثه .. ويرتفع صوت الرجل .

– وممنوع الاتصال بالخارج منعا باتا . الجوابات .. والأكل اللى بييجى من بره ممنوع .. **العسكرى اللى بياخد ١٠ أو ٢٠ قرش من** المسجون ده حرامى ..

وبان الضيق على وجوه السجانة .. وسرت همهمات بينهم . . واستطرد المدير .

– والضابط لازم بفرض النظام .. مسالة **البلديات** دى لازم تنتهى .. الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه . .

هكذا استطاع المدير « بعبقريته » الفذة أن يكون جبهة ضده .. **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة .**

وعلت الهمهمات بين الجميع .. ووضع السجانة **الرشاشات** الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد . . واختلت صفوف المسجونين المنتظمة .. خرج بعضهم عن الصف .. ووقف البعض الآخر .. وطالب بعض المسجونين **بالتعقيب** على كلام المدير .. غير أن المأمور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير الينا .. قال :

– بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب ..

ويستطرد المدير :

– وهناك **قلة** لا وزن لها .. سنضربها بيد من حديد ..

وشعرنا أنه يشير الينا .

– **ألست** اللى تبعث برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (...) .

وغلى الدم فى عروقنا ٠٠ ووقف **سعد باسيلى** يقول :

ـ نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون ٠

ووقف الزميل **زكى مراد وقال :**

ـ نحن نحتفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية **سب علنى لاحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا !**

ووقف عدد من المسجونين بندد بكلام المدير ويطلب التعقيب ٠٠ وساد الهرج والمرج ٠٠ ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم ٠٠ ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم ٠٠ وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف ساعة ٠٠ تركه المسجونون يكمل ٠٠ قال وهو يشير الينا :

ـ أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرايبكم ٠٠ دى واحدة من ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو ٠٠ باعته تحتج ٠٠

ووقف زميل ثالث :

ـ وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ٠٠

ووقف مسجون يطلب الكلمة ٠٠ قال :

ـ يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان ٠٠ انت طول عمرك شديد ٠٠ واحنا طول عمرنا ضدك ٠٠ ومش راح نسمح أبدا بأيام زمان تتكرر تانى ٠

ووقف تان ٠٠ وثالث ٠٠ ثم وقف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه وتعسفه ٠٠ لم يقترب منهم جندى واحد ٠٠ أو ضابط ٠٠ عجز المدير عن عمل أى شىء ٠٠ وامتلك المأمور الموقف كله ٠٠ قال وابتسامة صفراء تكسو وجهه :

ـ يا للا يا سجانة كل واحد ياخد المسجونين بتوعه على العنبر ٠٠ لكن المسجونين لم ينحركوا من أماكنهم ٠٠ وقال المأمور :

ـ سادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

ـ لا عاوزينه يتكلم هنا ٠٠ معانا كلنا ٠٠

وقال آخر :

ـ لازم يسحب كل الكلام اللى قاله

وقال تالث

ـ مطالبنا لازم تتحقق ٠٠

وقال رابع :

ـ الفرش مش راح يطلع بره **الزنزانة** ابدا ٠٠ والكانتين لازم يرجع زى ما كان ٠٠

وهتف خامس :

ـ **يسـقط الظـلم ٠٠**

وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ٠٠

ـيسـقط الظلم ٠٠ يسقط الظلم ٠٠

ويتقدم الضباط الذين يتعاطفون مـع المسـاجين يطلبـون منهم الهدوء ٠٠ ويستجيب المساجين ٠٠ ويقول المدير بصوت ضعيف :

ـ يا أولادى انتـم فهمتونـى غلط ٠ راح انظر فى مطالبكم ٠

لـم يكترث بـه المساجين ، قاطعـوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لـم يحاول السجانة أو الضباط اعـادة الضبط والربـط ، وبصـوت منهوك طـلب المدير من المأمور أن يصرف المسـاجين ٠ وعـاد المسجونون الى عنابـرهم فـى **شبه مظاهـرة** لم يشهدها الليمان مـن قبـل يهتفـون يسـقط الظلـم ٠٠ يسـقط الظلم ٠ نريـد حقوقنـا ٠ نريـد حقوقنـا ٠ هـل سيعدل المديـر عن أوامـره التعسـفية ؟ ، وما العمل اذا لـم يعـدل عنهـا ؟ المديـر فـى موقف ضعيف ، والمسـاجين فى الموقف الأقـوى ، ويجب الاسـتفادة مـن هذه الظروف ٠ كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحـة ٠ واتفـق علـى أن يصـدر عـدد خاص من « الطريق » ، بعـد يومين يتضـح خلالهما الموقـف ٠

وبعد ثلاثة أيـام صـدرت الطريق **تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين** ٠ ولأول مـرة فى تاريخ ليمان طـرة يضرب كـل المسجونين عن الطعـام حتى تجاب مطالبهم ٠ وبالفعـل تحققت كل مطالب المسجونين ٠

أحكى لك قصـة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

٣ مايو ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتـــى

فى رسالتـى السابقة حكيت لك ما انتهــى اليـه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين • كان من الطبيعـــى أن يســـود المسجونين جـــو من الثقـــة بعـودة الحياة فى الليمان الـى ما كانت عليـه قبـل الاجــراءات التـــى فرضهـا المديـر • لكننا كنـا نرى غير ذلك • ان تراجـع المدير عـــن الاجراءات التى اتخذهـــا ـ على الرغم من انهـا كانت محـل مؤاخـــذة من رؤســائه ـ ســوف يخلق ظروفـا مواتية للمسجونين لتطبيق كـل بنـود اللائحة ، وهو أمـر لا يريد بعض **كبار الضباط** حيث يسد بابا « **للرزق** » **هم** حريصـون على أن يظـل مفتوحـا • هذا الدافـع الذاتـى سيدفـع بهم الـى اتخـاذ اجراءات شـاذه « **لتطهير** » أفـكار المسجونين من الأفـكار « **الهدامة** » •
وكنا نتوقـع أمرين : الأول : عمليـة تنكيـل بالمسجونين الذين تحـــدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشـديد الحراسة علينـا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنـا أو فـرض **معركـة للتنكيـل بنـا** • ومر يومـان ولـم يبـد فى الأفـق ما يشير الى عـدول المدير عن الاجــراءات الشـاذة التى وعـد بالغائهـــا • وعبثـا راحت كـل محاولات المسجونين لمعرفـة مـا يـدور فى رؤوس المدير وكبـار الضباط فـى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور •

المأمور الذى كان دائـم الصـلة بالمسجونين وعلى وجهـه ابتسـامتـه التقليديـة ، وعلى شـفتيـه الوعــود بتحقيق مطالب المسجونين اختفـى تماما • والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصـا فى اظهار تعاطفهم ويبذلون جهـــدا لاخفـاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبـار المسئولين فـى مصلحة الســجون وبين المديـر ، فهم على الأرجح كانـوا لا يعرفـون • حتـى السجانـة كانـوا يتوقعـــون شيئا **رهيبـا** ضدنـا بشـكل خاص ، وضـد المسجونين بصفة **عامـــة** • وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبـدى بعضهم استعدادهم لسـاعدتنـا •
فى مساء **اليوم الثالث** عقدنـا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركـــة التى سوف تفرضها علينـا **الدولة** • أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافيـا عن الوضع واقتراحات بعمل حمـلة واســعة من البيانات الى المنظمـــات الجماهيرية والنقابية والمهنيـة ، والى الهيئات العالميـة الديمقراطيـــة •

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية . كما أرسلنا خطابات الى أهالينا لتكوين وفود تذهب الى المسئولين . وأخرى لتتواجد بشكل **دائم خارج السجن** لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شىء ضدنا . وكان قرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى **الحياة ذاتها** ، بعد هذا القرار ، كان أمامنا فى تلك الليلة مشكلتان : الأولى **توصيل** ما كتبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة . والثانية هى الاتصال بهيئة تحرير « الطرق » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاجتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى **الاضراب العام عن الطعام** . كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يمضى بسرعة **والمؤامرة** بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، واختفاء المأمور المفاجىء وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل **الخوف** من المصدر الذى ينتظرنا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانيها من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته . ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والاكثر قسوة، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم تخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع . كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا .

كان صوت **سجان صديق** .. تبيننا صوته ولكننا لم نعرف من هو . قام **مجدى فهمى** من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة . قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة .

ــ **أهلا .. أنت « ... » جيت امتى ؟**

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى **بولاق** والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من **ليمان أبى زعبل** .

قال الصديق :

ــ **نقلت من ليمان أبو زعبل الى هنا . . من يومين فقط .**

قال مجدى :

ــ **لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام .. ولم يتغير ليل ولا نهار .. ايه اللى جرى .. ؟**

ضحك الصديق وقــال :
ــ جــاله مغص وخدوه على المستشفــى وجيت بدالــه ٠
ــ أيــه الصدفــة الغريبــة دى ؟
قال الرجل بكل الصــدق :
ــ ده تدبير ربنــا ٠٠ انتو نـاس جدعــان
قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :
ــ الله يخليك يا « ٠٠٠ » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة ٠
ــ رقبتــى يا مجدى ٠٠ ان ماكانش علشــان انتو رجـــاله ٠ فعلــى الأقــل علشــانك أنت ٠٠ ابن حتتى ٠
أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال لــه :
ــ دول لازم يوصلوا بأقصى سرعــة
ــ قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم ٠
ــ متشكرين جــدا ٠٠ أنت راجل عظيــم ٠
ــ يا مجدى لا شكر على واجب ٠٠ أنا متأكــد اننى باعمل خدمـــة لوطنــى ٠
ثــم يســـتطــرد ٠ ٠
ــ على قد ما أقــدر بقــى أنا مش زيكــو
ــ اللى بتعمله ده ما يقلش أبــدا عن عملنــا ٠
ويستطرد مجدى :
ــ بس فيه مهمة ثانيــة ٠٠ يمكن تكون صعبــة شوية ٠
ــ مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ٠٠
ويبدأ مجدى فــى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « **الطريق** » ٠ ويقاطعه الرجــل :
ــ أيــوه أنا سمعت عنهــا ٠
ــ قريتهـــا ؟
ــ لا ٠٠ لكن كــل المسجونين بيمدحوا فيهــا وبيحبوهــا ٠
ويعلق مجــدى :
ــ وأظن منتظرين صدورهـــا **بكــره** ٠
ــ تمام ٠٠ تطلب ايــه منــى ؟
ناوله مجدى خطـــاب موجــه الى هيئة تحرير مجلة الطريق ٠٠ وقال :
ــ عاوزين الجواب ده يوصــل **لعنبر ٢ للمسجون** (٠,٠٠) قبــل الســـجن مــا يفتح ٠٠ ممكن ؟
ــ صعبة أوى الحكاية دى ٠٠ لكن راح أتصرف ٠
ويصيح مجــدى :
ــ انت عظيــم ٠
وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى ٠

ويضحك السجان الصديق :

ـ عيه كل حاجة عظيم ٠٠ عظيم ٠ فين العظمة دى ؟

ويضحك مجدى :

ـ شيء هايل ٠٠ بلاش عظيم ٠

ـ يا عم لا هايل ولا عظيم ٠٠ أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ٠

ـ لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ٠

ويقول الرجل بثقة غريبة :

ـ ماشى ٠٠ استنى شوية لغاية ما أرجع لك تانى ٠

لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما ٠ الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا ٠ وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه ٠ تكيف يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق » ؟

بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة ٠٠ أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :

ـ كله تمام يا رجاله ٠٠ ناموا بقى ٠

ويصيح مجدى بفرح غامر :

عظيم ٠٠ انت هايل ٠

ـ تانى ! ٠٠ عظيم وهايل ٠٠ !

ويسأل مجدى فهمى :

ـ لكن ازاى وصل الجواب لعنبر ٢ ٠

ـ يا سيدى ده شغلنا بقى ٠

ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ ـ زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :

بسيطة قوى ٠٠ كان معايا علبة سجاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة ٠ وأخذت منها سيجارة وحطيت بدالها سيجارة تانية فيها الجواب ٠ وطلبت من السجان اللى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتتى (٠٠٠) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ٠

ويسأل مجدى :

ـ لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟

ويجيب الرجل بثقة :

ـ الا متأكد ٠٠ ودى فيها كلام ٠٠

ـ يعنـــى

ويقاطعه الرجــل ٠٠

ـ يعنى أيـــه بقـــى ٠٠ أمـــال فين الثقة بالشعب ٠٠؟

ويرد مجدى بلهجة ودودة :

ـ لك حق ٠٠ متأســف ٠

ما كدنـــا نطفـــئ أنـــوار **الزنزانـــة** اســـتعدادا للنـــوم حتى رأينـــا خيـــوط فجر يوم جديد تخترق قضبـــان نوافـــذ الزنزانـــة لتبـــدد ظلامها الدامس ٠ وجاءنـــا صـــوت مألوف على أسماعنـــا يؤذن **لصـــلاة الفجـــر** ٠ كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنـــا بان الرسالة قـــد وصلته ، وكنـــا قـــد اتفقنـــا معه على أنـــه فى حـــالات محـــددة ، وبعـــد ان يبـــدأ مؤذن الجامـــع المجـــاور لليمان بآذان المقطـــع الأول يبدأ هو فى الآذان ٠ وتأكدنـــا من وصـــول الرســـالة ومن اعـــداد العـــدد الخاص من « الطريق » الذى يدعو الى **الاضراب العام عن الطعام** ٠ وعن هذا الاضراب أكتب لك رسالتى المقبـــلة يـــا حبيبتـــى ٠

١٢ يونيو ١٩٧٧
القاهـــرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتـــى

الأقنعـــة الزائفـــة وان بـــدا بريقهـــا يخطف الابصـــــار ، فـــى لحظـــة من اللحظات ، لا تســـتطيـع أن تخفـــى تماما وجـــه صاحبها **القبيـــح** • عين الانســـــان الصـــادق تستطيـــع أن تخترق تلك الأقنعـــــة لتلحظ أقـــل تصرف ذاتـــى وتضـــع أمامـــه علامة اســـتفهام ؟ ويبـــدأ ســـقوط الأقنعـــة ، قناعـــا وراء قنـــاع حتى يتعـــرى تماما وجـــه صاحبهـــا ، ويبدو علـــى حقيقته ، شريرا ، دنســـا انتهازيـــا يسخر كل شيء وأى شـــىء مـــن أجل ذاتـــه • الغاية عنـــده تبـــرر الوسيلة • • ذكـــاء صـــفة أســـاســـية من صفـــات الانتهازى تعطيـــه القـــدرة على الخـــداع حيث يســـتطيـع استخدام كل الظروف لصـــالحه • لكن ، لأنـــه يفتقـــد جوهـــر الانســـان يفتضـــح أمـــره لكـــل المخدوعين بـــه عنـــد وضـــعه فى تجربـــة انسانيه •

المأمور (•••) الذى حدثتك عنه فـــى رسائلـــى السابقة ، واحـــــد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقـــات وفئـــات المجتمـــــع ، هـــذا الرجل الذى زعم يومـــا أنـــه صديق لنـــا وللمسجونين وخدعنـــــا فيـــــه بعض الوقت ، وكنـــا أكثر ذكاء منـــه حين استخدمناه لصالح المســـجونين ، وبالتالـــى لـــم يفضـــح أمـــره تماما لكـــل المسجونين ، ســـقطت كـــل اقنعتـــه الزائفـــة فى لحظة واحـــدة •

فى **ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام** والذى دخله كـــل المســـجونين ــ عدانا وباتفاق سابق ــ وعـــدا الاخوان المسلمين ــ فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنـــا ــ على غير العـــادة ــ ، بعدهـــا فتح بـــاب الزنزانـــة لنجدهـــا فى لحظـــة وقـــد امتـــلأت بعدد **كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور** •

قـــال وعلى وجهه ابتســـامة كالحـــة :

ــ هما الجماعة دول مضربين ليـــه ؟

ــ جماعة مين ؟

ــ المســـجونين •

ــ مسجونين مين ؟

ــ المسجونين كلهم •

ـ لكن احنـــا مش مضربين ٠
ـ ليـــه ؟
ـ علشـــان كـــده ٠
هو القيـــادة مش لازم تضرب المثل ؟
ـ أســـأل القيـــادة ؟
ـ طب ما انتـــو القيـــادة ٠
ـ عاوز أيـــه بالضبط ؟
ـ عاوز اثبات قانونـــى٠
ـ لكـــل مجتهـــد نصيب ٠
ـ وأنا مجتهـــد ٠ ٠ والا أيـــه رأيكو ؟
ـ فعـــلا ٠٠ بس انتهـــازى ٠

ووسط ضحكات الزملاء العاليـــة والســـاخرة ، وابتســـامات علـــى وجوه عـــدد من الضباط والسجانة ، ارتفـــع صوت المأمور عاليا :

ـ يا له يا ســـجان انت وهو ٠٠ فتش كل حاجة ٠٠

بعض السجانـــة قـــام **بتمزيق كل ملابســـنا** ، والبعض الآخـــر كان يفتش بطريقـــة **شـــكلية** ٠ وتناول المأمور « **جاكوش وأجنه** » كان يحملهـــا أحـــد السـجانة وأخـــذ بنفســـه يحفـــر اجـــزاء من أرض الزنزانـــة ، ومـــن جدرانها ، آمـــلا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيـــه الدليـــل القانونـــى الذى يثبت صلتنـــا **باضراب المسجونين** ٠ وبعد أكثر من ســـاعتين ، انصرف المأمـــور ومن معـــه وقـــد تركـــوا كـــل ملابســـنا ممزقـــة ، وجـــدران الزنزانـــة وســـقفها وأرضها وقد امتـــلأت بالحفر ٠ وبعـــد أقـــل من عشر دقائق جاءنـــا الســـجان الصديق يحمل لنـــا رســـالة من مســـجون صـــديق أرســـلها من « الجبـــل » ٠ ووقف على باب الزنزانـــة المغلقـــة حتى نقـــرأ الرســـالة ونعطيه الـــرد عليهـــا ٠ وكانت الرســـالة تحمل وصـــفا دقيقـــا للأســـلوب الذى تـــم بـــه الاضراب ، وللدور القـــذر الذى قـــام بـــه **المأمور** ضـــد المسجونين لتحطيـــم الاضراب ٠

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبـــل » ٠ كان كل شـــىء طبيعيـــا ٠ انتظمت الفرق المختلفة وبـــدأت فى **عملهـــا** ٠ **العمل** يبـــدأ عـــادة فى الساعة الثامنة حتى نوبـــة الظهـــر فى الســـاعة ١٢ حيث يأخـــذ المسجونون راحـــة لتناول الغـــذاء ٠ وعندما نودى علـــى المسجونين لاســـتلام وجبـــة الغـــذاء ذهبـــوا جميعـــا كالمعتـــاد وفى صفوف منتظمة يحملون « **القروانـــات** » ٠ وبـــدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كـــل يـــوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبـــوا بنفس الصفوف المنتظمـــة الـــى **مأمور « العمل »** ورصـــوا أمامه كـــل القروانـــات ، ثـــم عـــادوا الـــى حيث يجلســـون لقضـــاء فتـــرة راحـــة الظهيرة ٠ ذهب اليهم **المأمور** ومعـــه عـــدد **من السجانة يسألهم** ٠ ٠

ــ أيــه الحكاية يا مسجون انت وهو ٠ ؟
ويقف واحد من المجموعة ويقــول :
ــ مضربين عن الطعــــام ٠
ويذهب الى مجموعة أخرى :
ــ مضربين عن الطعــــام ٠
ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعــة ٠٠ الخ :
ــ مضربيين عن الطعــام ٠
لــم يفعل الضــابط شيئا ، ولم يعلق ، فهـــو من جانب يواجه موقـــف لــم يحدث فى الليمان من قبل ، وهو من جانب آخــر متعاطف مع المسجونين وارســل الــى المدير من يبلغـــه الخبر الخطير ٠ وبعــد أقــل من نصـــف ســاعة جــاء المأمور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصـــان جســـده السمين ، ويحمل وجهــه ابتســامته الصفراء :
ــ أيــه الحكاية يا جماعــة ؟
ــ **مضربين عن الطعــــام** ٠
ــ لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطونى فرصـــة ٠
ــ بقا لنــا اربع أيــام والاجراءات زى ما هيــة ٠
ــ لكن أنــا كنت فى أجــازة ٠
ــ وأديك جيت ٠٠ حقق مطالبنـــا ٠
ــ انتــم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدى حاجة
ــ طيب عاوز فرصـــة ليــه ؟
ــ علشــان أتصــل بالمســئولين ٠
وكــاد بعض المسجونين أن بخـــدع بقولـــه ٠ قــام مســجون صــديق وقــال :
ــ على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنـــا ٠
ــ لكن المسالة تأخذ كــام يوم ٠ ٠
ــ راح نفضــل مضربين الكــام يوم دول ٠
ــ طيب تعالــى انت ومعاك ثلاثة تانيين مغايــا نتناقش مع المديـــر والمســئولين اللى زمانهم وصــلوا الليمان ٠
وذهب معه أربعــة ٠ أثنــان من هيئــة تحرير « الطريق » واثنـــان من قــادة المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المدير عــدد من **كبــار ضبـــاط مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش** ــ قيــل انهم من **المخابـــرات العامــة** ــ وحاولت هذه المجموعــة من الضباط بالارهــاب تــارة والترغيــب تــارة أخرى انتــزاع أى كــلام منهم يشير الى اننا نحن الذين وراء الاضراب ٠ ولكن عبثــا راحت كل محاولاتهم ٠ قــال زميــل من الزملاء الأربعـــة :
ــ احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حــد وراء الاضراب ٠

سأله أحـــد الضباط :
ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟
قـال بكـل شـجاعة :
ــ أنا المسئول عنهــا ٠
قال الضـابط مهــددا :
ــ ده اعتراف ٠٠ أنا راح أقدمك للمحاكمة ٠
قـال الزميـل :
ــ ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون ٠
ــ طيب ليه بتطلعوهـا بطريقـة سرية ؟
ــ لأن الادارة لـم نسـمح لنـا باصدار جريدة علنية ٠
ــ وانتـو محتاجين لجريدة ليـه ؟
ــ علشـان تدافـع عن مطالبنـا ٠
ــ وأيـه مطالبـكم ؟
ــ تطبيق اللائحـة ٠
تدخل واحـد من ضباط الجيش :
ــ وأيـه اللى مش مطبق من اللائحـة ؟
ــ حاجات كتير ٠٠ الملابس لا تصرف لنـا فى المواعيـد المحـددة ٠ كمية الغذاء من لحـوم وعسـل وخلافـه ٠٠ كلها وزنها أقـل من الوزن المقرر فى اللائحة ٠
ووجه ضابط الجيش حديثه الى مدير الليمان والمأمور :
ــ صحيح الكلام ده ٠٠٠ ؟
قال المأمور :
ــ أبـدا غير صحيح ٠٠
قال الزميـل :
ــ أرجو الرجوع الى محاضر النيابة ٠
سأل ضابط الجيش مدير الليمان :
ــ أيـه محاضر النيابة دى ؟ ٠٠
لـم يجب
وحين تكرر الضابط السـؤال ٠٠ قال المأمور :
ــ يا أفنـدم ده قصـده محاضر النيابة الخاصـة باضراب الشـيوعين عن الطعـام ٠ وسـادت فتـرة من الصمت ٠٠
قال ضابط الجيش موجهــا حديثه الى الزملاء الأربعة :
ــ طيب انتو بقـى تروحوا لشـغلكوا ٠٠ وتفكوا الاضراب ٠٠ وراح نتفاهم
قال واحـد من الزملاء الأربعـة :
ــ أرجو أن تسمح لنـا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتـم التفاهم ٠

– لكن أنـا وعدتك ٠٠

– يا أفنـدم سمعنا وعودا كثيرة قبل كـده ٠ ٠

قال ضابط الجيش :

– لكن يا ابنـى احنـا **ضباط اتصال من قيادة الثورة** ٠

قال زميـل ٠ ٠

– يا أفنـدم نحن نحترم ونقـدر اهتمام قيادة الثورة ٠٠ لكن ٠ ٠

– لكن أيـه ؟

– ممكن تصدروا أوامـر فـورا بالغاء الاجراءات الأخيرة ٠ ٠

– طيب روحوا انتـو للشـغل ٠٠ ثم نـادى على المأمور وهمس فـى اذنـه ٠ ٠

وبينما كان الزملاء الأربعـة يعودون الى عملهم بصحبـة واحـد مـن ضباط السـجن وعـدد من السـجانة ٠٠ كان المأمـور يتجـه ومعـه عـدد من ضباط السجن والسـجانة الى عنبر ٤ زنزانـة رقـم ٦٤ حيث يقـوم باجـراء التفتيش الذى حدثتك عنـه من قبـل ٠ وفى الوقت الذى كـان المأمور فيـه يجرى تفتيش زنزانتنـا كان **مدير السجن** فى الجبـل يرتكب احدى حماقاتـه ٠ توجـه المدير بنفسـه الـى هنـاك تحيط بـه مجموعـة مـن الضباط والسجانة ورجال « **الهجانـة** » ٠٠ هذا يحمـل **مدفعـا رشاشـا** ٠٠ وهذا يحمل **بندقيـة** ٠٠ ورجـال « الهجانـة » يمسكون **بكرابيجهم** المعروفة ٠ كانت **مظاهـرة عسـكرية** لارهـاب المسجونين ٠ وبعد مناقشـة لـم تـدم أكثر من عشر دقائق صـاح المديـر بأعلـى صوتـه وهو يشير الـى الزميـل المسـجون الذى كان يناقشـه :

– اجلدوا المسجون ده **عشرين جلـده** ٠/٠

أسرع عـدد من السـاجنة ينصبون « **العروسة** » ٠ ٠ ويمسـكون بالمسـجون لربطـه عليها لتنفيذ حـكم الجلـد ٠٠ وقبـل أن يبـدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المديـر بكلام لم يسمعه المسجونون صـاح المدير مـرة أخرى :

– اجرى يا سـجان هات **طبيب** السـجن ٠

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حـكم الجلد الا بعد كشـف الطبيب علـى المحكوم عليـه بالجلـد ليقـرر اذا كـان يتحمل الجلد أم لا ٠ كـذا ! القانـون لا يمنع جلـد المسـجون **بالسياط** ، ولكنـه حريص على **أن لا يموت** ، لاحبـا للانسـان ولكن خوفـا من المحاسـبة ، لا مانـع من تعذيب المسـجون حتى يصـل الى حافـة الموت ٠ هذا ما يكفله القانـون للطغـاة الصـغار ٠٠ يتسـلمون المسجون حيـا وعليهم أن يحافظـوا عليـه حيـا علـى حافـة الموت فقط ٠ أمـا الطغـاة الكبـار فلا شـىء يحـد من **طغيانهم** ٠٠ **نهم أصحاب** البلد ومـا عليهـا **من بشر وما بهـا من ثروات !** ٠

جـاء طبيب السجن ٠٠ شاب حديث التخرج ٠٠ عرفنـاه من قبـل ٠ فقد وقف موقفـا مشرفـا خـلال **اضرابنـا عن الطعام** منذ مـدة ـ وقـد أشرت اليـه فى رسـالة سـابقة ٠ كان وجهـه يجسـد كل ما يعانيـه من آلام ٠ تبـا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكـون صادقـا فى مثل هذه الحـالة ؟ الواجب يحتم ذلك ٠ وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغهـا الطغـاة لارهـاب موظفيهم ٠ من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف ٠٠ الفصـل من الوظيفـة على أقـل تقدير ٠ ومن يطرح ضميره جانبـا فهذا هو الموظف الجيـد ، فهـو يقـوم بواجب الوظيفـة ! ما أفـدح الثمن الذى تدفعـه نظير صـدقك ! أن تكون صادقا مع نفسـك ومع الآخرين فانت بطـل اسـطورى ٠ الصدق فى العالم يا حبيبتى شىء نـادر ٠ وهو أكثر نـدرة فى عـالم الطغاة ٠

بـدأ الطبيب الكشـف على المسـجون المحكوم عليـه بعقوبـة القرون الوسـطى خـلال النصف الثانـى من القرن العشرين ! وضـع الطبيب الشاب سماعته على صـدر المسـجون ٠٠ وبـدأ الارتيـاح على وجـه الطبيب ٠ واتسـعت معالـم الارتياح على وجهـه حين قاس ضغط المسـجون ٠ كتـب تقريره ، وهم بالانصراف صـاح المديـر :

ــ يا للا يا سـجان نفذ الحـكم ٠

قال الطبيب :

ــ نفذه على مسـئوليتك ٠ ٠

ــ كيف ؟

ــ الضغط واطـى ٠٠ ونبضات القلب سريعة ٠

وأسـقط فى يـد المديـر ، انـه لـم يتعـود على مثل هذا الموقف ٠ ان كشـف الطبيب بالنسبة لـه اجـراء شـكلى ليس الا ، اجـراء لاسـتكمال **الشكل القانونـى ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون !** ، صـاح المدير :

ــ يا دكتور قـم بواجبـك ٠٠

قال الطبيب بهـدوء :

ــ لقـد قمت بواجبـى على اكمل وجـه ٠

صـاح المديـر :

ــ سأستدعـى طبيبـا آخـر ٠

قال الطبيب وهو أكثر هـدوءا :

ــ افعل ما شـئت ٠ ٠ ولكنـى لن اسـكت اذا نفذ **الحكم بالجلد** ٠

صـاح المديـر :

ــ سأجد طبيبـا آخـر يقـرر ما أريـده ٠

قال الطبيب فى تحـد ٠ ٠

ــ لن تجد ٠٠

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب · **رفض** زملائه الثلاثة اعادة الكشف على المسجون ·

عاد المدير مع **مظاهرته العسكرية** يحمل خفى حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة · ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب · انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانسانى · المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ · يحتضنونه بحب · يقبلونه ويهنئونه ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم · كانوا يكتفون بنظراتهم العطوفة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير · كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب · أقوى من **الارهاب والتعذيب والسلاسل** التى تقيد أرجل المسجونين ·

ارتفع صوت البروجى يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين ·

ـ **الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·**

وفى سرعة لم يشهدها « الجبل » من قبل انتظم الجوعى وأشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، **رنات مئات السلاسل** فى أقدامهم تمتزج بنغمات البروجى وأصوات المساجين الهادرة ·

ـ الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·

انتظمت صفوف موكب « **العبيد** » ، يحملون « **قرواناتهم** » بها وجبة الغذاء من العدس ليسلمونه الى ادارة السجن لعمل **محضر اضراب عن الطعام** · كانت الشمس تختفى وراء الأفق · يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات **قيودهم الحديدية** التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتها وايمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس · شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياه ·

وعلى غير العادة كان **مدير الليمان** يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن · وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن أحدا لم يهرب · فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا ينصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الغى كل الاجراءات التى اتخذها ، وأن كل شىء سوف يعود الى حالته الطبيعية · وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام · وقف

الزملاء الأصدقــاء من هيئة تحرير « الطريق » واحــدا بعــد الآخــر وأعلنوا باسم
المسجونين انهاء الاضراب عن الطعام • كانت هذه **أول مــرة** يتحــدث فيهـــا
مسجون باســم زملائه • فالمفروض أن يتكلم كل مســجون باســمه فقط
وكانت هذه أول مــرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية •
لكن أمــرا كان **مبيتا** ضــد الزملاء الأربعــة الذين قادوا المعركـــة وأمـــرا
آخــر كان مبيتا ضدنـــا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجـــع المديــر عــن
كل الاجـــراءات التى اتخذهـــا •
وفى الرسالة المقبلة ، يا حبيبتـــى : أحكى لك ذلك •

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتـــى

هكذا وبالاضراب العـام عن الطعام وبوحـدة كـل المسجونين الرائعـة تحطمت كـل الاجراءات الشـاذة التى اتخذهـا مدير ليمان طـرة ٠ وصدرت « الطريق » فى اليوم التالـى من **صفحة واحـدة** ، تحيـى وحـدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم ٠ وحذرت « الطريـق » من محاولات الادارة التى لن تتوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهى أى « **الادارة** » اذا كانت قـد تراجعت فانهـا سوف تنتهز أول فرصـة مناسبة لهـا للانتقـام من هزيمتها التى لـم تحدث من قبل فى تاريخ السـجون فى مصر ٠ ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أى شىء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد فى الليمان جو ودى وأخوى بين المسـجونين وضباط الادارة والسـجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقـة تتعارض مع طبيعـة تكوينه الانسانـى والنفسـى ، فضـلا عن أنـه هـزم فى معركة كانت موجهـة ضـده فى الأساس ٠ وبذل مأمور السـجن جهـدا كبيرا بين المسجونين كى يعود الى موقعـه القـديم قبـل أن يفضحوه ٠ حتـى نحن ؛ خففت الادارة **قيـود الحراسـة** المشـددة علينـا ، وعـاد المأمـور يتودد الينـا بشكل مبالغ فيه ٠ حتـى المديـر لـم يكن يعترض على بعض مطالبنـا التى كان يرفضهـا من قبل ٠ لـم نقابـل هذا الجـو العـام بالارتيـاح ، فنحن مسجونون فى قبضتهم يسـتطيعون التنكيل بنـا فـى أى لحظـة وليس هناك أدنـى شـك عند الادارة فى أننا كنـا وراء هذه المعركـة التى هزمت فيهـا ٠ فضـلا عن أن المعركـة كان لهـا طابعهـا السياسـى رغم جوهرهـا الاقتصادى ، وبالتالى فان الدولة لن تقف مكتوفـة الأيـدى ، **وأن مؤامرة تدبـر ضدنـا** ٠ كان هذا ملخصـا للرأى الذى انتهينـا اليـه بعد مناقشـة فى مسـاء اليوم الثالث للاضراب العـام ٠

وتشـاء الصدفـة أن يصلنـا فى نفس الليلة ما يؤكـد تحليلنا للموقف ٠ كان هنـاك سجانان يتبادلان حراسـتنا اثنـاء الليـل بصفة دائمـة ، وسـجان ثالث يتولـى حراسـتنا خلال النهار ٠ وكان هؤلاء الثلاثـة لا يتغيرون خلافـا لمـا يتم بالنسبة لباقـى المسجونين ، وذلك كـى تستطيع الادارة فرض الرقابـة على هؤلاء السـجانة وتفتيشـهم تفتيشـا دقيقـا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفـا من احتمال قيامهم بادخـال أو اخراج رسائل لنـا ٠ وكان من بين هـؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسـته

وصلته بالمباحث العامة • كان هذا الرجل بموم كالمعتاد فى تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التى تبدأ من غروب الشمس ـ موعد اغلاق الزنزانة ـ حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله فى الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد . واستمر هو فى الحراسة • فى الظروف العادية يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استفهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذى كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره فى حراستنا وهل هو أمر عادى ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش فى الصباح ؟ هذا الرجل يأتى باستمرار فى كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هى استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من ثقبها ليرى ما نفعل . واذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانه فهو لا يستطيع أن يرى بعينيه معاً من هذا الثقب الصغير ـ يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما الا أننا كنا نحتفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذى بدأ حوارا معه ، تبينا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجىء استفزازى ، وانما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادى :

ـ يا شاويش (•••) « اسم الحارس الآخر الذى لم يحضر » •

ـ عاوز أيه يا مسجون ؟

ـ الله •• هو أنت • ؟

ـ لا •• خيالى •

ـ وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

ـ عايز أيه ؟

ـ خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاويش (•••) •

قال الرجل بضيق :

ـ لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت •!

ـ ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب فى صوته •

ـ عيان ايه ده زى الطور •

قال وليم وهو يضحك •

ـ والله ما لهم حق • • بوظوا مشروعاتك •

ـ مشروعات أيه ؟

ـ يعنى •

ـ يعنى أيه يا مسجون •

ـ يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل فى الصميم • وقال بأسى وحزن :

ـ وأنا كنت جاهز على الآخر !

ـ ما هو أنت ممكن تستحمل ٠٠ لكن هى بقى ٠ ٠

قال الرجل بانزعاج ٠٠

ـ هى أيه ؟ ٠٠ ما هى تستحمل برضه ٠

ـ على العموم ما تفكرنيش ٠

ـ ما أفكركتش بايه ؟ ٠

ـ لأ مالوش لزوم ٠٠ أضايقك ٠ ٠

ـ تضايقنى ؟ ٠ ازاى ؟ ٠

ـ أصل أنا حصلت لى ظروف كده زيك ٠٠

ـ وبعدين ؟

ـ فى يوم كده كنت جاهز زيك ٠٠ ومراتى منتظرانى ٠٠ وما روحتش ٠٠

اشتد انزعاج الرجل وقال :

ـ حصل أيه بس ٠٠ قول ٠٠ ؟

ـ حصل اللى حصل بقى ٠٠

ويكمل وليم

ـ على العموم ما تشبلش هم ٠٠ مش كل الستات زى بعض

ـ أيه بس اللى حصل ٠ ٠ ؟

ـ رأسها وألف سيف لازم تتطلق ٠ ٠

ـ يا ساتر للدرجة دى ٠ ٠

ـ أصل ما عندكشى فكرة ٠٠ الست مش زى الراجل ٠٠ لما تجهز ٠

لازم يحصل ٠ ٠

ـ طب واذا ما حصلش ٠

ـ والله بقى ٠٠ مش عارف أقول لك أيه ٠

ـ يا نهار أسود ٠٠ طب دنا مسافر بكره ٠

ـ مسافر ٠٠ فين ؟

ـ أنا عارف قالوا لى أعمل حسابك بكره علشان تسافر فى مهمة من الصبح ٠

ـ واسمعنى انت يعنى ؟

ـفيه سجانة تانيين وضباط ٠٠ راح يسافروا ٠

ـ همه راح ينقلوا السجن والا أيه ؟

ـ أيه بتهزر ؟

ـ على العموم ما تاخدش فى بالك ٠٠ راح تتاخر كتير ٠٠ ؟

ـ أنا عارف راح اتهبب قد أيه ٠٠ الله يخرب بيت بتوع السياسة ٠٠

ـ وبتوع السياسة مالهم ٠٠ ؟

ادرك الرجل انه قد استدرج ، عرفنا نحن أننا سوف **نرحل** فى الصباح **الى أين ؟ هذا ما لا نعرفه** ٠ هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حواره الطريف معه ٠ وبدأ **مجدى فهمى** يعاونه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

الى المجهول صباح الغد · أخذوا فى تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتب لأخذها معنا · سلاحنا الدائم معنا هو الكتب · ونحن دائما جاهزون للرحيل نأخذها معنا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة ·

ويستمر وليم اسحق فى حواره مع السجان :

— وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

— ما أعرفش · أنا قلت حاجة ؟

— ولا أنا سمعت حاجة ·

— أمال بتسأل عن أيه · · ؟

— يا شاويش (· · ·) احنا رجاله وانت عارف ·

— وأنا مالى · · رجاله ولا مش رجاله · ·

— يعنى رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة

— حاجة أيه ؟ وأنا قلت حاجة ؟

— يعنى · · احنا برضه بنفهم · ·

— وفهمت أيه ؟

— فهمت اننا راح نترحل بكره ·

— وفهمت من مين ؟

— يعنى · · الكلام أخذ وجاب معاك · ·

— لكن أنا ما قلتش حاجة · ·

— يا راجل واذا كنت قلت · · احنا رجالة · · رقبتنا يا شاويش (· · ·) ·

ويرد الرجل مستعطفا · ·

— لكن أنا عملت فيكو كتير · ·

— يا راجل ما تقولش الكلام ده · · احنا اخوات · ·

ويستطرد الرجل بندم :

— صحيح يا أخى · · لسانك حصانك ان صنته صانك ·

— يا راجل ولا كأنى سمعت حاجة · · لكن راح يرحلونا فين ؟

— لا ما أقدرش أقول بقى ؟

— على العموم · · يعنى راح نعمل أيه لو عرفنا راح نترحل فين ؟

ويرد الرجل بود لم نعهده من قبل · ·

— ربنا معاكو · ·

— هو سجن زى كل السجون ؟

— مين عارف · ·

— حيكون أيه يعنى · · أبو زعبل ؟ · كنا هناك · ·

— يا ريت · ·

— فيه اكتر من ابو زعبل ؟

— أيوه فيه · ·

— فين ؟

ـ وراء الشمس •

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع وراء الشمس • واخذنا نضرب أخماسا فى أسداس • ربما سنرحل الى معتقل الطور ؟ لكن معتقل الطور يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين وأصبح مثله مثل كل السجون • ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى يقع وراء الشمس • كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى الزنزانة المجاورة • وصاح وليم باعلى صوته :

ـ دكتور شريف حتاته •

وصاح السجان :

ـ اسكت يا مسجون •

ـ يا شاويش عاوز أسأل الدكتور شريف على اسم دوا •

ـ طيب قول وأنا أسأله •

ـ أصل اسمه بالانجليزى ••

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة •

ـ فيه ايه يا وليم •• مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

ـ اسكت يا مسجون أنت وهو ••

ويقول وليم :

ـ يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور شريف •

ويطير صواب السجان ويصيح باعلى صوته :

ـ يا نهار أسود •• ورقة وقلم أنت عاوز تودينى فى داهية •

ويقول وليم :

ـ طيب تعالى اسأله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه • وأخيرا يقترح وليم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «جردل البول » وسيقول له اسم الدواء أمامه • يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا • وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاتة بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح بأى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا • كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد اعددنا أنفسنا للرحلة الى المجهول ، الى وراء الشمس كما

وصـــفه السـجان • أخلينـا كـل المخابـىء من ثروتنـا الثمينة من الكتب ، وقمنــا بتخبئتها بوســائل خاصـة تتبع عند الرحيـل • وبـــدأ دور مجدى فهمى المعروف • أخذ يحدثنـا بطريقتـه العبقريـة فى رفـع معنوياتنـا وشحذ هممنـا ، وتأكيـد ايماننـا بالقضية العادلــة التى وهبنـا حياتنـا مـن أجلهـا ، قضية مصر الحبيبـة وشـعبها العظيم وترابهـا المقدس • ثـم أخذنـا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنـى أغانـى سيد درويش • ومـع الأشعة الأولى لشمس اليـوم الذى سنرحل فيـه الى **المجهول** كنا نغنـى : طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد الحيـاة حين يعطـى اشـارة العمل للكادحين • ما أحـلاه حتى لنـا نحن الذين لا نعرف حتى هذه اللحظـة ، أي مكـان هذا الذى سنرحل اليـه ، هذا المكان المجهول الذى يقـع وراء الشمس • •

كيف رحلنـا ؟ والى أيـن ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتـــى

الايمـان ، الالتزام ، اليقين ، الانتمـاء ، كلمات تتداولهـا كثيرا ادبيات السياسـة والفكر والأيديولوجيـة • والمناضلون هم أكثر الناس ادراكـا ووعيـا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحـن المختلفـة التـى يتعـرض لهـا المناضلون ، وبصـفة خاصـة فى السجن تجسـد امامهم كـل ما تعبر عنهـا من مسئولية • فان تكون مؤمنـا بفكرة ، ملتزما بالنضـال من أجلهـا ، وعلى يقين من انتصارهـا ، وتتحمل مسـئولية الانتماء اليهـا وانت خارج السجن أمـر مختلف تماما عنـه وأنت داخـله • فى السـجن تجـد نفسـك أمـام اختبـار حاسـم أمـا الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيـار والاستسـلام • والثورى انسـان تمر بـه لحظـات ضـعف كما تمر بكـل انسـان ، لكن ما يفـرق الثورى عن الانسان العادى ، هـو قدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الـذات وهذه هى البطولـة •

ولحظـات الضعف التى مـرت بى وبزملائى خـلال الساعات القليلة التـى سبقت ترحيلنـا الى « وراء الشمس » كانت من اقسى اللحظات التى مـرت بنـا خـلال السـنوات السـابقة ، فى سـجن مصر ، وليمـان ابو زعبل ، وليمـان طـره ، كدنـا نصل الى يقين باننـا ذاهبون فى مكـان لاتمتـد اليـه الا يـد البطش والارهاب والتعذيب حتى الموت • ولم يكن امامنـا كى نجتـاز تلك اللحظـات الرهيبـة من الضعف الانسانى الا أن نؤكـد مـن جديد المعانـى العظيمة التى تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء تـارة بمخاطبة عقولنـا ، وقـد توليت أنا هذه المهمـة ، وتـارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها مجدى فهمى باسلوبه الساحر وتارة باستثارة كل مكنونات الانسان الخيرة وقـام بهـا وليم اسحق ، ثـم بحماس الشبـاب واندفاعه وكان محمـد خليفـه ـ عمره يومذاك ١٩ سـنة ـ ونحن نـردد وراءه الأناشيد الثورية والوطنية ، ثـم وحتى الدقائـق الأخيرة لمعرفة المكـان الذى سنذهب اليـه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الـذين عـرفتهم البشرية فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينيـة • هكذا قضينـا الساعات الأولى من صباح يـوم ترحيلنا بعـد فتح بـاب الزنزانة ، كـان المامور على راس الحملة التى قامت بالتفتيش بطـريقة عـادية تمامـا •

لاحظ المامور وجــود رمــاد ورق محروق فى « جردل البــول » هز راســه وابتعمــم ابتسامة حبيئــة وقــال :

— أيــه الورق المحروق ده ؟
— كنــا بنعمل شــاى ٠
— شــاى ولا شيوعيــة ؟
— ظـريفة ٠
— عجبتك ٠٠ ؟
— تعجب الباشــا ٠٠
— ما خلاص مفيش باشوات
— كل سنة وانت طيب
— قصـدك أيــه ؟
— قصدى اللى قلتــه
— والمعنى فى بطن الشــاعر طبعــا ٠
— فى أى بطن تعجبك
— كلام يحاسب عليــه القانون ٠
— قــم بواجبك
— غلبت وغلب غلبى معاكو
— ولســـه

وابتسم الرجل ابتسامة ماكـرة حاقدة ، وقال بصوت كـريه :

— كل واحـد يلم هدومه راح نرحلكو من هنــا
— فين ؟ ٠
— راح تعرف لما توصل

وتحـرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :

— سيبوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينــه ٠٠ هو مين هناك راح يقــرا مجـــلات !

وسـال سـجان :

— والكتب يابيــه ؟
— ياخدوها معاهم ٠٠ مفيش أى خطـر منها هنــاك ٠٠

ويستطرد :

— وكمان اذا لقيتوا منشــورات سيبوها لهم ٠٠ لاضرر منها هنــاك ٠٠ الشطارة بقى تجيبوا غيرها ٠

ويــرد عليه مجدى فهمى بتحـدى ٠٠

— طول مافينا نفس ٠٠ لن يتوقف نشاطنا ٠

وينصرف الرجل مسرعا ٠٠ بينمــا يقــوم السجانة بتفتيش شكلى ٠٠ ويهمس ضابط صديق :

ـ **الواحات الخارجة ..**

ويهمس آخــر :

ـ شدوا حيلكو .. ربنــا معاكو ..

الواحات الخارجــه ! من هو هذا الفاشي الذى تفتق ذهنــه الشرير عــن فكــرة **نفينــا فى قلب الصحراء** . كـــان الفاشست يلقـون بالمنـــاضلين الوطنيين الى **أفــران الموت** . وهؤلاء الفاشست ، هل بسوقونا الى المـوت جوعــا وعطشــا هــل ددروا لنــا الموت **بسم الثعابين فى الصحراء** . وانتبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقــول :

ـ لدغــة « **الطريشة** » هناك هــى والقبر على طول . .

وترتسم ابتسامة هادئة على وجــه **وليــم اسحق** ويقــول :

ـ مين عارف .. يمكن أول لدغــة « **طريشة** » تكون من نصيبك .

وتظهر ملامح خــوف على وجه هذا السجان الجبــان . لحظـــة صمت رهيب .. يقطعهــا صوت **الضابط الصديق :**

ـ يا جماعة ما تسمعوش كلام السجان ده .. مش للدرجة دى .

ويصيح فى الســجانة :

ـ يالله بقى .. مش خلاص ؟

ويلتفت الينــا ويقول بصوت ودود :

ـ شــوية كده .. ارتاحوا .. لغاية ما ننادى عليكو ..

وتمضى أكثــر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعــد أن أغلقت علينــا الزنزانة من جديد . **مجدى فهمى** باسلوبه البسيط المقنع يؤكــد لنــا أن النظــام أضعف من أن يقــوم بعمليـــة ابادة جماعية لنــا ، فمثل هـــذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمــر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانمـــا ايضــا فى العــالم التقدمى . ويذكرنا بموقف القــوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بهــا **ووليم اسحق** بصوته الانسانى العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل **أفكارهم وآرائهم** . **ومحمد خليفه** بصوته الجهورى الذى يفيض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقــول بكل التحــدى ..

ـ تشتتونا فى المنافــى .. واملأوا منــا السجون .

سوف تأتيكم ليــالى .. برقها عصف المنون

ثــم تنضم أصواتنا الى أصوات زملائنا فى الزنزانة المجاورة ..

بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .

وتفتح الزنازين .. وتستمر اصواتنا جميعــا تردد من الأعماق مصر انت اليوم حـــرة .. فوق جبين الدهــر درة .

يا بلادى عيشى حــرة .. واسلمى رغم الاعــادى .

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنــادق والرشاشات** ، تعــلو **هتافاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية** ، والحريات السياسية ،

انتظــار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التى تردد ٠٠ **الله أكبر ولله الحمــد** ٠٠ وتصل أصواتنا الى أسماع عــدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا فــى وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفــة الشجعة (كنــا قــد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنهــا فى رســائل مقبلة) ٠٠

وكان **مدير الليمــان** يقف منفوشًا كالديك الرومى ، يحيط به عــدد مــن السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعــدد آخــر يحمــل **مطارق وسنادين** ، وارتفــع صوتــه المرتعش يقول :

ـ أى نــوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فــورا** ٠

وترتفع أصواتنا :

ـ دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المديــر يــردد :

ـ أى خروج على النظــام ٠٠ معناه عصيان ، والعصيان فــى الســجن يقــابل **بضرب الرصاص فــورا** ٠

ماذا يريــد المدير من وراء ترديده هذه الكلمــة ؟

هل تبــدأ مؤامرة أبادتنــا باطــلاق **بعض الرصاصات الميته** لبعضنــا لارهاب من يبقى حيــا ٠ ترديد هذه الكلمــات اذن هى محاولة لاستفزازنا وجرنا جــرا الى **المؤامــرة** ٠ وبسرعة اتخــذنا قــرارا بالتوقف تمامــا عن الهتافات وترديد الاناشيد ٠ ومضت دقائق فى صمت رهيب ســاد الجميع ، المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الــذين يحرســونهم ، والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجــرى وما سوف يجــرى لنــا ٠ حتــى المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد ٠ صوت قطار يأتى من بعيــد ببــدد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخــان أســود كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطى ســماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة فى أشعة الشمس القــوية حين يتوقف نعيق « **قطار المــوت** » ويهمس صوت الضابط الصديق ٠٠

ـ أرجوكم ٠٠ نفذوا الأوامــر ٠٠ وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد٠

لقــد صــح ما توقعناه اذن ٠ هذا الصــوت الودود المخلص نثق فيـــه ٠ حياتنا ثمينــة ويجب أن نحافظ عليهــا ٠ كانت هتافاتنا واناشيدنا من أجل رفع روحنــا المعنــوية ولقــد أدت دورها ٠ حقــا ، ان الانسان موقف ٠ لقــد اخترنا بارادتنــا موقفنــا قبل السجن ٠٠ النضال من أجل حــرية مصر وحق شعبها فى أن يحيــا حيــاة كريمة ٠ ٠ وهو موقف ازداد اقتناعنــا بــه خــلال للسجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيــد عنــه حتى آخــر لحظــة مــن حياتنا ، وفى هذه اللحظة الحرجة التى تتعرض فيهــا حياتنــا للخطــر لــن يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » ٠ نعم لن نساوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب · ولكن يجب أن ندرك أن شعرة واحدة تفصل بين الموقف الثوري وبين الموقف المغامر · وقررنا أن ننفذ نصيحة **الضابط الصديق** ·

وارتفع صوت المدير في محاولة أخرى لاستفزازنا وجرنا الى **معركة الموت**:

ـ أكرر مرة ثانية ·· أي حركة من أي مسجون ستقابل **بضرب الرصاص** ·

ويلتفت الى حاملي **البنادق والمدافع الرشاشة** :

ـ الجنود ·· **في وضع الاستعداد** ··

وفي لحظة رأينا أفواه البنادق والرشاشات مصوبة الى **صدورنا** ··

ويسود الصمت الجميع ·· لاكلمة واحدة من أحد ·· بل ولا حركة ·

نحن والاخوان المسلمون نجلس القرفصاء على الأرض · أفواه البنادق مصوبة **نحونا** · والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيدا عنا ، وفجأة يبدد هذا الصمت الرهيب صوت « **البروجي** » يعلن قدوم « **اللواء** » مدير مصلحة السجون وبرفقته عدد من **ضباط الجيش** والسجون وعدد من **الأفندية ضباط المباحث العامة والمخابرات** · يتقدم اليهم مدير الليمان والمأمور ·· يلقون اليهم التحية ·· ويتقدمون جميعا نحونا · ويرتفع صوت غليظ ··

ـ انتباه ··

ونقف جميعا صفوفا منتظمة ··

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

ـ اقعد ··

ونعود الى جلسة القرفصاء « الديز »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « **الكابات** » الحمراء **والنياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الأفندية** » **الذين** تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هم أصحاب الأمر والنهي · ويستمر الهمس دقائق تمر كالدهر ، نشعر خلالها بأن آخر أنفاسنا معلقة بما يدور بينهم من همس · ربما يعنفون مدير الليمان الذي لم ينجح في تدبير **مجزرة** يروح ضحيتها عدد منا ؟ ربما يدبرون **مؤامرة بديلة** ؟ ويناقشون « أفضل » طريقة لاستفزازنا ؟ ·· على أي حال لن نستجيب لأي نوع من أنواع الاستفزاز ، دون أي تفريط في كرامتنا ، كما لن نقبل أي اهانة لافكارنا ·

ورأينا على البعد ·· واحدا من « **الأفندية** » يقبل نحونا ، الابتسامة الصفراء تكسو وجهه · يبدو أنه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

ـ انتباه ··

ونقف صفوفا في انتظار القادم · ويهمس الضابط الصديق :

ـ لا تستجيبوا لأى استفزاز ٠٠

ويذهب سريعـا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه ٠

ماهوذا « الافندى » يسير بين صفوفنـا فى خيلاء وغطرسة الجبنـاء ، ينظر لينا ، ويقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء ٠ واستمر هكذا دون أن ينطق بحرف واحـد ٠ لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخـالى ن أى تعبير ثـم عـاد الى « **هيئة أركان حرب** » وراح يتحدث معهم ، وساد لصمت مـرة أخـرى ٠ التفت الينـا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات ودة ، ثـم تركنـا واتجه الى حيث يقف **الضباط الكبار والأفنديات** بعـد ن همس لنـا :

ـ أروح أشـوف الاخبار ٠

ما الذى كان يريده ، هذا « الأفنـدى » ؟ وما معنى صمته التـام ؟ أنـه لم يوجـه الى أحـد منـا كلمة واحـدة لاستفزازه ، فقط كـان ينظر الـى يوننا ، ما الـذى كـان يريـد أن يراه فيها ؟ أنـه بالتأكيد لـم يـر فى يونـا شيئا مما كان يريـد ان يـراه ٠ لـم ير فيها غير بريـق التحـدى الاصرار ٠ وهؤلاء البشر يا حبيبتى جبنـاء ٠٠ أنهم بكل ما يملكون مـن دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمـام نظـرة تحدى واحـدة ٠ ولقـد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، فهل عـدل عـن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفظت فجـأة نبضـة ن ضميره الميت فاستجاب لهـا انسانيا ، وربمـا جبن أمـام نظـرات لتحدى التى وجدها فى عيوننـا ٠ ونرى من بعيـد الاجابة على وجه الضابط لصديق القـادم الينـا من جديد بعـد أن أصدروا اليـه الأوامـر التى لـم سمعهـا ٠ كنـا نعـرف ما يريـد أن يقوله لنـا من خـلال تعبيرات وجهه، كنـا قـد امتلكنـا القـدرة على أن نعـرف ماذا تحمل لنـا ابتسامته حين تكون انسانية ودودة ٠ وحين تكون حزينـة ، وعرفنـا من ابتسامته كـل شىء قبل أن يقـول لنـا :

ـ اطمئنوا أنا ساسافر معاكم ٠٠

مهمـا يكن الأمـر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنـا سوف يخفف كثيـرا من آلام رحلة العذاب الى « **وراء الشمس** » ٠

قـال الصديق :

ـ أرجو ان تنفذوا كل الأوامـر حتى نرتاح انفسنا وتستريح نفوسنـا ٠ اتفقنا؟

ـ اتفقنـا ٠٠

وبـدأت عمليـة اعدادنا للسفـر الى **الواحات** ، عمليـة تستحق رسـالة بكاملها ٠ فالى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٢ يونيـو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتـى

فى حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فى أقفاص من الحديد كى لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليهـا • وفى السجون يضعون **المحكوم عليهم بالأعـدام** فى زنازين تشبه هذه الاقفاص ، ليس خـوفا منهم علـى الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمـة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكـوم عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصـة **الانتحـار** ! فهل كانوا يخافون علـى الناس منـا ، أم يخافون علينـا حين كدسونا مقيدين **بالسلاسل الحـديدية الغليظـة** فى أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقـة بالقاطـرة التى جرتهـا الى **الواحـات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانمـا كـانوا يخافون أن نهـرب ! **الشيطان** نفسـه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كمـا قيدونا ، ووضعوه فى زنزانة حدرانها من اسياخ **الحـديد الصلب ، وعلى** كل باب من أبوابها يجلس **حارسان** يمسكان **بالمدافع الرشاشـة** وكل خمسـة أشخاص **مقيدون بسلسلة واحدة غليظة** ، اذا تحـرك شخص واحـد فلابـد أن يتحـرك الأربعـة الآخـرون معه ، وفوق هذا كله فالقطـار يجرى **بسرعة لا تقل عن** ٦٠ كيلو متـرا فى الساعة !

مازلت أذكـر بكل التفاصيل الصغيرة عمليـة اعـدادنا للترحيـل الـى **الواحـات** • قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زمـلاء ينـادون عليهم بالاسم من كشف كان فى يـد المديـر • بعـد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فى الليمـان حيث يجرى **دق السلاسل فى اقدامهم** ، فى سلسلة طويلة ، ثـم يذهبون الى « الزنزانة » فى القطار وفى كل « زنزانة » تكدست خمسة مجموعات • أى ٢٥ زميـلا فى زنزانة لا تزيـد مساحتها عن ٢ × ١٫٥ متر • جدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات • وبعـد أن انتهوا من عمليـة تكبيل كل **الزملاء والاخوان** المسلمين وتكديسهم فى « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحـو رحلة « المجهول » شهدنا من خـلال القضبان مشهدا بشعا تـرك فى أعمـاقى جرحـا لن يندمل أبـدا •

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور • **ومعهم « الأفندية »** ، ومدير السجن يقفون بعيـدا فى ركن من أركان حـوش

الليمــان ، وكان عــدد من السجانة يحمل « **العروسة** » ـ التى تستخدم لجلد المسجونين ـ وينصبونها فى وسط حوش الليمــان • وبعــد قليل شـــهدنا اثنين من زملاءنا المسجونين من هيئة تحرير « **الطريق** » ـ وقــد كبلت أقدامهم وأيديهم **بالسلاسل** ، يجرهم السجانة وعلى رأسهم المأمور • وعند العروسة يصدر المأمور أمــرا بفك سلاسل أحــد الزميلين واعــادة تقييده « **بالعروسة** » ثــم يصدر أمــرا بالجلد • أكثــر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العــارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آهه واحدة أو صرخه • ثــم اعادوا تكبيله من رجليه ويديــه بالقيود الحديدية • وتكــرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر • لو أن هــذه السياط نزلت على ظهــرى مــا تألمت مثلمــا تألمت فى تلك الدقائق • كنت أرى الألم يعتصر زملائى الذيــن يشاركونى **القيــد الحديدى** • كنــا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شىء حتى مجــرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بشجاعة نــادرة، وتحد كبير • كنــا نعلم أنهمــا ينــالا جزاء صداقتهم لنــا وصلتهم بنــا • وتبادلت مع **مجدى فهمى** الذى كــان يشاركنى **القيــد الحديدى** حوارا بالــغ الأهميــة فى دلالتــه ••

ـ انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنــا •

ـ بالتأكيــد بعــد أن فشــلوا فى الحصول على اعتراف منهما •

ـ **من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟**

ـ انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟

ـ وهما يتعاطفان معنــا انسانيا فقط ؟

ويتدخل **وليم اسحق** ـ وكــان فى سلسلة أخــرى ـ :

ـ وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى **هو الأساس** •

ـ وهل نقف هكذا مكتوفى الأيــدى ؟ •

ويضحك وليم ، ويقــول :

ـ ألسنا مكتوفى الأيــدى والأرجل كمــان ؟

وأبادله ابتســامة من بعيــد :

ـ ألسنتنا لــم تصل اليهــا القيود الحديدية بعــد

ويتدخل **مجدى فهمى** :

ـ يمكن أن يسكتوها الآن ، والى الأبــد ••

ـ كلمة احتجاج على الأقــل ••

ـ ربمــا تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصــول عليــه منهمــا •• ويستطرد ••

ـ **وربما تكون كلمــة السر •• بعدها تنطلق مؤامــرة لذبحنــا كلنــا او بعضنــا**

ـ **معك حق •• ليس أمامنا الا أن نعتصر الألــم ••**

ـ **ما يخفف آلام اللحظــة •• أن تعايش المستقبل فــى الوقت ذاتــه •**

ويأتى صوت وليم اسحق الساخر :

ـ لحظة ونفوت ولا حد يموت ٠٠ ياعم درش ٠

وتهدأ نفسى الثائرة قليلا ٠٠ لقد كدت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشى لمجرد انهما صديقان لنا ٠ ولو اننى فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيحتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذى كان سيعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا ٠ **مجدى فهمى** بهدوئه وسلوكه الموضوعى هو الذى منعنى من ارتكاب هذه الحماقة التى كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامره التى كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجدوا مبررا لها ٠

وتنتهى عملية **جلد** الزميلين ٠٠ ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « **التأديب** » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة القاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفى أشعة الشمس الساطعه ، ايذانا ببدء الرحلة الى ما « **وراء الشمس** » ٠

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات ٠٠ لكن أمثالنا من البشر تاتى اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس ياحبيبتى مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا ، فقد كنا نراه يوميا فى الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضاء التى يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش الليمان ، لكنا كنا نرى قضبانا ، وأذكر اننا كنا نسأل عن سر وجود هذه القضبان التى لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطانى الذى قام « جنوده » بتشييد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار فى نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشييد الليمان الذى لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذه أول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » ٠ وكانت هذه ايضا أول مرة يسير فيها قطار خاص فى بطن الجبل عرباته من **زنازين** ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التى اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! **هكذا** كان الحال منذ **الاحتلال البريطانى** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى ؟ بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن ٠ كان من المألوف عند خروجنا فى موكب العبيد اليومى الى الجبل او العودة منه أن نرى أمام بوابة السجن عددا كبيرا من اهالى المسجونين يلوحون على البعد لذويهم الذين يلمحونهم خلال ذهابهم او عودتهم فيطمئنوا الى انهم ما زالوا على قيد الحياة ٠ وكنا نرى ايضا الاهالى الذين

يأتون للزيارة ، ونـرى باعـة الفاكهة والمرطبـات منتشرين فى المنطقـة يقدمون للأهالى بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيـد ينتظـر مـرور القطار المتجه الى حلوان أو القـادم منهـا • فمن المعتاد أن يتخطى الطـابور قضبان مترو حلوان ، وكنـا نأنس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيونـا أن تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتـاة • كنـا نـرى كل يوم خـلال ذهابنـا الى الجبل أو عودتنـا منـه صورا مـن صور الحياة التى لاتتوقف ، فيزداد حبنـا للحياة ويزداد تعلقنـا بهـا ، ويتضاعف أملنـا فى أن نعـود اليهـا يومـا •

لكنهم فى ذلك اليـوم **حرمونا** حتى من هذه **الصورة الانسانية** ، المنطقة خالية تماما من أى انسان سوى **طابور طويل** من الجنود يقف على الجانبين يبـدأ من بوابة الليمـان وينتهـى عند بطن الجبل ، يحملون **المدافع الرشاشة** الموجهة الينـا نحن الذين نقبع فـى **الأقفاص الحديدية** وأقدامنـا مكبلـة **بالقيود الحديدية** ! وعلى بابى كل « **زنزانة** » يقف حارسـان فى ايديهمـا **المدافع الرشاشة** ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عـدد من الخيـول التـى يمتطيهـا ضبـاط السـجن ، تبطـىء أحيـانا وتسرع أحيانا أخـرى • وعلى البعـد يقف مديـر الليمـان ومأموره مـع **أصحاب الكابات الحمراء والأفندية** ، ويسير قطارنا نحو **المجهول** بين قطارين **أحدهما** قـادم من حلوان والآخـر متجه اليهـا وقـد أخليـا تمامـا مـن النـاس • تـرى كم ساعة تعطلت خلالها أعمـال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليهـا ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الـذى يحملونـه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطـارات الاحجار قطـار **زنازيننـا** الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس من داخلها • وهكذا سـار القطار من **ليمـان طـره** حتى محطة مصر بين رمال كلهـا صفـراء • ونباتات كلهـا شيطانية على سفوح الجبال ، والتـلال • محطـة مصر التى لا تتوقف فيهـا حركة ركاب الوجهين البحـرى والقبلى كانت خاليـة تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون **بمدافعهم الرشاشة** ومعهم عدد من **ضباط البوليس** وعدد من « **الأفنـدية** » يروح ويجىء على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك عـدد من لابسى الجلاليب واللبـد الذين يعرف هويتهم كل النـاس ، جميعهم ينتظرون مقـدم قطارنا ! على البعـد كنـا نـرى مجموعات مكدسة مـن البشر ،، فى انتظار الانتهاء من هـذه الحـالة الشـاذة ليركبـوا قطاراتهم • وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع **صيحة مدوية لامرأة** تبـدد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكـان فى عز الظهيره •

ـ الدسـتور •• الدستور •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين فى انحاء المحطة بمس كهربائى ،

واذا بأصوات عديدة تعلو فى قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر ·

ـ الدستور ·· الدستور ··

وترتفع أصواتنا من كل « **الزنازين** » ـ **نحن والاخوان المسلمين** فى صوت واحد :

ـ **الحرية ·· الدستور ·· الاحزاب**

وفى لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة ·· ولايستطيع البوليس المدجج **بالسلاح** ولاصيحات « **الأفندية** » من أن توقف زحف أهالينا والجماهير التى تعاطفت معها نحونا ونحن قابعين فى « الزنازين » تنوعت الهتافات ·· الدستور ·· الديمقراطية ، الحرية للشعب ·· وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالى والجماهير وهى تردد نشيدنا الخالد ·· بلادى ·· بلادى لك حبى وفؤادى ·

امتلأت محطة مصر بالجماهير تردد معنا فى حماس وقوة نشيد بلادى · بلادى · وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الأهالى أمام القطار كى لا يتحرك الا على **جثتهم** · وبدأت أغرب مفاوضة فى التاريخ بين أهالينا وبين رجال المباحث العامة · تقدمت زميله يحيط بها عدد **من الأمهات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة** ، قالت :

ـ نريد فرصة لمقابلة أولادنا ··

ويقول رجل المباحث :

ـ ولكنى لا أملك ذلك

ـ اتصل برؤسائك

ـ عندى أوامر بعدم الاتصال

ـ الأوامر يمكن أن تتغير ·

ـ وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

ـ لن يتحرك القطار الا على **جثثنا** ··

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومن يحملن أطفالهن واطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

ـ **فلتكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة** ··

وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ··

ـ انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا ·

ويرد السائق :

ـ يا ستى ما تخافيش ·· أروح فين من ربنا !

وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور ·· وتنشد : بلادى ·· بلادى · وتردد الجماهير والاهالى الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فتــرة قصيرة ويعود اليهــا مــرة أخــرى ويسأل :

ـ انتو عاوزين أيــه علشان القطار بتحرك ؟

ـ أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ..

ـ ماشى .. نصف ساعة تكفى .

ـ وان يسمح لهم بأخذ ما أتينــا به من أكل وملابس .

ـ موافق ..

ـ وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..

ـ الى **الواحات الخارجة** .. وسوف يعيشون فى خيــام ..

ـ وكيف سيعاملون ؟ .

ـ ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمــان** ..

ـ ومن يضمن هذا ؟ .

ـ هذا مالا أعرفه .. ربمــا زيارتكم لهم ..

ـ نريــد تصريحا بالزيارة .. غــدا .. أو بعــد غــد .

ـ هذا مالا أملكــه ..

ـ من الذى يملك ؟

ـ ادارة السجن ..

ـ مدير الليمــان موجود ..

ويهمس **رجــل المباحث** فى اذن مدير الليمــان الذى يقول :

ـ الزيارة حسب اللائحــة .. من يستحق ســوف يسمح لــة بالزيارة

ـ نريــد استثناء من القاعدة ..

ـ ساكتب لك تصريحــا ..

ـ ليس لى ..

ـ لمن اذن ؟

وتتقــدم احدى الأمهات تحمل على كل يــد من يديهــا **طفــلا** .. تقول :

ـ **الطفلين دول لازم يشوفوا أبوهم** .

ويطلب المديــر ورقة ليكتب عليهــا اذنا بالزيارة بعــد أن يسجل اسم الأم واســم زوجها وهو أحــد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » . كان قد قبض علية فى نفس اليوم الذى قبض على فيــه ولم يكن قــد مضى على زواجة أكثــر من **عــامين** . شهد مولــد احداهما ولم يشهد مولد الآخر .

ومضت نصف ساعة أمضيناها مع اهالينا فى احاديث مختلفة ، ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظــر الينــا بحب وعطف . وربمــا لأول مــرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون **نحو المجهول** ، وربمــا كــان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحــد شعاراتنا الدستور ، الحريــة ، الديمقراطيــة . ومن المؤكــد

أنـه خلق تقاربا بيننـا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية ـ كمـا سأتناوله فى رسائلى المقبلة ٠

كان منظرنا غـريبا ـ كقـرود أو أسود أو نمور فـى أقفاص حديدية ـ نتناول الأكل والفاكهة من بين القضبان ٠ المحظوظ منا هو من كانت والدته أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقـد استطاع أن يأكـل كميـات أكبـر من « طبيخ » البيت الذى كدنا ننساه وقبل أن يصادر لصالح الجميـع ٠ ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قـد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميـات من الأكل الجاهز ، « كبـاب » مثـلا ، حيث كـان ما زال أعزبـا ، فقـد استطاع أن يحصل لى من الاهالى على كميـات من « المحشى » الذى لـم أكن قـد ذقتـه منـذ سنوات ! ودار بيننـا حوار سريع لم يتسع سـوى لكلمات معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قـال :

ـ ميمى لـم تستطع الحضور ٠٠

ـ مش مهم ٠٠ لكن لـماذا ؟

ـ لم التق بهـا منـذ مـدة ٠

ـ والأخوة ٠٠

ـ كويسين ٠٠ كل واحـد فى حاله ٠

ـ المهم أنت عامل أيـه ؟

ـ كلفت بالاتصـال بكم ٠٠

ـ عندك آخـر الأخبار ؟

ناولنى علبـة سجاير هوليود « لارج » وقال :

ـ فيهـا كل ما تريدونه ٠

ـ ثـروة عظيمـة ؟

ـ أعظم مـا تتصور ٠٠

ومن بين قضبان « الزنزانة » كنت اعانقه ٠٠ بينمـا كانت صفارة القطار تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهبب » بظلالـه السوداء أروع صورة انسانية شهدتها محطة باب الحديد ٠ وتحرك القطار وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالى بحياة الدسـتور ، والوحـدة الوطنية ، وما كـاد يغـادر محطـة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا الحبيب الى قلوبنـا : بلادى ٠٠ بلادى ٠٠

وحين مـرق القطار بمزلقان « السبتية » تبادلت مع مجـدى فهمى نظـرات خاصة ٠ هنـا فى حى بولاق عاش مجدى فهمى وناضل مع رفـاق أعـزاء من عمـال السكة الحديد وشبرا الخيمة ، وهنـا ولد وعاش مع أمـه وأخوته ومع أهالى الحى البسطاء لـه ذكريات انسانية ٠ وشارع ابن الرشيد حيـث نعبـر مزلقـان السبتية ، فى حـارة جبيبة الحكيمة عشت أجمل سـنوات حياتى بعـد أن أتيت مع أبى وأمى وأخوتى من بور سعيد عـام ١٩٣٦ ٠

كنت ما زلت طالبا فى مدرسة تقع فى نفس شارع السبتية ٠ فى هـذا البيت ماتت أمى مبكرا بعد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قد انتظمت فى صفوف المناضلين من أجل مصر وشعبها ٠ يالها من أيام ٠٠ وجدت دموعا تجرى من عينى ، وأخرى من عينا مجدى ٠٠ قلت له فى محاولة لتخفيف آلاما أعانيها ويعانيها هو أيضا :

ـ فاكر يا مجدى البنت الطالبة فى مدرسة الأميرة فوزية ؟

ابتسم بهدوء وقال :

ـ وهو حد ينسى **احسان** ٠٠ كانت آية ٠٠ !

كانت « **احسان** » طالبة فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التى تقع أمام الورش الأميرية بحى بولاق ٠ وكانت تسكن مع أهلها فى شارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيمة » ٠ لم أكن وحدى الذى انتظر نزولها من بيتها صباح كل يوم وهى ذاهبة الى مدرستها سيرا على الاقدام ٠ كان كثيرون غيرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقان السبتية ، ثم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع فيه المدرسة أمام الورش الأميرية كانت فتاة بارعة الجمال ، خدودها كحمرة الخوخ ، وقوامها فارع ، وتقاطيع وجهها ٠٠ سبحان الخلاق ٠ لم أشعر يوما بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحترام كبير ، وترد عليهم التحية وابتسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

ـ ياترى اين هى الآن يا مجدى ؟ ٠

ـ نسيت أسأل أمى

ـ وأنا نسيت أسأل مسعد ٠٠

ـ آخر مرة شفتها امتى ؟

ـ يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) ٠

ـ أنا أسعد حظا منك ٠٠ شفتها قبل القبض على بأيام ٠

ـ اتجوزت ؟

ـ وخلفت ٠

ـ ولسه حلوه ؟

ـ وأحلى من الأول ٠٠

ـ لازم تجربة حب عظيمة ؟

ـ الحب الحقيقى يضفى على الانسان جمالا ٠

ـ معنويا ٠٠ نعم ٠٠ لكن بيولوجيا ؟ ٠

ويبتسم مجدى ابتسامته الودودة :

ـ طبعا ٠٠ الحب يعيد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حد كبير ٠

وتمضى الدقائق ·· أصوات الزملاء لا تتوقف ، تـردد نشيد **بـلادى · بلادى** · واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار · ونجد أنفسنا فى محطـة الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين يحملون **مدافعهم الرشاشة** امتلأت بهم ساحه المحطـة · وترتفـع ايـدى الزملاء من بين قضبان **أقفاصهم الحديدية** تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا ·

دقائق معدودة ويغـادر القطار محطة الجيزة · وما أن يدخل محطة الفيوم، ثـم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات والأناشيد · كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق على الاكثـر · وعلى كل محطة كنـا نجـد **جنود البوليس والمخبرين** الـذين انتشروا فى انحائها · والجماهير الواقفـة لتـرى « ما الحكاية » ربما كان قطـار « تشريفـة » ! ·· لكن « انفـار » التشريفـة غيـر موجودين تبقى الحكايـة مس تشريفـة بعضهـم دفعـة الفضـول ليـرى بنفسـه لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كـان يعـرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى والنجوع ، بدليل أننـا كنـا نجـد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافـات معينـة عندما يدخل القطار محطاتها · يعلق **مجدى فهمى** :

ـ يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ··

ـ ولكن ليس فى نفس المستوى ··

ـ نرسل اليهم ملاحظاتنا ··

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس، وكانت حناجرنا قـد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجـزة عـن تاديـة وظيفتها تماما · لقـد أدت مهمتها على طول الطريق من **القاهرة** حتى **أسيوط**· حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة ·· فشكرا لهـا ولندعها لتستريح بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة · فالطريق من **أسيوط** حتى محطـة **المواصلة** ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات الشيطانية المنتشرة على سفوح الجبـال والتـلال ·

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى **محطة الواحات الخارجة** · لتبـدأ رحلة السيارات الى **جناح** حيث يقع **السجن الجديد** ، كانت ليلـة تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتى

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « **المواصلة** » وهى المحطة الوحيدة التى لم نر فيها جنود « التشريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التى مر بها القطار من القاهرة حتى هذه المحطه التى تقبع فى **قلب الصحراء** ٠ كان فى انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللورى بها عدد من السجانة وضباط السجون على رأسهم الضابط (٠٠٠) وهو من الضباط الكبار فى مصلحة السجون، استرعى انتباهنا « **السوط** » الذى يحمله وتوجسنا شرا عاجلا ٠ وحين قال لنا :

ــ آهلا وسهلا ٠٠ « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » ٠

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح ٠ بعد فترة أمضيناها فى « **الزنازين** » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع أن نتبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسه أشخاص مكبلين **بالسلاسل الحديدية** ، وكنت من بينهم ٠ سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالى **متر على الأقل** ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن **ثلاثة أمتار** ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن **نصف متر** ، معنى هذا أن مجرد نزول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء الأربعة ، الأمر الذى يعرض الجميع ــ على الأقل ــ لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على تربيط السكة الحديد أو الأحجار التى بجانبه ٠ كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التى كنت بها وأنا أحاول مع زملائى الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون **بالسلاسل الحديدية** فنظر الينا حائرا ولم يتكلم ٠ اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسى ننزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بسخرية :

ــ كرسى ما ينفعش ٠٠ عاوزين كنبه ٠

ضحك الضابط ٠٠٠ بصوت عال وقال :

ــ أو سرير بسوسته علشان ما حدش ينجرح ٠

أنست اليه فقلت :

ــ هوه فيه حد مجنون يفكر فى الهرب من هنا !

ـ اقتراحك ؟
ـ **تفكوا السلاسل ..**
ـ **ما هي دي المشكلة ..**
ـ **مشكلة!؟ راح نفضل كده على طول ؟**
ـ **لا طبعا .. لكن كان لازم يكون فيه استعداد .**
ـ **استعداد لأيه ؟**
ـ **شاكوش وأجنة وسندال ، وحداد ..**

ولأول مرة أدرك أن هذه **السلاسل الحديدية** لاتفك الا بقطعها . السلاسل التى كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالأشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الأدوات . **والقيود الحديدية** التى كانوا يقيدون بها ايدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « **الترحيلة** » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « **بضاعة** » مطلوب « **شحنها** » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا فى أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفى معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى ـ على الأقل ـ أن يفكروا فى هذا الأمر . ويبدو **أن مأمور السجن الجديد** ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفى » .

قال وهو يضحك ..

ـ لكن انتم ازاى عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
ـ كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم
ـ وطبعا هما مش عارفين الوضع هنا ..

ويعلق أحد الزملاء بسخرية ..

ـ تلاقى ولاحد منهم خطى هنا ..

ويقول الضابط بمرارة ..

ـ وأيه اللى راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..

ويقول زميل :

ـ والا من بيوتهم المكيفة ..

وثان

ـ والا من سهراتهم الحمراء ..

وثالث

ـ وراح يتركوا صفقاتهم المريبة لمين ؟

وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنود أحيانا .

ويتنبه المأمور ، فيقـول ضاحكـا :

ـ أيـه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو والا ايه ؟ .

ويقـول زميل ·

ـ يعنى ·· مفيش فرق كبيـر ··

وتصدر عن المأمور تنهيده ويقـول :

ـ والله ما فيـه فـرق ·· المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ··

ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **المعسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** ·

المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العـربة فى حـوالى سـاعة ذهابـا وايابا قضاها المـأمور فى التعرف على الزمـلاء · راح ينتقـل بين عـربات القطـار ليتعـرف علينـا وعلى الاخوان المسلمين · وعنـد كل زميل أو أخ يدور حوار سريع :

ـ **الدكتور شريف حتاتة** ·

ـ انت قـريبى ··

ـ **زكى مـراد المحامى** ··

ـ لأ انت مش قريبى

ـ ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى ·

ـ **محمد شطا ·· عامل نقابى** ··

ـ باين عليك خطـر ··

ـ **وليم اسحق فنـان**

ـ **مغنـى ؟**

ـ **لا ·· رسـام** ··

ـ **ضمنا صـورة بالزيت** ··

وينتقـل الى الاخوان المسلمين

ـ بكباشى **فؤاد جاسر**

ـ بوليس

ـ لا جيش

ـ صـاغ **جمال ربيـع** ··

ـ طبعـا جيش ·· !

ـ دكتور **كمال خليفـة**

ـ طبيب ؟

ـ لا مهندس

هـدوء الصحراء يلف المكـان · أى همس يمكن أن تسـمعه · وهـواء الصحراء يلفح الوجـوه المتعبـة المنهكـة ، ونشـعر بان الـدم يجرى فيهـا من جديـد وهى **تمتزج بصـوت المامور الودود خـلال تعرفـة علينـا** ·

ونحس ببعض الأطمئنــان ولكنــه مشــوب بالحــذر . فنحن حتــى الآن لا نعــرف ماذا ينتظرنــا هنــاك فى السجن الجديد . لقــد مضى الكثير .. وستعرف كل شــىء بعد قليــل .

تعود العربــة التى ذهبت الى السجن الجديد وبهــا الحــداد ومعــه الأدوات اللازمة لقطــع **السلاسل** .. **ســندان** .. **ومطرقــة** .. **وأجنــة** . يصــعد الــى زنزانــة رقم ١ بالقطــار . ينظــر قليــلا الى السلسة الحديديــة المعلق بهــا خمســة أشــخاص ويوجه كلامه الى المأمور . .

ــ افكهم خالص يا بيــه ؟ .

ــ يعنــى ايــه خالص .. أمال نص نص ؟

ــ يا بيه أصــل لو فكيتهم خالص راح تاخــذ وقت .. يمكن لغاية بــكره بعــد الظهــر . .

وتبدو على وجــه المأمور تعبيرات تــدل على عــدم الفهم فيقول :

ــ مش فاهــم . .

ويقوم الرجل بشرح « القضيــة » ، فيقول :

ــ يا بيــه .. فى كل رجل « **حجلــة** » ودى تخينــه قوى تاخــد وقت على مــا تنقطــع .. لكن **السلاســل** ســـهل تاخــد وقت أقــل ، نقطــع السلاسل والا نقطــع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر . .

ــ قطــع اللــى تقطعــه .. المهم أنهم ينزلــوا من القطــر .. ويركبــوا العربــات .

ــ لكن يا بيــه اذا قطعنــا السلاســل .. وبعد كــده نقطــع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كــده . .

ويصيح المأمور بصوت عــال :

ــ والله ما أنا فاهم حاجــة .. حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضج الجميــع بالضحك .. ويتولــى أحــد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ــ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشــمة » .. ولما يطلــع مســمار البرشــام يمكن استعمالها بعــد كــده بمسمار برشــام آخــر ، لكن لمــا يقطع **حلقــة من حلقــات السلسلة** اللــى بين كل زميــل وزميــل ، معنــاه أولا أن السلسلة راح تبــوظ ، وثانيــا ان كــل زميــل ســيحتفظ **بقطعة سلســلة** و« **حجلــة** » فى كــل قــدم من قدميــه .. وبعد كــده **تقطــع** الحجلة .

ــ آه فهمت .. يا سيدى قطــع السلسلة ..

ويصيح ضــابط « **الترحيلة** » .

ــ السلسلة تبوظ .. ودى عهــده علــى ..

ويضج الزملاء بالضحك .. ويقول أحدهم :

ــ **واحنــا مش عهــده . .**

ويرد عليه ضابط الترحيلة :

ـ أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور ٠

ـ لا يا حبيبي أنا لسه ما اسلمتش حد راح استلمهم في السجن وأمضي عليهم هناك ٠

ـ طب وأيه العمل ٠٠ أنا لازم أرجع **السلاسل** ٠٠ دي عهده يا ناس ٠٠

ويعلق أحد الزملاء ساخرا ٠ ٠

ـ يبقى مفيش حل الا اننا نموت عنا ٠٠

ـ ما انتو برضه **عهدة** ٠٠ لازم أسلمكم **أحياء** ٠٠

ويعلق زميل :

ـ **والسلاسل** ترجع سليمة ٠٠

ويعلق آخر :

ـ معادلة صعبة ٠٠ ازاي نحلها !

ومرة أخرى يضج الحميع بالضحك ٠ هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون ٠ ومن الذي يضحك ؟ **المسجون والسجان** ! في لحظة تحولت المأساة الى ملهاة ! ٠

كان الأمر يستحق « **ثورة ادارية** » من أجل القضاء على **البيروقراطية** ٠ بدأها في تلك اللحظة مأمور السجن الجديد ٠ قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :

ـ قطع السلاسل ٠

ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :

ـ وأنا أعمل أيه ؟

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

ـ راح أمضي لك على وصل باستلام السلاسل ٠٠

ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة ٠ وقبل أن يبدأ الحداد في عمله مبتدئا بالزنزانة رقم ١ ٠٠ يأتي صوت من الزنزانة رقم ٤ ٠

ـ إحنا الأول ٠٠ إحنا الأول ٠٠

ويرد المأمور

ـ بالترتيب ٠ ٠

ويعود الصوت ؟ ؟

ـ أصل ٠٠ أصل ٠٠ ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض

ويضحك المأمور ويقول :

ـ بي ٠ بي ٠٠ والا كا ٠ كا !

ـ وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبدد هدوء

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ . الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول . فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات . يا لهذا الانسان .. كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة . ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه **سلسلة معلقة فى** « **حجلة** » . يمسكها **وليم اسحق** بيده ويقول ضاحكا :

ـ هيه دى بقى « **الحجلة** » الرئيسية يا درش ..

ـ دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم .. دول اثنين .

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك . سكون رهيب يمزقه بين الحين والحين عواء **الذئاب والثعالب** ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير الممهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة .. يبدو انها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور **معسكرات النازى** . الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم . ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا . أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنا فى الصحراء **نهبا للذئاب والثعالب والثعابين** .. وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، . ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « **طريشة** » أمر لا يمكن تصوره . وكيف يصمد الانسان للدغة « **طريشة** » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال . **أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة** ؟ . ان كل أفران النازى ومعسكراتهم .. كل اساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية **الموت بلدغة** « **طريشة** » .. والسبب .. « **قضاء وقدرا** » !!

وتقف بنا السيارات عند **باب السجن** .. مساحة واسعة من الأرض تحوطها **الأسلاك الشائكة** .. وأكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « **المعسكر** » . كان فى استقبالنا « ... » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا . قال المأمور :

ـ زى ما انتو شـايفين ·· **مخيمات فى صحراء** ··
ويقول احد الضباط :
ـ ما حدش يمشى حافـى
ويسال زميـل :
ـ **الثعابين كثيرة ؟**
ـ علمى علمك ·· لكن بيقولوا ان لدغـة « الطريشـة » هبـة والسبـر
ـ الله يطمنك ··
ويتدخل المأمور :
ـ يا جماعـة ·· دى مبالغات ·· مـا تخافوش ··
ويقول أحـد الزملاء بسخرية ··
ـ وطبعا من يموت بلدغـة « طريشـة » يقيـد « قضاء وقـدرا » ·
ويقول آخـر :
ـ يعنى بلا مسـئولية على ادارة السجن ··
ويقول المأمور :
ـ يعنى ·· ما احنـا عايشين معاكـو ··
ـ ويسال زميـل ·
ـ فى خيـم زينا كـده ؟ ·
ـ لا ·· فى استراحات فى « جنـاح » ··
ويقول الدكتور **شريف حتاتـه** ·
ـ وطبعـا عندكم كل الأدوية اللازمة ·
ويقول المأمور :
ـ والله يا جماعـة ·· أنا لسـه جـاى هنـا النهـاردة الصبح ·· الأوامـر اللى عندى تباتوا الليلة فى المخيمات ·· وانتظـر أوامر أخـرى بكره صباحـا ·
ويقول زميـل :
ـ ده اذا شـفنا « بكـره » ··
وبتدخل **صـلاح حافظ** ويقول بحسـم ··
ـ راح تشـوف بكره ·· وبعد بـكره ·· ايـه المطلوب منـا يا حضرة المامور ؟
ويعلق المأمور مبتسـما :
ـ آهو ده الكـلام ·· كـلام من يكتب عن انتصار الحياة ·
ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفـع أصواتهم تردد نشـيد ·· شتتونـا فى المنافـى ، واملاؤا منـا السـجون ·· سوف تأتيكم ليالـى برقهـا عصف المنـون ·
من بعيد يأتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتـور شريف حتاتـه :

يقـول لنــا :
ـ فيه هنــا أربع خيــام وبطاطين كثيرة ٠٠ وسرايــر خشــب ٠٠ انصبوا الخيــام والسراير ووزعوا البطاطين ٠
ـ كـم سرير تسـع الخيمة ٠٠ ؟
ـ حوالــى ١٢ سرير ٠٠
قلت لشريف :
ـ اذن خيمة واحـد تسـعنا فنحن ١١ زميلا ٠
ـ ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا ٠
ـ والخيمتين الآخرتين نستخدمها «**ميس**» للأكل ٠ ويقاطعنــا المأمور :
ـ خلو زملاءكم ينصبوا الخيــام والسرابر وتعالــوا معايــا ندبــر لكـــم أكـل احسن زمانكو جعتوا جـدا ٠
وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهـاد بنصب الخيـام ، وذهبنــا مع المأمور لتدبير أمـر الأكـل فقد مضى اكثر من ١٢ ساعة لـم نتنــاول خلالها شيئا ٠ كانت الساعة قـد تجاوزت **منتصف الليـل** وفى حجــرة من الصـاج فى طـرف من أطـراف المعسكر ٠ وجدنا مجموعــة من « **الحـلل** » الكبيرة ونصف « **عجـــل** » ملقــى علــى الأرض ،واكــوام من « الحطب » ، وشـوال من الفاصوليــا البيضــاء ٠
قال المأمور :
ـ آدى اللحمة اللى قدرت ادبرهـــا النهاردة ٠٠ شـوف كـده يا شريف خايف يكون أصابها التلف !
يتقدم اليها شريف ويشمها :
ـ لـم تتلف تماما ٠٠ يمكن أن تؤكــل ٠
ويقول المأمور :
ـ يا لله بقــى دبروا مســألة**الطبيـخ** ٠٠ ومعاكوا كـام مســـجون يساعدكوا ٠
وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبيــخ ٠ ويأتــى عــدد من الزملاء والاخوان الذين لهم درايـــة بالطبيخ ٠ ويتعاون الجميــع فــى اعداد وجبــة العشــاء ٠ هذا يمسـك **بالســاطور** ليقطـع اللحم ، وهذا يعـــد الفاصوليــا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشـــعل الحطب **وســـط الصحراء** ٠ وبعـد وضـع القدور الكبيرة على النــار المشـــتعلة ٠ يطمئـــن المأمور فيقول لنــا ٠٠
ـ فاضــل مسالة العيش ٠٠
فى مكــان آخـر أعـده المأمور بسرعـة ليكــون فرنــا بدائيــا وجدنـــا عددا من اجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء ٠ ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعـداد العيش ٠ مجموعـة تتـولى عجـن

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن ٠

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين ٠ كل في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

ـ الواحد كان ناسي أنه جعان ٠
ـ لم يكن هناك وقت للجوع ٠
ـ ده ألذ أكل الواحد كله في حياته ٠
ـ نعمة يحفظها ربنا من الزوال ٠
ـ يا سلام لو كباية شاى ٠٠
ـ يبقى آخر تمام ٠٠
ـ بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المأمور :

ـ جبت لكم شاى وسكر ٠٠

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ٠٠

ـ بس نعمله ازاى ؟
ـ ونشربه ازاى ؟
ـ يا أخى نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ٠٠

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء ٠٠ ويذهب آخر لاحضار أكواب البلاستك من الخيمة ٠ أربع أكواب فقط ٠٠

ـ ما تحافوش « جردل » الشاى على النار ٠٠ ما حدش راح يشربه بارد ٠

ـ المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف ٠
ـ والصعايدة يستنوا للآخر ٠٠

ويعلق زميل :

ـ والبحاروه ٠٠ ؟
ـ دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك ٠ ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة في أى مكان يتواجد فيه ٠ هذا المكان الخالي الا من **الثعالب والذئاب والثعابين والفيران** يتحول في لحظة الى مكان انساني ٠

يدندن **صلاح حافظ** باغنية لام كلثوم ٠٠

ـ سمعنا يا أبو الصلح ٠٠

ونتخيل صوته في هذا المكان الموحش كانه أعذب من صوت أم كلثوم ٠ يختلط صوته بصوت **محمد شسطا**

ـ أفرش منديلك على الرملة ٠

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

– افرش منديلك على الرملة ٠٠

وينتهز زميـل اسكندرانـي فرصة ليدخل بصوته ٠

– يا بنات اسكندريـة مشيكم على البحر غيـة ٠٠ بدلة الحمـام عليكو خللت العرسـان تجيكوا ٠٠

– أى والله الصيف بـدأ ٠٠

– اسكندرية زمانهـا مليانـة مصيفين ٠٠

– احنـا لسـه فى يونيو ٠٠ يوليو تبقى زحمة ٠٠

ويرتفع صوت المرحـوم « **خليل قاسم** » باغنيـة نوبيـة ٠ برقص عليها **هو وزكى مراد** المحامى ٠ لوحـة راقصـة نوبيـة لـم نشهدهـا من قبـل وتشـد أنظارنـا وأسماعنـا ٠ نصـفق بأيدينـا ونـردد كلمـات أغنيـة لا نفهم معناهـا ولكن يطربنا ايقاعها ٠

ونلمح فى الأفـق تباشير فجر يـوم جديد ، ونسـمع صـوت مؤذن الاخوان المسلمين ينـادى على « الصلاة » ، ويعـود الهدوء من جديد ٠ ولأول مـرة منذ ما يقرب من ٢٤ **ساعة** نحس بالأمان ! وننصرف الى النـوم سـاعات قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنـا فى **سجن « جناح » بالواحات الخارجة** ٠ يـوم يستحق أن أخصص لـه الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

اول يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٥)

حبيبتـــى

رغم احساســى النسبى بالأمان مع بزوغ فجر اول يــوم لــى فــى سجن ، جناح ، **بالواحات الخارجـة** ، الا اننى ـ واحسب أن كل زملائــى أيضــا لـم تغفل عيوننا **ســوى دقائق** ٠ ما أن دخلنــا الخيمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشـــبية ، وسحبنا البطاطين على اجســامنا ، وبعــد تعليقات سريعـــة ، ســاخرة أحيانا ، وجــادة أحيانا أخرى ، حتى ســـاد الصمت بين الجميــع ٠ لكن الحوار كان متصـــلا ، بين كل زميــل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهـــدوء ، يقطعه بين الحين والآخــر عواء ياتى من بعيــد **لذئب أو لثعلب** ثم تعليقــات سريعة للزملاء ٠ ٠

ـ ذئب أو ثعلب ؟

ـ هــل يبعـــد عن هنا كثيرا ؟

ـ لا تخافوا ٠٠ الذئاب والثعالب تخشى النــور ٠

ـ النــور أو النــار ؟

ـ اقترح أن نشـــعل نــارا على باب الخيمة ٠٠

ـ نــور المعســكر يؤدى المهمة ٠٠

ويســـود الصمت ٠ ثـم تعود التعليقــات عندما نســمع العواء مــرة أخرى ٠ وتقــل التعليقــات تدريجيــا حتى تتوقف تماما حتى مع اســتمرار العواء ٠ هكذا ، العواء ليس أكثر من عــواء ، سـواءا كان عــواء حيوانــات مفترســة أو عواء آدمين ، فتأثيره فى الحــالتين مؤقت ٠ حتى محـــاولات الافتراس التى تاتــى بعد العواء ، يمكن للانســان أن يقاومهــا ويصــــمد فى وجههـــا ، لكن ما العمــل مع لدغــة « **الطريشــة** » التى تحدث فى لحظــة ودون اى مقدمات ! ربما تــكون خطتهم أن نعامــل هنــا معاملة عاديــة ، ونعيش حيــاة اشــبه بحيـــاة المعسكرات ، ويترك أمــر موتنا **للثعابين والحيــات** وخاصــة « **الطريشة** » مــرة أخــرى تسرى فى جسمى رعشــــة شـــديدة !

وتنفذ اشــعه الشمس القويــة من فتحــات الخيمة تبعث الـــدفء فى اجسامنا فننمض البطاطين التى كانت تقينــا بــرد ليــل الصحراء ٠

ـ صباح الخير يا زملا ٠٠

ـ صباح الخيــر ٠ ٠

ـ صباح أيه دا ظهــر

ويضحك زميـل :

ـ ظهر مين ٠٠ انت لســه شـفت الظهر في الصحراء ؟ ٠

ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يـوم لنـــا في سجن « جناح » بالواحات الخارجـة ٠ ما زالت فـكرة الموت بلدغـة « طريشـة » مسـيطرة على ، انـادى بصوت عـال على الرغم منـي ٠٠

ـ دكتور شريف ٠٠ دكتور صـلاح ٠ ٠

يخرج الاثنـان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بـدأ على وجههمـا الانزعاج ٠

ـ أيـوه ٠٠ فيـه حاجـة ؟

كانا يفكران فيما أفـكر فيـه وحسبا أن أحـدا قـد لدغتـه « طريشـة » ٠

ـ ما فيش حاجـه ٠٠ بس كنت عاوز اتكلم معاكـم ٠٠

ـ يا أخـي خضيتنــا ٠ ٠

ـ متأسـف ٠٠ بس كنت عاوز أطمئن ٠٠

ويرد شريف حتاته بهـدوءه المعروف عنـه ٠٠

ـ دى بقى مش سياسـة ٠٠ سيب العيش لخبازينه ٠٠

ـ وانت الخباز الوحيد هنـا ٠

ويتدخل صـلاح حـافظ :

ـ وأنا مش خباز يا درش ؟

ـ لأ ٠٠ نص ف خباز بس ٠

ـ أحسن من اللى مـا يعرفش يخبز خالص ٠

ـ فى الطب ٠٠ مش فى السياسـة ٠

ويأتـى الدكتور شريف حتاتـه بمذكرة الى المسئولين ، بـدءا من رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والى الصحف والنقابـات المهنيـة والعماليـة المختلفـة ، تستنكر نفينـا فى الصحراء ومحاولة اغتيالنـا بواسـطة الحيـات والثعابين ، وتطلب نقلنـا من هذا المنفـى ، وحتـى يتـم ذلك يطالب تزويـد المنفى بالأدوية الضرورية ٠

ـ عظيم يا شريف ٠٠ لكن موت يا (٠٠٠) لا مؤاخذه على ما يجيلك العليق٠٠

ـ يظهـر انها معلـه معاك قـوى ؟

وبهدوءه الشـديد يسـتطرد ٠ ٠

ـ ويا سيدى جبنا معانـا ٠٠ الأدويـة واللقـاح ٠٠ احنـا برضـه الـ ٠٠ وأقاطعه ضاحـكا ٠ ٠

ـ عـارف ٠٠ عارف ٠٠ انتو القيـادة ٠

ـ أيـوه كـده ٠ اعترف ٠٠

ـ فى الطب بس ٠

ـ وفى السياسة كمان وحياتك ٠٠ بكره تشـوف ٠

ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارتــه على باب السجن فنتجه اليـــه :
ـ صباح الخير ٠
ويسلمه شريف المذكــرة :
ـ يا صباح يا عليـم يا رزاق يا كريم ٠٠ لحقتوا تكتبوا مذكرات ٠٠ ؟
ـ واحنــا ورانــا أيــه ؟
يقرأ المأمور المذكره ويقول :
ـ حــاضر سأرسلها بالبوسـتة ٠ ٠
لا بوسـتـه أيــه ٠٠ دى عايزه مخصوص ٠ ٠
ـ وأجيب المخصوص منين ؟
ـ ســجان
ـ بالقطــار طبعـــا ٠ ٠
ـ ده على كيفــه ٠٠ ييجى كل أسبوع ٠٠ كل اسبوعين ٠٠
ـ يبقــى بالتليفــون ٠ ٠
ـ أنا راح اتصرف ٠ ٠ اطمئنــوا
ـ نحن مطمئنون ٠٠ لكن ٠٠
ـ سأسلمها للمحافظ وأطلب منــه أن يرســلها مع مخصوص فى سيارة ٠
ويسأل المامور أســئلة عديده عن « الطريشـة » وعن أنــواع الحيـات والثعابين التى توجــد فى الصحراء ، وطرق الوقايـة منهــا ، وهــل حقــا ما يقال عن المفعول السريــع لسـم « الطريشـة » ٠ ويعطـى شريف اجابات مبالغ فيهـــا ، ونرى الخوف يرتسـم على وجه المامور فيقـول بخبث :
ـ لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله ٠ ٠
يرد المامور ورنة الخوف تبدو فى صوته :
ـ لا بعيد ولا حاجــة ٠٠ وأيــه الفرق بين الخيمة ، والفيـلا ؟ ، الأثنين فى صحراء ٠ ٠
ـ فعــلا ٠٠ مفيش فرق كبير ٠٠ احسن تســكن فى شقة عاليـــة ٠
يبتسـم المامور ، ويقول :
ـ لو كان فيها خير ما كان رماها الطير ٠٠
ـ هو المحافظ مش ساكن فى فيلا برضــه ؟
ـ لا يا سيدى ٠٠ ساكن فى شقة ٠٠ أنا راخر استعجبت ســايب الفيلا ليــه ؟
ونسمع صرخة عاليـة ، واثنــان من الاخوان المسـلمين يحملون شـــخصا ويسرعون بــه نحو المامور :
ـ لدغتــه طريشــة ٠٠ لدغته طريشــة ٠
ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعــا ومعــه الحقنـة واللقـاح ٠

ـ فين اللدغـــة ؟
ـ في رجـله اليمين ٠
ـ مفيش حاجة يا جماعـة ٠٠
ـ ازاى مفيش ده صرخ باعلى صوته ؟ ٠
ـ على العموم نديله حقنــه ٠٠ لكن مفيش حاجه ٠
ـ أنت متأكـــد ٠٠
ـ طبعا متأكـد ٠٠ أنا طبيب ٠ ٠
ـ أمـال أيــه الحكايـــة ٠ ٠
ـ وهم سيطر عليه ٠٠ اغلب الظن ٠٠

الاخوان المســـلمون والزملاء يتجمعون فى المكــان الذى حدثت فيـــه لدغــة **الطريشــة** ، ونتجه اليهم وقبــل آن نصــلهم نرى **طبيبا من الاخوان** يمســك بقطعة حبـل ويقول :

ـ توهم أنها طريشـــه فصرخ ٠
ـ الى هذا الحـد يفعل الوهـم ؟
ـ واكثر من هذا ٠٠ الموت ذاته ممكن ٠

ونشهد قطعة أرض من صحراء « جنــاح » **بالواحات الخارجــة** ، **الاخوان المسلمون** ، **والشيوعيون** ، **وضباط الســجن وجنــوده** . وهم يجلســون عليها كتمــا الى كتف يســتمعون الى الدكتور شريف حتاتــه وطبيب مـــن الاخوان يتحدثان عن اســاليب الوقايــة من الحيــات والثعابين بلغـــة واحــدة ٠ والجميــع ينصتون اليهما تمــلأ الثقة نفوســهم ، بما يقولانــه ، لا يفرقون بين الطبيب الاخوانــى ، والطبيب الشيوعــى ٠ حتما سيشــهد العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى تشهدنه هذه القطعة الصغيرة من الصحراء ٠ يوما تصبح فيــه السياســة علـمامســخرا لصالح النــاس ٠ كل الناس ، وليس لصالح طبقـــه أو فئة ٠ ليس أملا يســـتمد مقوماتـــه من حتميـــة التطــور التاريخــى ، وليس حلما يســـتحيل تحقيقــه ، الا بعـــد وصــول الانسان الى عصر الحريــة ٠ ولكن ما ســيعجل بــــه هو ان العالم قــد بــدأ مرحــلة خطر فنــاء البشريــة كلها ٠ والأمــل أن يوحـــده الخطر الداهــــم مثلما وحـد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والضباط ، والجنـــود أمـــام خطــر « الطريشة » **ذات يوم من يونيو عــام ١٩٥٥** ، والحـــلم أن تكون وحـــدة دائمة ، وليســـت وحدة مؤقتــة كتلك التى حدثت ذلك اليوم ! ٠

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحــا حين انتهـــى الطبيبـــان ، الاخوانى ، والشيوعــى من حديثهما ، حين انصرف الجميـــع وقــد ســـاد بينهم جــو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشــترك لمواجهـــة الحيـــاة المشتركة فى هذا **المكــان النائــى عن كــل شئ** الا الرمــال الصــفراء ، والحيوانات المفترســة ٠ والثعابين ٠ حقـــا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصـة ، ويعيشــون معـا فى قسـم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ،
ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكـل ، والوفـايـة ، والعلاج ، واتفـق
على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن • وعلى عمل خيمـة
كمستشفى يديرهـا الطبيبـان ، الاخوانـى والشيوعـى ، فضـلا عـن
طبيب السجن الذى يأتـى بضعة سـاعات فى النهـار فقط • ولم يكـن
من الغريب أن تتكون صداقـات قوية بيننا وبين عـدد كبيـر مـن
الاخوان المسلمين ، بعضهـا صـمد أمام محاولات كثيرة لضربهـا حتى
وصـل الأمـر الى حدوث أنقسـام بين الاخوان المسلمين فى صـورة مؤيديـن
للثـورة ، ومعارضين لهـا ، وسوف اخصص لهذه المسـألة حديـثا
آخـر فى رسائل مقبلة •

كان صباح أول يوم لنـا فى سجن جناح مشحونـا الـى حـد أننـا نسينا
أن أقدامنـا ما زالت يحبط بهـا « **الحجلات** » **وتجر سلاسـل حديدية** •
وكان ولـيم اسـحق أكثرنـا حماسـا لسرعة ازالـة تلك القيـود ،
فقدماه النحيلتـان تحمل « بالعافيـة » جسـمه الهزيل • همس فى أذنـى
ضاحـكا • •

– أيـه يا درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟
– أبدا يا ولـيم •• لكن يبدو أن تلاحق الأحداث جعلنا ننسى • •
– تبقـى فقدت الاتجـاه •

وأذهب معـه الى مأمـور السـجن نطلب منـه سرعـة فـك بقيـة
قيودنـا • ويعطى المأمور أوامـره الى الحداد فى الورشـة الصغيرة التـى
تقـع فى أحـد أركـان السجن • وبعد أن ينتهـى الحداد من مهمته نرى
أمامنـا تـلا من **السلاسـل الحديدية** • ويذكرنـى مشهد هذا التـل الحديدى
بمشهد مماثـل لـه فى **ليمان طـره** •

فى مايو ١٩٥٥ – قبل رحيلنـا الى الواحـات بشهر واحـد – اعلن
المشير عبد الحكيم عامـر فى اجتماع ضخم شـهده كـل المسـجونين فـى
ليمان طـره وأبو زعبـل ، وعـدد كبير من ضباط قيـادة الثورة ومصـلحة
السـجون ، الغـاء القيـود الحديدية بعـد أن قام بحـركة مسرحيـة
بقطـع سلاسـل أحـد المسجونين بالمطرقـة والأجنة • ولـم نـدع نحـن
لحضور [illegible] الاجتماع ، وسـ[illegible] عنه وما [illegible] فـى
الحمام العمومى بالليمان نستحم [illegible] كان علينـا الدور فى ذلك اليـوم •
لـم نتمن فى حياتنـا طـوال فترة السـجن شيئا كما تمنينا ان نخلـع
عنـا هذه القيـود الحديدية كباقـى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقـد

(*) هى الحلقة التى توضـع حول الساقين وتربط بهما سلسلة وزنهـا
٣ كيلو جرام تعلق فى وسـط جسم المسجون بحزام •

كنا شبه متاكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديديه لن يشملنا ٠ كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مره واحدة دون أن نجر المبود الحديدية فى أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التى تبذلها عند خلع الملابس ثم عند ارتدائها بعد الاستحمام ٠

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية فى أقدامنا ، وعلى صوت رنينها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ، لكنا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء ارتدائها ٠

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** فى أقدامنا شهدنا منظرا غير مألوف فى الليمان ٠ أعدادا كبيرة من المساجين يجرون ويمسكون بأيديهم القيود الحديدية التى كانت فى أقدامهم ، يصيحون بفرح شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود ٠

صاح أحدهم فينا :

- لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟
- القرار لا يشملنا ٠٠
- هذا ظلم ٠٠ ولماذا ؟
- السياسيون لا يشملهم القرار ٠٠
- الاخوان خلعوا القيود ٠
- الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا ٠
- الأمر مختلف ٠٠
- هل لديك أخبار ٠ ؟
- لا ٠٠ ولكنه المنطق ٠٠
- نحن استثناء ٠٠

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس بالأمان ، صوت الضابط الصديق (٠٠٠) :

- أيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه ٠٠ ؟
- هل يشملنا القرار ٠٠
- طبعا ٠٠ أنا كنت خايف زيكم ٠٠ القرار يشملكم ٠٠

وكانت فرصة كبيرة جرينا الى ورشة الحدادة ٠ بضربة الحداد الماهر بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع حجلة القدم اليمنى ٠ ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بايدينا وجرينا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، وألقينا جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر ٠ قيد وراء قيد لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح اليوم مع أقدام العبيد ٠

ألم أقــل لك يا حبيبتــى اننا محظوظــون ؟ · **قيودنــا بالحديـــــد مرتين ،** مرة عندما صدرت **ضدنــا الأحــكام** ، ومرة عندما رحلونــا الى ســجن « **جناح** » ، **وخلعنــاها أيضا مرتين** · وعــدد شـهور السنة فـى الأحــكام القضائيــة عند كل المسجونين ٩ شهور فقط · أمــا عندنــا فشـــهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال · وكــل المسجونين كانــوا يخرجــون من السجن ، فى مناسبات أعيــاد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولــم يخرج أحد منــا فى أى مناسـبة من هذه المناسبات · ولانهم « يعسوقننا » ومغرمون « صبابــة » بنــا فقد كانــوا يستضيفوننا سنوات بعــد قضــاء مــدة العقــوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين ـ وهــم عدد قليل ـ الذين رحلوهم معنــا الى الواحــات وهم من الصناع ـ كانت مــدد أحكامهم **لا تقــل عن ٢٠ سنة** ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنــا فى الصحراء قبــل انتهــاء مــدة عقوبتهم ، وربمــا يدفنــون مثلنــا فى الصحراء · هــكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنــا **قيودنا الحديدية** ، وقف بعض الزملاء يتأملون هــذا التــل من الحديد ، كيف ننظــر نحن اليه ، وكيف ينظر اليــه الضــابط الذى فى « عهدتــه » هذا الحديد · لقــد رفض بكل اصرار أن يأخــذ أحــد الزملاء قطعة من تلك السلاســل الحديدية ، كــى يحتفظ بهــا ، فهــى « عهــده » ، ولازم يســلمها ·

صوت بصيح من بعيــد · ·

ـ الفطــار يا زملا · · الفطــار · ·

ويحمل كل منــا « **قروانتــه** » لاستلام الفطــار ·

ـ فــول مدمس · · **يا للروعــة !**

ـ فول مدمس حقيقى · · مش سوس مفول ·

ـ ده فول مدمس زى بتاع بــره · ·

هذا الفول المدمس مثل الذى كنــا نأكلــه قبــل السجن ، وليس سوســا مفولا كما كنــا نسـميه خلال سنوات السجن الماضيــة · كان الفــول مسلوقــا وليس مدمســا · وكانت الفولة الواحــدة بهــا عــدد لا يحصى من ثقوب السوس · وفى كثير من الأحيــان كنــا نضبط الســوس متلبســا بجريمة اســتمراره فى الحيــاة رغم تعرضه لأقصى درجات حرارة غليــان الميــاه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقــرف » ، وكان البعض الآخــر يأكله « بلذة » · · ويدور الحوار التلقيدى عند كــل اكلة فول :

ـ أيــه القرف ده يا زميــل ؟ ·

ـ ده بروتين · ·

ـ فعلا أيــه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخــر !

ـ زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطــة ·

ـ وهو فيه فـــرق ؟
وكان الحوار ينتهي دائما بجملة تقليديــة :
ـ على أى حــال مسألة غير مبدئيــة يمكن الخلاف حولها ٠
بعد أن تناولنــا افطارنــا الشهى من الفول المدمس الحقيقـــى ، بالزبته والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
ـ الشــاى يا زملا ٠٠
ـ شــاى ٠٠ شــاى ٠٠ !
ـ أيــه الحكايــة ٠٠ ؟
ـ دى شــورة ٠٠
ـ ياالهنــا ٠٠
ـ طب ونشرب الشاى فى أيــه ٠٠
صوت حاسم يقول :
ـ كل واحد يغسل « قروانتــه » ويشرب فيها مؤقتــا ٠٠
ويهجم الزملاء على « جرادل » المــاء ٠٠
ـ الميــه قليلة جــدا ٠٠ مستحيل أفرط فيهــا دى علشــان طبيــخ الغذاء ٠
ـ شويــة صغيرين ٠
ـ ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ٠٠
ـ يا أخى نجيب غيرهــا ٠٠
ـ أمشى ٥ كيلو ٠٠ لغاية العين علشــان اجيب غيرهــا ٠
ـ طب وأيه العمل ٠ عايزين نشرب شــاى ٠ ؟
ـ مش شأنــى ٠ اتصرفوا ٠٠
ويأتــى الصوت الحاسم مــرة أخرى :
ـ مين يتعهد بمــلء الجرادل بعد ما تشربوا الشــاى ٠
ـ كلنــا ٠٠ كلنــا ٠
استهلك الزملاء المــاء المخصص للطبــخ فى غســيل القروانــات كى يشربوا فيها الشــاى ولــم يتحرك بعد شرب الشاى لمل‌ء الجرادل بالميــاه ويعـلو صوت غاضب :
ـ يا زملا املــوا الجرادل ميــه ٠٠
ـ بس نستريح شويــة ٠
ـ انت عاوز تضيع طعم الشــاى ٠
ويــرد الصوت :
ـ طيب مفيش غــدا ٠٠ وأنا راح أطبخ ازاى ؟
ـ لســه بدرى على الغــدا ٠٠ الساعة لسة ١٢ ٠٠
ويرتفع الصوت الحاســم مــرة ثالثة :

– عايزين ١٠ جرادل ميه ‥ كل زميلين ياخدوا جردل يملوه ‥ من فضلكم ‥

ويستعد **٢٠ زميلا** لمسيرة جلب المياه من العين التى تبعد عن **السجن خمسة كيلو مترات** · ويدور حوار خلال المسيرة :

– يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ **كيلو متر ذهابا وايابا** ·

– وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النص ‥

– يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميه ‥

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

– يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » ·

– دى ما بقتش نكته ‥

– لازم نشوف حل لمشكلة الميه دى

– وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن **مشكلة المياه** هى المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التى واجهتنا فى **السجن الجديد** · لقد كان كل هم المسئولين الكبار – بعد اضراب المسجونين فى ليمان طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا · فاختاروا هذه القطعة من الأرض فى **قلب الصحراء** · بعيدة عن **مصادر المياه** ، واحاطوها **بالأسلاك الشائكة** ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابنوا سجنكم بانفسكم** ! لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا · وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا · قررنا أن نبنى فى قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لناكل فيها ونشرب ، وانما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة ·

وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا **الأول فى الصحراء** ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم فى الاعداد للمعركة ، **معركة استمرار حياتنا** · وكان اليوم التالى هو يوم بدء المعركة ·

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ·

٢ يوليو١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتـــى

كان السؤال المطروح ونحن نعـد للمعركـة ، هو : من أيـن نبـدأ ؟ وكانت الاجابة : أن نبـدأ بالبدايـة ، ببنـاء مقومات استمرار حياتنـا فـى هـذه البقعة النائية فى **قلب الصحراء** فهى ليست معركة رفـع مستوى المعيشة داخل السجن ، مثل المعـارك التى خضناهـا خلال سنوات السجن السابقة ، وانما هى معركـة **الحد الأدنـى للحيـاة ذاتهـا** ، ومررنـا أن نبـدأ كمـا بـدأ الانسان الأول حياتـه الى **جوار الماء** • واذا كنـا لا نملك حريـة الانتقال الى جانب عين الميـاه الوحيـدة فى كل هـذه المنطقـة من **الصحراء** ، فنحن نملك القدرة على نقـل الميـاه الينـا • وكيف ؟ ان استمرارنـا فى نقـل المياه بواسـطة « الجرادل (وبعـد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابـا وايابـا) ، لا يجب أن يستمر هكذا • يجب أن تصـل الينـا الميـاه بواسـطة **مواسير** ، ولكن هذا هـدف بعيـد • يستغرق تحقيقـه شهرين على الأقـل ، يتوفر خلالهما المواسير ، والخبـرة الفنيـة ، وخـلال هذين الشهرين يجب أن يتـم نقـل الميـاه اللازمة لطهـى الطعام ، وخبـز العيش ، وغسـل الملابس ، والاستحمام ، فضـلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيهـا خضروات ، بأقل جهـد ممكن • اذن لابـد من الحصـول على « طلمبـة » ميـاه تسـحبها من العين العميقة الذى ينزل الى حافتهـا الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثـم يتناولها زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى مـن يحملهـا الـى السـجن • وعـد المأمور بشراء طلمبـة ميـاه خلال أسبوع على الأكثـر ونفذ وعـده • وكانت فرحتنـا كبيرة حين تـم تركيب هذه الطلمبة • وفرنـا المجهـود الذى كنـا نبذله فى النزول الى عين الميـاه ، ثـم الصعود منهـا ، وزال خطـر الوقوع فى العين عند فقـد توازن من يقوم بملـئ الجرادل ، فضـلا عن اختصـار عـدد الزملاء الذين يقومون بنقـل الميـاه الى النصف • اذن نسـتفيد من هذا النصف الذى توفـر بعد تركيب الطلمبة فى اعـداد براميـل لحفـظ الميـاه بـدلا من الجرادل • سرق الزملاء ٤ براميـل فارغـة من زيت السـولار الذى يستخدم فى ادارة ماكينـة الكهربـاء المخصصـة لانـارة المعسـكر • وكانت مشـكلة عندما اكتشـف ملاحظ ماكينة الانـارة سرقـة البراميـل الأربعـة :

ـ صـاح الملاحظ :

ـ رحت فى داهيــة · ·
ـ ليــه ·· ما هــى البراميل موجودة ؟
ـ ما تنفعش بعد ما قطعتوهــا · ·
ـ معلهش ندفــع ثمنهــا · ·
ـ مش ممكن ·

ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتــى لمعاينة موقــع الجريمة !!

ـ يا جماعة البراميــل دى عهــده · ·
ـ تانى ؟ ·· البراميــل عهدة ·· والسلاســل الحديدية عهدة ·

ويقول زميــل آخــــر :

ـ وهو احنــا مش عهــدة برضـــه ؟

ويرد المديـــر :

ـ طبعا أنتم فى عهدتــى · ·
ـ والعهــدة ·· ألا تحتاج الى صيانة ؟
ـ طبعا ·· وهو أنــا قصرت فى حاجة ·
ـ فى المقومات الأساسية لحياتنــا ·
ـ وايــه طلباتكم ؟

ونضع أمامه قائمة الطلبــات الضرورية ، مواســير ميــــاه وحنفيــــات وعــدد من الصهاريــج لتخزين الميــاه · ومطبخ مجهز بالحد الأدنــى بأدوات الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تســتخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنــى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة ·

ويعلق المديــر · ·

ـ انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جــدا ··
ـ دى الحد الأدنــى التى تسمح لنــا باستمرار الحيــاة ·
ـ بس تنفيذهــا ياخد وقــت ·
ـ هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
ـ طبعا مش ممكن ·· سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة ·
ـ وطبعا المصلحة تعمل مناقصة ·· و ··
ـ ما انتوا عارفين الاجراءات ··
ـ لكن ممكن اختصارهــا · ·
ـ [illegible] ؟
ـ نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعة ·
ـ طيب ساعدونــى · ·
ـ مثلا ·· تشترى لنا بعض اللوازم الضرورية ·· مثل المواســير والحنفيــات ·
ـ والباقــى · · ؟

ـ الصهاريج والطلمبات من القاهرة ٠ ٠
ـ راح تاخد وقت ٠
ـ نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة ٠ ٠ وتوصى ٠ بعد عرض الوضع على المسئولين ٠ ٠
ويضيف زميل ٠
لا تنس انك فى النهاية المسئول عنا ٠
ويضيف آخر :
ـ واذا حدث شىء ٠٠ فستكون مقصرا فى نظرهم ٠٠ لانك لم تخبرهم ولم تطلب منهم شيئا ٠
ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يعتذرى لنا مواسير وحنفيات فى نفس اليوم ٠ ونتفق معه على حل عدد من المشاكل ٠ **زيارة الأهالى** ٠ ارسال الخطابات واستلامها ٠٠ السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجاير والسكر والشاى والكتب ٠
ويقول المأمور ضاحكا :
ـ والستات والبنات ٠٠
ـ لأ دول نروح لهم قريبا ٠ ٠
ـ ان شاء الله يا أولادى ٠ ٠
يقولها الرجل بكل صدق وحب ٠
وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحنفيات ٠ **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دوره مياه لنا ، واثنتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام ٠ ويبدأ العمل فى فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب رمال الصحراء بأشعة شمسها القوية ٠ وتخرج مجموعات من الزملاء والاخوان الى **موقع العمل** ٠ وفى نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية عشر ظهرا ٠ أشعة الشمس قوية لم نعد نحتملها ، والرمال تحولت الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب غزيرا من أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل ٠
ـ الحمد لله ٠٠ لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية ٠
ـ كم من الوقت تستغرقه عملية مد مواسير المياه ؟
ـ هذا يتوقف على استعدادكم ٠ ٠
ـ نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل ٠
ـ عدا فترة الظهيرة ـ من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر ٠

ــ موافقـــون ٠٠
ونتفق على تنظيم ورديـات ، كل ورديــة تعمل ٧ ساعات فيكـون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة ٠
ــ اذا نفذنـا هذا بدقـة نستطيع أن ننجز عمليـة مـد مواسير الميـاه فى أسبوع واحـد ٠
ــ وهـل نستأنف العمل اليوم فى الثالثة بعد الظهر ٠٠
ــ اقترح ان نبدأ نظـام الورديات من اليوم بعد الظهر ٠٠
ــ سنحتاج الى كلوبات للانـارة ليـلا ٠٠
ويتعهـد زميـل كهربائـى بتدبير أسلاك كهرباء ولمبـات وأخذ توصيلة من ماكينـة الكهربـاء ٠٠
ويتسـاءل زميـل :
ــ كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتـار ؟
ويضحك الزميل الكهربائـى :
ــ يا أخى المخزن مليان أسـلاك ٠
ــ وكيف ستحصل عليهـا ؟
ــ ده شغلى بقـى ٠
ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليـة اتفاقـا من بنـد واحـد ٠ أن يستعمل اسـلاك الكهرباء التـى فـى عهدتـه لتوصيل الكهرباء الى موقـع العمل ، وبعـد الانتهـاء من عمليـة مـد مواسـير المياه ، يتعهد باعـادة الأسـلاك ويلفها على البكـرة كما كانت ٠ ثـم يقـول ضاحـكا :
ــ هذا والا ٠٠
ويرد الملاحظ :
ــ لا يا عم ٠٠ موافق ٠٠ كفاية حكاية البراميل ٠
وعند عودتنـا الى السجن يستقبلنـا الزميل أحمد خضر « العامل النقابـى » ورئيس الطهاة فى السجن عند الباب قائـلا :
ــ تتصوروا راح تتغدوا أيـه النهاردة ؟
ــ راح يكون أيـه يعنى ؟ ٠ عدس أو فـول ٠
وجبة الغذاء العادية فى السجون أما عدس وأما فـول ٠ أو كما كنـا نطلق على العدس اسـم « العدس المزلط » أى العدس المملوء زلطـا ، وعلـى الفـول اسـم « السوس المفـول » ٠٠
ــ طب واذا أكلتـوا طبيخ ٠٠
ــ طبيـخ !
ــ طبيـخ !
ــ وده معقـول ؟

- واذا حصـــل ؟
وينـدفــع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة ســـجاير هوليود
- لارج ٠ ؟
- لا ٠٠ صغيرة ٠٠
- راح تتغدوا ٠٠ فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمة ٠٠
- لحمة وفاصوليـا ورز ٠٠ مرة واحدة ٠ ٠
- ده حلم ولا علم يا ولاد ٠ ٠
ويقف **أحمد خضر علي** أطـراف أصابعه فى محاولة يائسـة ليكـــون رأســه على ارتفـاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقــول بصوته المسرسـع ولسانه الألدغ :
- يــا زمبل أنا لا « أعلف » ٠ أعرف ٠٠ المستحيل ٠٠
ويرد عليه الزملاء ٠٠ عالفين « يعفى عارفين » ٠ ٠
وأضحك مع الزملاء ٠٠ ويقول أحمد خضر :
- طب وانت بنضحك لبــه يا درش ٠٠ الحال من بعضه ٠ ٠
- ألدغ صحيح ٠٠ لكن طولك مرتين ٠ ٠
ويجرى الزملاء وراء **أحمد خضر** الذى يعطى كل زميــل نصيبــه من اللحمـة والفاصوليــا والرز ٠ كله على بعضـــه فكل زمبــل لا يملك غير قروانـــه واحدة يستخدمها فى الأكــل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بــل وفى نقــل الرمال من الأرض الى « الفقــة » أثنــاء العمل فى الموقــع عند عين الميــاه ٠ بعد قليــل يرتفــع صوت أليف محبــــوب ننتظره دائما بعــد كل وجبـــة طعام ٠٠
- الشــاى يا زملا ٠٠ الشــاى ٠ ٠
ونجرى نحو نبــع الشاى ٠ ٠وتثور نفس المشــكلة ٠٠
- مستحيل أفرط فى نقطــة ميــه ٠٠ الميــه دى علشــان طبيخ العشـــا
- يا أخــى نجيب لك غيرهــا ٠ ٠
ويأتــى صوت **صلاح حافظ** :
- يا زملا نضفوا القروانـــة بشوية رمل ٠٠
- الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ٠٠
- الرمل يضيــع الريحــة ؟
- على مســـئوليتك ؟
- جرب ٠٠ لن تخسر كثيرا ٠ ٠
ويجرى الجميــع الى أقرب مكان بــه رمال ســاخنة ينظفون القروان ، ثــم يعودون لأخــذ الشــاى ٠
- متى نشرب الشاى زى البنى آدمين ؟
- منظر الشاى فى الكباية الزجاج ٠٠ رائــع ٠٠

ـ ليـه طعم الشـاى فى الكباية أحسن من الفنجان ؟
ـ فعـلا ٠٠ ليـه ؟
الجميع يوافقون . ولكن لا أحـد يعرف لماذا ؟
وننصرف لقضـاء القيلولة فى الخيـام . الاحساس بالراحـة بعد العمل المضنى ممتع . هؤلاء المتخمون بالراحـة لا يحسون بهـا ، يمتصـون دمـاء الكادحين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفـة ، ويعقـدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفـون الآلاف على موائـد القمار دون أن يختلج عرق واحـد من عروقهم . حتى عقولهم لا تعمل فقـد استبدلوا بها أموالهم التى يشترون بهـا العقول كمايشترون الأبـدان .
يجب ألا ننام قبل أن نقـرأ ٠٠ هذا ما تعودنا عليه . فهل نسـتطيع القراءة قبل نـوم القيلولة ، وبعـد هذا العمل المضنـى الذى قمنـا بـه منذ فجـر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسـكت بكتاب لاقـرأ فيـه وأنـا ممـدد على سريرى الخشبى . ورغم جفـاف مـادة الكتاب فـان ذهنـى كان يتجاوب معها بشـكل غريب . هـل يمكن أن يكون جسـمى مهـدودا الى هذا الحـد ويظل الذهن متوقـدا ؟ ورحت أستكشف ما فى دالخـى ! أحس بأمان الى حـد كبير بعد أقـل من يومين من تواجـدى فى هذا السجن . فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة التحدى من أجـل استمرار حياتنـا بالعمـل الجماعى ، فضلا عمـا نلاقيه من معاملة انسـانية من المأمور والضباط ، كـل ذلك أبعـد احتمالات تدبير مؤامرة لاغتيالنـا . حتـى لدغـة « الطريشة » لـم نعـد نفكر فيهـا كثيرا . بـل لقـد كدنـا ننسى خطرها تماما . حقـا صوت الحيـاة هو الأقـوى . وبقدر ما يرتفـع صوت الحيـاة فى داخل الانسـان بقـدر ما يتوقـد ذهنـه وينشـط حتى ولو كان جسـمه مجهـدا متعبـا مكدودا .
اذكر أن عينى لـم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدهـا وقـد دب النشـاط فى جسمى الذى كان متعبـا منذ أقـل من سـاعتين . نـداء العمل . هذا هو أحـد أشـكال صوت الحياة التـى قررنـا ان نبنيهـا بسواعدنـا الفتيـة . كان النداء ٠٠ دقات رتيبـة على جردل مـاء تتوقف لحظـة ٠٠ ثـم تعود مرة أخرى ، . وما أن تتوقف دقات المرة الثالثة حتى يكـون جميـع الزملاء قد انتظموا فى طابـور العمل . الابتسامة على الشـفاه ، والتحـدى يفيض على الوجـوه انسانيه . كنت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسى وأحسه . عائذا أراهم أكثر نشـاطا وحيويـة ، وأكثر احساسـا بالأمان . أغلب الظن أن ما دار فى ذهنـى خلال فتـرة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هـذه الورديـة الثانية فى اليوم الثانـى من وجودنـا فى سـجن الواحـات التى تذهـب من أجل جلب الميـاه . خلال سيرنـا وجدنـا الزميل الكهربائـى ومعـه

ملاحظ ماكينه الكهرباء ، و ٤ مساجين يعملون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات ٠٠

ــ مفيش ثقــه فى كلامى والا أيــه ؟ ٠٠

ويــرد مادــد المسدرة .

ــ أبــدا ٠ كلنا ثقــة ٠ بس من باب الاحتياط ٠٠

ــ على أى حــال اطمئن ٠٠ راح تكملوا الشــغل علــى نــور الكهرباء ٠٠

عندمــا تمتلىء نفس الانســان بالثقــة يصنع المعجزات ، الثقــة فى النفس تمنح الانسان قدرة هائلة على العمل والخلق والابتكار ٠ وهذا الذى أراه يجــرى وأشارك فيه أكبــر دليل على ذلك ٠ لا أظن أن الذين ألقــوا بنــا فى هــذا المكــان من الصحراء البعيــد عن المــاء ، مصدر الحيــاة ، كانـــوا يحسبون أننــا ســوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكيــر والتخطيط والتنفيــذ ٠

الساعة تقترب من العاشرة مســاء والعمل لايزال مستمرا بنفس الحيوية والنشاط ٠٠ ونلمح من بعيــد الوردية الثالثة فى طريقها الينــا ٠ يصيح صــوت :

ــ الوردية الثانيــة تســلم للوردية الثالثة ٠٠

وترتفع أصوات ٠٠

ــ سنواصل العمل معهم ٠٠

ــ لســه عندنا ما نعطيــه ٠٠

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن تتوقف عطاؤكم يا أبنــاء مصر البررة ومصريا أحبائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخــر فـــوق هذا الكوكب ، حكــام مصر اليــوم يا أحبائى لا يعبرون عن وجهها ، فــلا تكترثون لــما يفعلونه ضدكم ٠ مصر الغــد ، هى مصر الشعب وسلطته ٠ هى مصر الكادحين والعارقين ٠ انتــم مثلــى ترونهــا فى الأفــق ، البعيـــد القريب ، الحلم الأمل ٠ مأهنفوا من الأعمــاق أن مصر قــد أصبحت للشـــعب ٠

لا أعــرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت اتأمل وجــوه زملائــى وهم يعملون ولا أعـــرف أيضا كم من الوقت كانت تاملاتـــى ستستغرقه ٠٠ فقــد جاءنى صوت **وليم اسحق** الذى كــان يقف الى جانبى دون أن أحس به ٠٠ يقــول :

ــ اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت ٠٠

ــ صحيح يا وليم ٠٠ يارنت ! لكن ايه المناسبة ؟

ــ تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتـــى ٠٠

ــ دايمــا أسمع منك الحكاية دى ٠٠

ــ لــم أرهــا بمثل هذه القوة ٠٠ كما رأيتها منذ لحظــة ٠٠

ــ ليــه بقى ٠٠ ؟

ـ ما كان يدور فى أعماقك جسدته تعبيرات وجهك ٠٠ تداخل فيهـــا هذا الضوء ٠٠ يا دين النبى ٠٠ يا عالم فرشـة وألوان ٠٠ راح أتجنن وأجـد ذراعاى تحتضنه فى حنان ٠٠ والدموع تفـر من عينى وأقـول لـــه ٠٠

ـ بس يسمحوا بالطرود ٠٠ وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى ٠

وكالأطفـال يصيح وليـم :

ـ ده آنا أبقى ملك ٠

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليـم اسحق اسـم « **ملك الصحراء** » صبحنـــا ننـــاديه « **ياملك** » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم ينـــاديه أحـد ذا الاسـم الجديد ٠ وكثيرون حتى بعـد خروجه من السجن لا يعـرفونه باسـم « الملك » ٠

ينتشر نـور الفجـر ونلمح الورديـة الأولى فى اليـوم الثالث قادمة الـى قع العمل ٠ أتـربة كثيفـة تثيرها أقدامهم السائرة فى نبـات ، تغطـى سامهم ووجوهم ولكنهـا لا تستطيع أخفـاء تعبيرات اصرارها وتحديها٠ رتفع الصـوت المألوف ٠٠

ـ الوردية الأولى فى اليـوم الثالث تستلم ٠٠

وبصر بعض الزملاء فى الوردية الثانيـة والثالثة فى اليـوم الثـــانى ى الاستمرار ، لكن قائـد العمل يرفض بشـدة

ـ ان لأجسامكم عليكم حقـا ٠٠

ـ اسمعنى أذنت ٠

ـ انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ٠٠

ـ مهمـا يكن الأمـر من حقك أن نستريح ٠٠

ـ حسـنا ٠٠ ساعود معكم ٠٠

وبعـد أن يسلم قيـادة العمل الى أحـد مساعديه ٠ يسير الجميع فـى ب ومودة ٠ وبدور حوار ٠ يسأله أحـد الزملاء :

ـ أيـه رأيك ٠٠ راح نخلص فى الموعد المحـدد ؟

ـ اذا سـار العمل بالمعدل الحـالى ٠٠ نتأخـر يومين ٠

ـ الآن ٠٠ لازم يخلص فى الموعـد المحدد

ـ دى بقى مسألة تتوقف على همتكم

ـ سنضاعف من نشاطنا ٠٠

ـ لازم نبـذل مجهود أكبـر ٠٠

ونصـل الى خيامنا بعد حوالـى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنـا ى **سجن جناح** ٠ نستلقى على الأسرة فى محاولة للنـوم ٠ ولكن يتـوقفه ذهن عن العمل وهنـاك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع ٠ يف يتـم انجـاز هذا العمل فى الموعـد المحدد ؟ ٠

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخـرى : هل يكفى الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحـيد للحافز المعنوى ، أم هنـاك أشكالا أخرى ؟

وفى عمل مثل هذا الذى نقـوم به ألا يمكن أن يكـون الحافز المادى دافعـا للعمل ؟

وفى مثل حالتنـا هذه كيف نحــدد الحافـز المـادى ، وما هـى أشكاله ؟

وتستمر المناقشــه أكثـر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هـى : الوعى بخطـه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافســه ، ويمكن أن يكون التنافس بيـن فريق وفريق ، والحافز المعنـوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفـة ، مثـلا : وسـام للفريق الذى ينجز عمـلا أكبـر ، أو شكر وتقـدير يعلن شفاهة بعد انتهـاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكـون أيضـا وفى نفس الوقت حــافزا ماديـا ، مثلا : علبـة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فـرد منـــه ٠

وأحمل هذه الصياغه الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعــد مناقشــة يوافقون عليهـا بحماس ، وعنـد استلام الورديات من بعضهـا البعض فى نهاية كل يـوم يعلن قائـد العمل اسـم الفـريق المتفـوق ٠ أذكـر أن أول فريق تفـوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسـام مصطفـى كامل ٠ ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠ لك حبى وفؤادى ٠ وكان الحافز المادى هو علبـة سجاير هوليـود ٠ أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصـوات :

ـ راح تشرب سيجارة بحالها ٠٠

ـ لأ على ثلاث مـــرات ٠٠

ـ برضه ما جاوبتنى على السؤال ٠٠

ـ لأ ٠٠ طبعـا ٠٠ معقول أشربهـا لوحـدى ؟

ـ طب هات نفس ٠٠

ويتجمع الزملاء حـــول حاملـى السجائر ٠ يختلسـون بضـع دقائـق ويجلسون جماعات ٠٠ جماعـات ٠٠ ويدخنون بلـذة ومتعـة ٠٠ وتختلط الأصوات ٠٠

ـ انت برضـه راح تولـع ثلث ؟

ـ أمـال يعنى أولع السيجارة كلهـا ٠٠

ـ يا أخى دحنـا سـتة ٠

ـ نصف سيجارة بس ٠٠

ـ لا تكفى ٠٠ ولع السيجارة كلهـا ٠٠

ـ وبكره أعمل أيـه ٠٠ نفسى أشرب نفسين الصبح ٠٠

ـ يا أخى اصرف ما فى الجيب ٠٠ يأتيك ما فى الغيب ٠

ـ ده تفكيــر غير علمى يا زميل ٠٠
ـ يا أخى ماتزودهاش ٠٠
ـ يا الله ان شالله ما حدحوش ٠٠
ويعودون الى العمل اكثــر نشاطا وأكثــر حيوية ٠ وكل فريق ينــــاضل
أجل الحصول على علبــة سجاير وأحــد الأوسمة ٠ وتمــر الأيام سريعا
ـم انجــاز العمل فى موعــده المحــدد ٠
وكــان مشهدا مثيــرا ٠ مشهد **نزول الميــاه من الصنابير فى قلب الصحراء**٠

احكى لك عنه يا حبيبتى فى رسالتى المقبلــة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتــى

كأنما كان الأمــر اكتشافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل ٠ المــاء يجرى فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير ٠ يا للسَّــعادة ! نستطيع منــذ هذه اللحظــة أن نفتح الحنفية لينزل منهــا الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منـــه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها٠

هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضـــا ؟

ويــدور حوار طــريف :

ـ طبعــا خضار بس ٠٠ طماطم وخيــار وجرجير وفجل وفول و ٠ و٠٠٠

ـ والفــواكه ؟

ـ بطيخ وشمام ٠٠

ـ وليـــه مش برتقال كمــــان

ويضج الزملاء بالضحك ٠

ـ بتضحكوا ليــه ؟

مــرة أخرى يضجون بالضحك ٠ ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سببه الضحك :

ـ انت ناوى تقعــد فى **السجن** لغــاية لمــا يطلع **البرتقال** ؟

ويــرد الزميل فى غضب .

ـ خلاص غلطت فى البخارى ؟

كان هذا الزميــل طيبا الى درجــة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكــان حسن النيــة الى درجــة أنه يمكن أن يصدق أى كــلام يقــال له من زميل ٠ أليس زميــلا ؟ وكانت لــه فى نفس الوقت قــدرات هائلة على خلق صداقات مع أى انســان يلتقى بــه فى الحى ، وفى الجامعة حيث كــان طالبــا ، وفى الأنــدية المختلفــة التى يتــردد عليهــا ، وكــان محبوبا من الجميع يثقون بــه ثقــة تامــة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ٠٠

ويحكى عنــه الزمــلاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منـــه مســـئوله يومــا أن يجنــد بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القــدرة علــى خلق علاقات وصداقات ٠ وجاءه فى اليــوم التــالى مباشرة يــزف اليـــه خبــر تجنيــده أحــد الفلاحين ٠ واندهش مسئوله ٠٠ بهذه السرعة ســافر الزميل الى بلدته وعــاد منهــا بعــد أن جنــد فلاحــا ؟ فسأله :

ـ لحقت تسافر البلد ونرجع ؟
ـ مين قال انني سافرت
ـ أمال الفلاح ده منين ٠٠
ـ طالب فى كليه الطب « جامعة فؤاد »
وضحك المسئول وقال :
ـ بأمولك فلاح مش طالب ٠٠
فرد عليه ببراءة شديدة :
ـ طيب ما هو طالب فلاح ٠٠
والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا القدر من حسن النية ، والطيبة. يملك فى نفس الوقت دهاءا يفوق دهاء الثعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكرة قادرة على حفظ أى شيء تمر بها ! كنا نكلمه بأخطر التكليفات داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله منا والواردة الينا ٠ كما كنا نستعين بذاكرته عندما نحتاج الى نص محدد من مرجع محدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعيد ذكرها بمنتهى الدقة . كنت أحبه كأنني أكثر مما كنت أحبه كزميل ٠ ليس فقط لصغر سنه فقد كان هناك زملاء فى مثل عمره ٠وكان هو أيضا يلجأ الى لا بوصفى زميلا له أو مسئولا ، ولكن باحساس الابن ٠

الحه مستمرا فى الحوار ولكن لا أسمعه ٠ يجرى نحوى وعلى وجهه غضب ، ويقول .
ـ أظن ده بقى ببقى منتهى الرفاهيـة ٠
ـ أيه هـوه ؟
يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
ـ عاوز يزرع ورد وزهور
ـ ورود وزهور بس ؟
تزول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
ـ لا طبعا ٠ وخضار كمان
ـ [illegible] أيه الفضلة ؟
ـ المشكلة ان احنا نستفيد من الأرض والمسـ [illegible] فى زرع خضار علشان الأكل وبس ٠٠
ـ طبعا الأولوية للخضار ٠٠
ـ ما كفاية الخضار ٠٠ أيه لزوم الورد ٠٠
ـ برضه ٠٠ مفيد ٠٠
ـ مفيد فى أيه ٠٠ بيتاكل ٠٠
ـ لا له فوايد أخرى ٠٠ متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا ٠
ـ بس بشرط ٠٠

ـ مفهوم ٠٠ بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضـار ٠٠ موافق ؟
ويبتسم فى هدوء ٠٠ ويعلن موافقته ٠٠ والطريف ان هذا الزمبل كـان أول من قـام بزرع ورد وأزهار أمـام الخيمـة التى يسكن فيهـا ٠ وكـان يقف لحراستها طول وقت فراغه ، ويعهـد بها الى زميل آخـر عندمـا يكون مشغولا فى عمل بعيـد عنها نظيـر وردة يعطيها لـه ٠
الحركة لاتهـدأ عنـد صنابيـر الميـاه التى أتينـا بهـا عبر الصحـراء ٠ البعض يملأوون الجرادل ويذهبون بهـا الى المطبخ ، وآخرون الى المخبـز ، وبعضهم يستحم فى الهواء الطلق ، فالعمل فى الحمامات لـم يبـدأ بعـد فما زلنـا فى انتظـار الخزانات وطلمبـات الميـاه التى وعدنا بهـا المأمـور وقـد سافر خصيصا من أجل احضارها هى ولوازم أخـرى ٠ فجأة نسـمع أصوات بعيـدة تـردد نشيد : بلادى ٠ بلادى ٠ الصوت يقتـرب ، موكب من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زمـلاء يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشـياء كبيـرة لا نتبين منهـا سـوى الصهاريج ٠
ـ اذن وفـى نعـم المأمور ما وعد بـه ٠٠
ـ ومن هؤلاء الزملاء ٠٠ ؟
ـ أحكام جديدة بالأشغال الشـاقة ؟
ـ ربما ولكن من ٠٠ ؟
يصرخ أحـد الزمـلاء ٠٠
ـ دول الزملاء اللى فى سجن مصر ٠٠
ـ لكن دى أحكامهم سجن بس ٠٠
ـ لازم راح يلمونا كلنـا على بعض ٠
ـ دى تبقى مخالفـه صريحة للقانون ٠
ـ قانون أيـه اللى أنت جاى تقول عليـه ٠ ؟
تقف العربات عند باب السجن ٠ يجرى اليها الزملاء يستقبلون زملاءهـم بعـد فـراق سنوات ٠ مأمور السجن وضباطه وجنوده يشاهدون هـذا المشهـد الانسانى فى صمت ٠
قـوة اللحظـة وعمق انسانيتها يمكن أن تحـرك الجانب الانسانى حتى عنـد أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحـوا شـبه أصدقاء لنـا ٠
بصـوت ودود يقـول المأمور :
ـ انتو بقى مبسوطين بحضور زمايلـكم ٠٠ والا بالصهاريج دى ٠٠
ويصيح الزمـلاء فى وقت واحـد :
ـ الاتنين طبعـا ٠٠
ـ الخير على قدوم الواردين ٠٠ جبت لكم كميـات هائلة من الظـزود ٠٠

وللتأكـد يسألون :

ـ طـرود أيــه ..

ـ طرود من أهاليكم ..

ـ هايل « لازمــة مجدى فهمى »

ـ عظيم « لازمة زكى مــراد »

ـ مدهش « لازمة صلاح حافظ »

ـ آهو ده الشغل « لازمة ملك الصحراء »

ـ رائـع « لازمــة محمد شـطا »

ـ تمــام « لازمة سعد باسيلى »

لـم تهـدأ حـركة الاهالى منـذ غادرنا **ليمـان طـره الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة** . كانوا يترددون يوميـا على **مصلحة السجون والمبـاحث العـامة ورئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنيــة والعماليــة** . كتبـوا مذكرات لكل المسئولين فى الدوله ، ووزعوا بشكل علنى بيـانا علـى الشعب عن ترحيلنـا المفاجىء الى مكان مـا **فى الصحراء** ، ورغم الوعـود التى أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزياره لزوجة أحـد المسجونين ، فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لـم يصرح بهـا . وبحمل البيــان فى ختامه مسئوليــه المؤامـره التى تدبـر ضدنا . ولـمـا وجـد الأهالـى تباطؤا فى تحقيق مطالبهم دخل عـدد منهم مصلحون السجون وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجـاب مطالبهم أو **الموت** مع ذويهم الملقى بهم فى **الصحـراء** . عرفنـا هذا من الزمـلاء الذين أتوا الينـا من سجن مصر .

وحين نشكر **مامور السجن** على جهوده التى كللت بالنجاح فى مصلحـة السجون ، يقـول بتواضع .

ـ الشكر لأهالكم .. دول حقيقى أبطال .. همه اللى خلوا المسئولين يقتنعوا بمطالبكم . كل اللى عملته أنى وقفت الى جانب هذه المطالب .

ويتجـه المأمور الى داخل السجن ويــرى حنفيات الميــاه . فيصيح فرحا

ـ [illegible] .. والله أبطـال

ـ [illegible] .. والطلمبـات [illegible] فى موعد

ـ طيب بالله بقى علشـان تستلموا الطرود

بعض الزملاء يمشى فى ثبـات نحو مكتب المامور ، فهـم يثقـون بـأن لهم طرودا .. والبعض الآخـر يقـدم رجـلا ويؤخر رجـلا ، تـرى هـل عندهم فائض كى يرسلوا طـردا ؟ . وباقى الزمـلاء لم يكلف نفسـه عنـاء الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليـه باحتياجاته ؟.

ومع أن نظـام « **الحيـاة العـامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء مـن طعام وسجاير ونقود ويوزعهـا على الجميع بالتساوى ، **لا فرق بين الزميل**

المقتـدر وبين الزميل المعـدم ، الا أن مجـرد وصول أى شئ مهمـا صغرت قيمته للمسجون يرفع معنوياته الى حـد لا يمكن تصوره · مـرات كثيرة رأيت فيهـا زمـلاء لم تصلهم طـرودا أو نقـودا ، فى عيونهم حزن وأسى · لانستطيع ابتساماتهم المفتعلة أن تخفيهـا · ربمـا كنت أكثـر احساسا من غيرى بهؤلاء الزمـلاء · فمـد كنت ـ فى أغلب الأحيان ـ واحدا منهم ·

كان الضابط ينـادى على أسـماء أصحاب الطرود ، بينمـا كنت أضـع يـدى على قلبى · خوفا على نفسى ، وعلى عـدد من الزملاء أعرفهم جميعـا· هذه أول مـرة يرسل لنا فيها الاهالى طـرودا · والذى لا يصله طـرد فى هذه المـرة بالذات سـوف يأخذ عقله ويعطى ، تـرى هل أصابهم مكـروه ؟ هل يئسوا من عودته فقـرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لـم تمكنهم من ارسال حتى علبة سجاير ؟

أوزان الطرود تبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيـد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحتويات أيضا مختلفة، فى بعضها « **مارون جلاسيه** » وفى بعضها الآخر « **حرنكش** » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلاوة مصنوعة من بقايا العسل الأسود ، و «المارون جلاسيه » ـ كما أظن ـ أبو فـروه مكسـوة بالشكولاتـه !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم ·

حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة · الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بهـا الى مسئول « **الحياة العـامة** » ·· ليتولى مصادرتها لصالح الجميـع بالمساواة الكاملة · وكان يوما مشهودا ، كان موعد الغذاء قـد حـل · وحين سمع الزمـلاء دقـات نـداء الغـذاء المعتـادة ذهبـوا اليـه متكاسلين ، متباطئين ·· يأخذون نصيبهم من الطبيخ والأرز واللحم · حين لا يسـمع الزميل أحمد خضر التحيـات والتقديرات المعتـادة لطبيخه ، يصيح بصوته المسرسـع :

ـ ايـه يا زملا ·· بطاطس ولحمـة ورز ·· مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح · بل ولا ردا على سؤاله ·

ـ اطبخ لكم بفتيك ·· مبلبه ·· لحم بارد ؟

ثـم يصرخ بغضب ··

ـ شئ بارد صحيح ··

ويجـرى حوار طـريف :

ـ يا أحمد وأنت مالك بس

ـ أمال مين اللى ماله ·· مش أنا مسئول الطبخ ؟

ـ وحد قالك حاجة

ـ أمال مالكو متيسين لـيه ؟ ·

ـ يا أخى افهم بقى ..
ـ أفهم أيـه ؟
ـفيـه طرود وصلت النهاردة ..
ـ وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
ـ طبعـا .. واستلمناه ..
ـ طيب أعرف فيـه أيـه ؟
ـ روح لمسئول الحياة العـامة .
ويجـرى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركـا جرادل الطبيخ والأرز واللحمـة ، والمغرفة ما زالت فى يـده ليعـرف ماذا أرسل اليه أهله !
وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان .
ـ ذك ، ذك ، تك .. تك ، تك ، تك ..
ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .
ـ طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .
ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعـه ثلاث زمـلاء ، ويحمل الأربعـة غطيان جرادل » وعليها ما لذ وطاب مما أرسله الأهالـى فى طرود اليـوم
ـ بفتيك .. !
ـ فيليـه ..
ـ فـراخ ..
ـ ديك رومى مـرة واحـدة .
ـ والله عمرى ما كلته ..
ـ والفيليـه دى لحمه مشوية ولا محمرة ؟
ـ مشوية يا بنى آدم ..
ـ اتمدنوا بقى ..
ـ والبفتيك بالردة والا بالدقيق ..
ـ يا جدع بالبقسماط المجروش ..
ـ والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..
ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :
ـ يازملا انتو بتفكروا بطريقـة آنيـة . استراتيجيا بقى أنـا اللـى اكسب . [illegible] ذكروا أن الطرود [illegible] ٠ وكمـان [illegible] تيجـى كل [illegible] محتوياتها دى . [illegible] مـرة يبعت [illegible] الأهـالى طرود بعـد ما جينـا هنـا فى [illegible] طبيعى أنـه ...
وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :
ـ تك ، تك تك ... تك ، تك ، تك ..
ويستطرد أحمد خضر :
ـ أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابـة لمـا كنت

الخطب ٠٠ ويقاطع مـرة أخرى :

ـ تك ، تك ، تك ٠٠ تك ، تك ، تك ٠٠

ـ النفابيون الصفر ٠٠ كانوا بيقاطعونـي زيكو كـده ٠٠

ومـرة ثالثـــة :

ـ تك ، تك ، تك ٠٠٠ تك ، تك ، تك ٠٠

ويقـول مسئول الحيـاة العامة :

ـ يا أحمد دول مش بيقاطعوك ولا حاجة ٠٠

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

ـ ازاى بقى مش بيقاطعونى ٠٠ انا احتج ٠٠ أيه رأيكو يازملا ؟

ومـرة رابعـة :

ـ تك، تك . تك ٠٠٠ تك ، تك ، تك ٠٠٠

ويخرج مسئول الحياه العامة . مـرة ثانيـة ، يتبعـه ثلاث زمـلاء ،
يحملون الفاكهـــة .

ـ تفـــاح

ـ منجـة

ـبرقـوق ٠٠

ـ والله الحبسه أحلوت

ـ نعمة يصونها من الزوال ٠ ٠

ـ اللهم ما أجعله خير ٠٠ عينى بتـرف ٠٠

وترتفع أصوات بعض الزملاء ٠٠ عينى بتـرف يا حبة عينى، باللى حرمت النـوم من عينى ٠ خير ان شـاء الله ٠ والله ما كان على بالى دا كله ٠

وبينمـا يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقروانااتهم لأول مـرة من الحنفيـات ودون مشاكل مع **أحمد خضر** مسئول الطبيخ يعلو صوت يقـول :

ـ خبر هام يا زملا ٠٠ كل واحـد بستنى مكانه ٠٠

ويعلن مسئول الحياة العامة .

ـ ابتداء من اليـوم ٠٠ فيـه نسـاى زيـادة الساعة خمسة ٠

ـ فايف أو كلك تى ٠٠ يا عينى ولسـه ٠

وينصرف الجميع الى خيمهم لقضـاء قيلولة الظهيرة ٠ واستلقى علـى سريرى الخشبى ٠ كنت حزينـا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقـا لسبب لا أدرى مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن ٠

وكانت وقفـه تأمل مع النفس ٠٠ تستحق أن أخصص لهـا رسـالتى المقبلة ، فالى اللقـاء يا حبيبتـى ،،

٥ يوليـو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتـــى

مى بعض الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوت أقوى من كل الأصـــوات، بالحاح ، قف لحظـــة تأمل مع نفسك · ولقـــد شهدت سنوات عمرى منـــذ شبابى عـــددا من هذه اللحظـــات التى أحدثت كلهـــا انعطافا حاسمـــا فـــى حياتى على المستويين العـــام والخاص · قبل أن أدخل السجن ، وخلاله ، وبعـــد خروجى منـــه ، كانت اللحظـــة التى حدثتك عنهـــا فى رسالتى السابقة واحـــدة منهـــا · « أرى فى عينيك الرغبـــة فى حديث عن كل تلك اللحظات » أعـــدك فى رســـائل مقبلة ، ودعينى أحدثك عن هذه اللحظـــة بالذات ، لحظة دهابى لفضـــاء قيلولة ذاك اليـــوم الذى شهد استلامنا جميعـــا طرود طعـــام وسجاير وحلوى وفاكهة من أهالينـــا ·

قبل أن نستلقى على أسرتنـــا الخشبية ، وفى حركة تلقائيـــة ، أخـــذنا جميعـــا نتأمل بفرح الملابس التى وصلتنـــا مى الطرود ، وتوالى التعليقات:

« **مجدى فهمى** » ــ أمى هية اللى مصلت لى البيجامة دى ·

ــ وعرفت ازاى يا مجدى ؟

ــ ودى محتاجة لذكاء ··

يضحك بحب وحنان ويستطرد :

ــ شـــوف واسعة ازاى ··

« **سعد باسيلى** » ــ شوف بيجامتى ·· آخـــر تمـــام

ــ طبعـــا شغل معلمين ··

ــ ده تخصص يا أستاذ ··

« فنـــة أخت سعد باسيلى اضطرتها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف الخياطـــة »

« مصطفى نبال خليل » ــ والله ساطيره مراتى · عملة جدا ·· شوف · امه · · مثه سجين محور ؟

ــ أنا اللى نفسهـــا اراى نفصل الهدوم ··

ــ لك حق ما انت بتـــاع كلـــه ·

ويستمر الحوار ، لم يكن حوارا بين الزملاء ، وانمـــا كـــان حوار بينهـــم وبين أهاليهم · وأدرك سبب النـــداء الذى يلح فى داخلى · قف مع نفسك لحظـــة تأمل · الحوار مع الحيـــاة يجرى من خـــلال قنوات عديدة ومتنـــوعة،

عامـــة وخاصة ، ومع أنـه لا انفصـال بين العـام والخاص ٠٠ الا اننـي
كنت فى حاجة ملحـة لحوار من خـلال قنـاة خاصة جـدا ٠ هذا الحـوار
الخاص الذى يجرى تلقائيـا منذ لحظــات بين الزملاء ، وبين أهاليهـم
يؤكد هذه الحقيقـة لكننى أحاور من ؟ لو ان زوجتـى « ميمـى » هـى التـى
أرسلت لى هـذه البيجامة ــ وان كـانت جاهـزة ــ لخلفت بعض كلمـات
للحوار ٠ أخى مسعد ــ رحمه الله ــ هو الذى أرسلها وليست « ميمـى » ،
فهو لـم يكتب لـى شيئا عنها وعن أخبارها ٠٠ الحوار مع أخى مسـعد متصل
ولكنـه حوار عـام وأنا فى حاجة الى حوار خاص ٠٠ خاص جـدا ٠ لو كانت
أمى ما زالت على قيـد الحيـاة ، لظل حوارنا متصـلا متجددا ٠ ماتت فى
النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعى ، وكانت كلماتها الأخيـرة لـى ٠
« خـد بالك من مسعد » ما زلت اتذكـر حوارا قصيرا معهـا بالكلمة والحرف،
كنت من وجهـة نظـرها أحسن أخوتى « حنين » مالوش مطالب ٠ لا يحب
المشاكل ، لكنهـا كانت تعجب لأمـرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطـر ٠
قالت لى فى حنـان ٠

ــ هو انتو يا ابنى ضـد الحكومة والانجليز ؟

ــ ضـدها وأكتـر كمـان ٠

ــ ازاى يا ابنى ٠٠ دا انتـو غـلابة ؟

ــ ما هو سعد زغلول « باشـا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلـد

ــ يعنى انت يا ابنى راح تبقى زى سعد باشـا ٠٠

أضمها بين ذراعى وأقول لهـا بابتسامة :

ــ وليـه لا ٠٠ ؟

وتقبلنى بكل حنـان الأم ، وتقـول :

ــ ربنـا ينصركم يا ابنـى ٠

وأختى الوحيدة ــ رحمها الله ــ هى التى بتـرت بسكين حـاد حـوارا
كـان بيننـا حين طلبت منى أن أخرج بأى ثمن حتى تشفى من مرضهـا ٠
فقـد قال لهـا الأطباء أن مرضها حدث نتيجـة صدمة اعتقالى ، وخـروجى
سيحدث لهـا صدمة أخرى تشفيها من المـرض ٠

لا أستطيع ان أتصور يا حبيبتى المدى العميق ، الغنى ، المتجدد لحـوارنا
المتصل لو انـا التقينـا قبل ١٨ يوليو عـام ١٩٥٢ ، ولو بيـوم واحـد٠
أو لحظـه واحـدة ، ربما كـان لقاؤنا القصير هذا نـواة لتجربة حب عظيمة ،
وربمـا كـان بداية لصداقة وطيــدة ، لكنك يا حبيبتى كنت مـا تزالين
« فى المهـد صبيـة » !

أحيانا ٠٠ وخـلال مسيرة النضال الطويلة مع مجدى فهمى ، كنت أعجز
أحيانا عن رؤيـة العالم بوضوح ، وكـان مجدى يقـول :

ــ انت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية ٠

ـ لماذا ؟

ـ قدراتك على الابداع والخلق تتضاعف عشرات المرات من خلال علاقة خاصة جدا ٠

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التي سمعتها من مجدى فهمى مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما ٠ عرفت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط ٠ أنت قاسية يا حبيبتي ٠٠ لماذا ثم دلفت الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتي النفسية في تلك اللحظة البعيدة التي عشتها في قلب الصحراء منذ ما يقرب من العشرين عاما . هو انني لم تعد [illegible] علاقة خاصة ، أمي ماتت ، واختي بترت حوارنا ، وزوجتي « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها ٠ هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت . والزوجة ٠ وليس لي صديقة أو حبيبة ٠ حتى أخوتي ـ عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد ـ انصرفوا جميعا عني ٠ وكان يمكن أن أجد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفا يرطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه ٠

لم يعد هناك أي مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مقوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لا يمكن أن تستمر، وبالتالي يجب الا نصر عليها . ما دامت قد فقدت [illegible] بقاءها ، واستمرارها ٠ وأحسست بهدوء نفسي بعد اتخاذ هذا القرار ٠

الأصدقاء القريبون مني ، وكل من تربطني بهم علاقة خاصة يرون ان تعبيرات وجهي تكشف بوضوح عما يدور بداخلي ، ويبدو أن مجدى فهمي وكان مستلقيا على سريره بجواري يتابع في صمت انفعالاتي الداخلية التي يعكسها وجهي ٠ قال وابتسامه ودودة تكسو وجهه :

ـ عاوزين نقعد قعده النهاردة

ـ انا محتاج قوى لهذه القعدة

ـ باريدك نكون ما اتخذتش قرار

ـ حتى لو حصل ٠٠ ممكن التراجع عنه بعد المناقشة ٠٠ انت مش عارف الحكاية دى يا مجدى ؟

ولا يستغرق حديثنا أكثر من نصف ساعة لينتهي الى القرار نفسه ٠ لكن الحديث [illegible] الحوار المتصل هو جوهر كل [illegible] هذا الحوار على أسس انسانيه مشتركه بقدر ما تنمو وتتطور ، وسوقنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التي لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات ٠ ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانساني المشترك ٠

واليــوم ـ بعـد أكثـر من **٢٦ عامـا** ـ منـذ التقيت **بمجدى فهمـى** نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليـه صداقة ٠ انهـا تجـربة عظيمة تستحق أن تسجل فى عمل كبير ، فأبعادها العميقة فى نفسينا التى اكتسبتها ليس فقط من خـلال الاتفـاق الفكـرى والوجدانى ، والنظـرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضـا من خـلال صمودها لمحاولات لم تتوقف ـ وللأسف من زملاء ـ لضربها أو النيـل منهـا ٠ محاولات وصل بعضهـا الى درجـة من التدنى تقشعر لهـا الابدان ٠ وعينا راحت كل محـاولات الأصدقاء ، والأعداء لتنـال من صداقتنا الوطيدة ٠ ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجـربة حيـة ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكـر بذهن صـاف ، وأن يخلق ويبـدع ويبتـكر ٠

ونفترق سـويا وقـد تشابكت ايدينـا نـردد فى صمت قسم المحافظة على تجربتنـا الفـريدة كمـا نحافظ على حبات عيوننـا ٠ وفى الصبـاح نفاجأ بجلسـة انسانية رائعـة مـع **أم مجدى فهمى وأخت سعد باسيلى** ، أحكى لك عنهـا فى الرسـالة المقبلة ٠ باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتــى

كان لوقفتــى مع نفسى ثم حوارى مع **مجدى فهمى** أثرهما العميق فــى وجدانى • لقــد نفضت عن نفسى أوهام علاقات زوجيــة وعائلية كنت متعلقا بهــا سنوات طويلة منــذ دخلت السجن • وبــدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتى الانسانية خــلال سنوات سجنى • حقــا لقــد كانت علاقاتى بكــل من التقيت بــه من الزمــلاء ، وعــدد كبير من الأخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تتسـم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تـكون البديــل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم ، أو الأخت ، أو الزوجة ، ربمــا كــانت العلاقات الزوجيــة أو علاقة الــدم مع المرأة هى أكثــر العلاقات الانســانية التى يجــد فيهــا الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان • ولكــن اذا توفــرت كل الظروف التى توفرها مثل هذه العلاقات عنــد أم صــديق ، أو زوجته ، أو أخته . ألا يمكن أن نكــون بديــلا لعلاقة الزواج أو الــدم ؟

كان هذا السؤال يلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظــرية التى تقــول : نعــم ٠٠ يمكن • فما العلاقات الانسانية بجوانبها المختلفــة الا توافق عاطفى ووجدانى ، تجسده الظروف الموضوعية المناسبة •

وتشاء الصدفة ـ وكثيرة هى الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هامــا ـ أن تعطينى الاجابة العملية المؤيــدة للفكرة النظــرية •

كانت الساعة لاتتجاوز الثانيــة عشر ظهر يوم بعيــد فى **سجن «جناح» بالواحات الخارجة** • عــربة تقف على باب السجن الخارجى • ومن بعيــد نلمح **ثلاث سيدات ينزلن** من العــربة • **نساء فى قلب الصحراء** ؟ من هن ؟ وكيف وصلن الى هنــا ، ويجرى الزملاء الى هنــاك • جريت بعدهم بقليل ، لأجــد نفسى بين أحضان **أم مجدى فهمى** ، تقبلنى بحنان بالغ • حنـــان الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيــده • ثــم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى ثــم شقيقة **سعد باسيلى** • ويصيح مجدى فهمى ٠٠

ـ هايله يا أمى ازاى عرفتى تيجى ؟

وتقول بثبــات وثقــة :

ـ وانت ازاى جيت ؟

ويلتفت مجدى الى زوجة اخيه :

ـ مدهشة يا « بــدرية » وصلتوا ازاى ؟

وتحتضنه (بدربه) بحنان كبير ··
ــ زى ما وصلت انت ··
والتفت الى فتنــه ــ أخت سعد باسيلى ــ
ــ حمد الله على السلامة يا « فتنــة » ·· ازى سكرى ·· (شقيق سعد باسيلى)
وأرى دموعــا فى عينيها وتقــول :
ــ شكرى فى **سجن مصر** ·
ــ من امتــى ؟
ــ بقــاله شهرين ··
لم يكن لشكرى أى علاقة بالتنظيم · وكــان من العناصر التى يطلق عليهــا لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلى قبل دخوله السجن · فما الذى حدث لــه ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويقطع صوت « فتنه » تأملاتى:
ــ شكرى موجود فى مستشفى السجن ·
ــ ليــــه ؟
ــ حاول الهرب ، قفز من الدور التالت لمــا جه البوليس ، انكسرت رجله··
ــ ومسكوه فى الحــال طبعــا ؟
ــ أبدأ فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه ·
ــ ولا يهمك يا فتنــه ··

وتلتفت حولها ·· تبحث عن أخيها ·· كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليهــا ويتحدثون معهــا وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :
ــ فين سعد يازملا هو ما عرفش والا ايــه ؟

وألمحــه من بعيــد يأتى الينــا على مهل · كان **سعد باسيلى** يمثل لنــــا مشكلة **بالغة التعقيــد** · من رأيــه أنه لا مكان للعواطف الانسانية فــى نفس المناضل،فهىنقيضالصفاتالأساسية التىيجب أن تتوفرعندكلالمناضلين والغريب أنــه هو نفســه يحمل فى داخله كــل كنــوز الانســـان العاطفيــة والوجدانية ، ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لابرازهــا · عندما كان وجهه ــ الناصع البياض ــ يجرى فيــه الــدم ويصبح شــديد الحمرة ، نعــرف أن معــركة ضارية تجــرى فى أعماقه · كانت عواطفـــه تنتصر دائمــا ، ولكنــه لا يعترف ابدا بلسانه · كــان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخــر · وجسد لقاؤه بأخته التى عانت من مشــقة طــريق قطعته فى **٤٨ ســاعة** ، والتى بذلت جهــدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى ألقوا بــه فى الصحراء منذ أكثر من شــهر ــ جسد صورته بشكل واضح · رأته من بعيــد يسير نحوها فى خطـــوات منتظمة ــ لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى بــه داخل السجن ·

ـ أهــلا يا فتنــه حمدلله على السلامة ··

يــده ممدوده للسلام عليهــا بطريقة تقليدية تماما · وعبثا تروح كــل محاولات ســفيفته للحصول على قبله منه · كانت حمره وجهــه تزداد عند كل محاوله تقوم بهــا المسكينه لاحتضانه وتقبيله · صاح الزملاء الذين كانوا يراقبون هذا المشهد ، وهم يصفقون بأيديهم ··

ـ سعد باسيلى ·· سعد باسيلى ·· أعيش معاك وأطلع من دينى ·· يا سعد باسيلى ·· يا سعد باسيلى ··

كان نشيدا كتب كلماته الساخره **عبد الرحمن الخميسى** ، ولهذا النشيــد قصــة طـريفة ·

ذات يــوم عــام **١٩٥٣ فى سجن مصر** كــان عبد الرحمن الخميسى ينتظر زيارة زوجته لــه ـ لا أذكــر ترتيبهــا فى قائمه زوجاته ـ لكنهــا لم تحضر · وكــان حزن الخميسى ـ ربما لطبيعته كفنان ـ بالغــا الى الحد الذى جعلنى اقترح عليه أن يقضى الليلة فى زانزانتــى ومعنــا ثلاثه مــن الزمـــلاء بينهم سعد باسيلى والزميلان الآخران **كانا سعد زهران ومجدى فهمى** ·

وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعــداد لعشاء شهى من السمك واللحم والمحشى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران، قال الخميسى بحسرة وألــم :

ـ كــان نفسى فى السمك اللى بتعمله مراتى ··

ويبتســم سعد زهران بانسانية ويقــول ··

ـ معلهش يا عبد الرحمن ·· ده سمك كويس بتعمله ســعيه ··

ويــرد الخميسى :

ـ لأده كان السمك اللى جابللى من بور سعيد ·· طازج ··

ويتدخل سعد باسيلى :

ـ أيــه يعنى الفــرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد

ـ لا فيــه فــرق طبعا يا ســـعد ··

ويقول سعد باسيلى بامتعاض · ·

ـ أبدا ·· كل الحكاية ان الخميسى عاوز ياكل من سمك مــراته ··

ويصيح الخميسى بصوته الجهورى ··

ـ أيــوه يا سعد ·· السمك اللى بتعمله مراتى لــه طعم خاص ·

ويــرد عليه سعد بثبــات :

ـ طعم خاص عندك انت بس ·

ويعلو صــوت الخميسى :

ـ طبعا عندى بس ·· أمــال عند الجماهير كلهــا !

ويشعر سعد باسيلى بان « **الجماهير** » قــد أهينت فيهب للدفاع عنها !

ـ بس ماليكش دعــوة بالجماهيــر ··

ويحتد صوت الخميسى :

ـ هو أنت يا أخى وصى عليها ‥

كنت **أنا وسعد زهران ومجدى فهمى** ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسم بين الحين والحين ٠ التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

ـ الله اننوا واقفين على الحياد ‥ اشتركوا معانا فى المناقشة ٠

أوجه حديثى لسعد زهران ٠

ـ أيه يا سعد ما تقول رأيك

يرد ضاحكا ‥

ـ لا ياعم قول أنت ‥ أنا خايف ‥

وأقول لمجدى فهمى ‥

ـ طيب اتكلم انت يا مجدى ‥

ويضحك قائلا ‥

ـ انت عارف ‥ أنا مش فدائى ‥

ويلتفت الى الخميسى ويتساءل ‥

ـ أيه الحكاية ‥ طيب قول أنت ٠

وأقول ضاحكا ‥

ـ وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، ويشاركنا سعد باسيلى الضحك لكن نظراته تنطق بأننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم ٠ ونبدأ فى تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « الفضفضة » حول أكلة شهية صنعتها أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم ارهابه ، بين الحين والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

ـ ايه رأيك بادرش فى السمك ده ‥

ـ سميعة ساطرة فى عمل السمك ‥

ـ بذمتك مش أحسن من سمك اسكندريه ؟

ويصيح سعد باسيلى ‥

ـ أيوه كده اكشفوا عن نفسكم ‥ كنتم بتروحوا اسكندرية علشان تاكلوا سمك ٠

بمسكنة يقول سعد زهران :

ـ وفيها أيه يا سعد ؟

ويرد سعد باسيلى ‥

ـ طبعا فى ابو قير ‥ مش كده ؟

وأقول :

ـ أبدا والله يا سعد ‥ عند الزميل « **خالد** »

ويعلق بسخرية :

— يا عيني يا عيني على القيادة ..

يسقط في ايدينا . ولا نعلق . وننتهي من تناول العشاء وقد فقدنا جزءا أساسيا من لذته ، لحدة الحديث عن الذين صنعوه . ثم جاءوا به الينا في السجن .

يقوم **سعد باسيلي** باعداد الشاى بينما ينصرف **عبدالرحمن الخميسي** للكتابة ، وأنصرف أنا **وسعد زهران ومجدى** لحديث هامس عن الزيارة حتى لا يسمعنا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول الشاى يبدأ عبد الرحمن الخميسي في قراءه قصيدة مطلعها :

انى انتظرت صبيحة الاثنين

أن تحضرى لزيارتى باعينى

لكن مضى يومى ولم يخرجنى

من قبضة الزنزانة السجان

سادنا الصمت احتراما للمعانى الانسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل في زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلي غيظا ، يقاوم بعنف كلمات على لسانه ، وما أن ينتهى الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر سعد باسيلي .

— بقى دى .. روح مناضل ..

ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..

— سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيش معاك واطلع من دينى يا سعد باسيلي ياسعد باسيلي .

وينظر هو الينا في اشفاق وحسرة على « مناضلين آخر الزمن » ولاد **الكلاب المنفقين** » !!

ولقد كانت شخصيه سعد باسيلي محل حوار ومناقشة بيننا في مناسبات مختلفه ، وكنا دائما نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع الا أن تحترم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحيةبحياته من أجل ما يؤمن به . لكنه يقوم بكل هذا اليكترونيا ، على الرغم من تكوينه الداخلى الانسانى .

ربما كانت في حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟

هذا ما كان يرجحه **الدكتور فؤاد مرسى** عندما كنا نناقش هذه المشكلة عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأى علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه من المرأه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما . كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسى **تقدمى وبين رأى رجعى في المرأة ؟** ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

وأعــود بك يا حبيبتي الى أول زيــارة لنــا في **الواحــات الخارجــة** ٠ **والــدة مجدى فهمى وبدريه زوجـة أخيه مصطفـى ، وفتنـه أخت ســعد باسيلى** يحيط بهما الزملاء ٠ كـل زميل بريـد أن يعرف أخبـار أهـــله وذويه ، وكانت الزائرات بملكن حصيلة هائلة من أخبـار العائـــلات ، فهذه خطابات ، وهذه طرود جئن بهـــا ٠ وهذه مشاكل مطلوب حلهـا كلمت والــدة مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها ٠ تقول لمجدى :

ـ يــا مجدى عاوزه مــلان وفلان و ٠٠

ـ ليــه يا والدتــى ؟

ـ وأنت مالك ٠٠ عاوزه اتكلم معاهــم ٠

ـ أيه يعنى يا أمــى ٠ ٠ أسرار ٠

ـ أيــوه أسرار ٠

وينادى **مجدى فهمى** على الزملاء المطلوبين ، وتنتحـى الأم جانبــا بكـل زميـل ويتهامســان ، حتى كـاد النهـار أن ينصرم ٠ ويقول مجدى ضاحكا ٠٠

ـ وأنا يا أمــى متى راح ييجــى على الدور ؟

ـ بكــره كله علشــانك ٠ ٠

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيــارة ســجن ٠ وكيف كان ذلك ؟ فـى الســجون الأخرى تتـم الزيــارة بطريقتين ٠ الأولـى يطلق عليهــا اســم الزيــارة العاديــة ، وهى تتـم من خلال حائطين من الأســلاك يفصـل بينهما متران على الأمل ٠ يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الأخـر ٠ وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الـى حـد كنــا نعجز معه عن معرفة أى شيء ٠٠ ازيك كويس ، شــد حيلك ، مع السلامة ، أربع كلمات لا يســتطيع المســجون أو الزائــر أن يلتقطهــا ٠ والطريقة الأخـرى وهــى مـا يطلـق عليهـا زيـادة خاصــة وهى عــادة لا تزيــد عن نصف ســاعة يجلس خلالهــا المســجون على كرســى والزوار على كراســى أخرى فى حجرة الضابط النوبتجي وبحضــور أحـد السجانة ٠ لكـن هـذه الزيــارة كانت شيئا غير عــادى ٠ فهى ليست فقط زيــارة خاصــــة حـدودها لا تزيـد عن نصف ســاعة بين المســجون وأهــله ، وانما هــى زيــارة أى فرد من أهالينــا لنــا كلنــا وعلى امتــداد يومين كاملين ٠ والواقـــع أن الفضــل يعود الى مأمور السجن « ٠٠٠ » ، ذلقـد فوجــئ الرجـــل كمــا فوجئنــا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيــارة خاصـــة ٠ وكان مـن المســتحيل أن تجرى هذه الزيــارة الخاصة بالطريقــة التقليدية ، فليس من المعقول أن يقطعن آلاف الأميــال من أجل قضــاء نصف ســاعة فى غرفــة مغلقــة فى قلب الصحراء ، وفى حراســة ضابط وســجان ! لقـد أدرك الرجل منذ أول لحظـة اســتحالة ان تتـم الزيارة بالطريقـة التقليدية ٠ ومنــذ البدايــة ســلم بذلك عندماً تناقشــنا معه ، ليس فقط نتيجــة لاقتناعــه

الشخصى ، وانما تسليما بالأمر الواقع · فكل الزملاء ـ الدين لا يمكن حبسهم فى خيام ـ قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة · وكان الحوار مع المأمور حول اقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة · وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء فى اقامه خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة · وبدأت المساومة على المطلب الثانى ـ مدة الزيارة ـ قال المأمور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة · ·

ـ اذن من حقك تحديد مدتها · ·

ـ التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى ·

ـ **وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجون الأخرى ·**

ـ غير معقول طبعا ·· ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟

ـ لكن القطار لن يغادر **الواحات** الا بعد غد ·

ـ ينامون فى الاستراحة ·

ـ ولماذا لا ينامون فى خيمة الزيارة ··

ـ مسئولية !

ـ أنت قادر على تحملها · ·

ـ وما الذى يدعونى الى ذلك ؟ ·

ـ انسانيتك !

ونلحظ دموعا خفيفة تجرى فى مآقى عينى الرجل الانسان ، يقول وابتسامة ودود تكسو وجهه .

ـ موافق بشروط ·

ـ نقبلها مقدما ·

يضحك من قلبه ويقول :

ـ انتم مفاوضين شطار ·

ونقبل كل شروطه · بعد غروب شمس اليوم يذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار عبر الأسلاك الشائكة اثناء الليل حتى الصباح

ـ موافقون ·

ـ وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما ·

ـ موافقون ·

ـ يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية ·

ويستطرد :

(م ـ ١٢ رسالة)

ـ أو حاجات من اللـى انتو عارفينها ٠

وينتحـى الزملاء المفاوضـون جانبـا ويتهامسـون ، من المستحيل أن نقسـم ثم نحنث بالقسـم ٠ الرجل معه حـق ، فمن المؤكـد أن رجـال **المباحث** ينتظرون رجـوع الزوار وسـوف يقومون بعمل اللازم ٠

ـ نقسم بشرفنـا ٠

ـ وأنا واثق انكم رجـال ٠

ـ فقط لنـا مطلب صغير ؟

ـ أرجو أن يكون كذلك ٠

ـ خطابات رسمية لأهالدنا ٠٠ كالتى ترسل بالبريد ٠

ـ موافق ـ ولن اقرأهـا وسأترك ذلك لضمائركم ٠

ويكلف أحـد الزملاء بمراجعـة كل الخطابات التى سيكتبهـا الزمـلاء ٠

وعند غروب شمس اليوم الأول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسـعد باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيـارة ليؤكدهـا من جديد ٠

يقول مجدى فهمى محمد :

ـ شىء هايـل جدا ٠٠ بس مطلوب استثناء بسيط ٠

يقول المأمور وهو يضحك :

ـ تانـى ٠٠ أيـه هو الاستثناء ؟

ـ طبعا غير معقول أن الزوار يناموا ٠٠ والا احنا راح ننام ٠٠ والمسـافة بينا بضعة أمتـار ٠ ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة ٠٠

ـ طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى ٠٠

ـ بالطبع لا ٠٠ فقط نجلس داخل السـجن ، وهم خارجة ، ونتحـدث عبـر **الأسـلاك الشائكة** ، أو علـى الأقـل نراهم ويرونـا ٠٠

ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :

ـ موافـق وبشرط ٠

ـ أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخـر ٠

ـ بالضبط ٠٠

ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهـى الدقة ٠ مجـدى وسـعد يفترشـان بطانيـة على بعد ٥٠ **مترا من الأسلاك الشائكة** ، ـ داخل السجن ـ ، والزائرات يجلس داخل خيمتهن المفتوحـة على بعد ٥٠ مترا فى الجهـة الأخـرى، **خارج السجن** ٠ وعـدد كبير من الزمـلاء يشـكلون مجموعـات صـغيرة منتشرة على **أرض السـجن** ، البعض يتسـامر ، والبعض الآخـر ترتفع أصواتـه بالغنـاء ٠٠ أى غنـاء ٠ وبين الحين والحين تسـمع أصواتـا ٠

ـ يا مجدى ازيك يا ابنـى ٠

ـ الله يسلمك يا أمـى ٠

ـ مش عاوز حاجـة ؟

ـ سلامتك يا أمـى ٠

ثـم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشـارات والضـــحكات المتبادلة ثـم بكلمات متناثـرة معدرة ٠ حتى مطلع الفجر ٠

ومع أشـعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لتلك الزيارة التاريخية ٠ أحكى لك عنهـا فى الرسالة المقبـلة يا حبيبتـى ٠

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتـــى

ويبـدأ اليوم الثانـــى للزيـــارة مع شروق الشمس ، عـــدد من الزمـــلاء يحمـــل جرادل مملوءة بالمياه وصابون وبجرى بهـا نحـو الزائرات كـــى يغتســـان وعـــدد آخـر يحمل « برادا » كبيرا للشـــاى وأكوابـا وبســـكويت للأم والشقيقة وزوجـة الأخ · بعدهـــا بقليـل يفود مســئول الحياة العامـة « صلاح هانـسـم » فرقـه من الزملاء يحملون صوانـــى عليها ما لذ وطـــاب للمطـار · الجميـع يرتـــدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فـــى طرود ، ذقونهم ناعمه ، وشعورهم مصمصفة ، وبعضهم وضع كولونيـــا (٥٥٥) أو بارفـــان ، وصلته مع طرود أمس أيضـــا · كان **لمعى يوســف** « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجـدد الذين وصلوا الينـا من ســـجن مصر · منذ حضـوره قـام بالعمل فى المطبـــخ وكان التنافس بينه وبيـن أحمد خضر شـديدا ·

وذات يوم فوجـــئ الزملاء **بلمعى يوســف** يعمل لهم « محشى » ففـرروا انتخابه مسـئولا عن المطبـخ :

يقول للزائرات :

ــ فول مدمس عظيم ·· ولا فول التابعـــى ·

وترد أم مجـــدى :

ــ تسلم أيديك يا ابنى ·· انت اللى عملتـــه ؟

ــ وطعمية كمان ·· مدهشـــة ·

كانت الطعمية مفاجأة لكـل الزملاء يقدمها لهم **لمعى يوســف** · انـــهم لا يرونهـــا منـــذ ســنوات وكثيـرا مـا دارت مناقشـــــات مـــع لمعى يوسف حول أمكانيـــة صنعها لكنـــه كـــان دائما يعدهم بذلك لكـــن بعـد « تذليـل الصعوبات الأساسية » قال بفخـــر :

ــ أنا قعدت امبارح طول الليـل أفـكر ازاى أوفـر الظروف المناسـبة لعمل الطعميـة ··

ويضحك مصطفى كمال ــ صبيه فى المطبخ ·

ــ الذاتيـــة والموضوعيـــة كمان ··

ويتمتم **زكى مراد** ·· ذاتيـــة موضوعيـــة ·· طعميـــة ··

ويصيح الزملاء ··

ـ هايـل ٠٠ مولد قصيدة شعر جديدة لزكى مراد ٠

ـ نسمعها الليلة بقـى ٠ ٠

ـ قصيدة وتفوت ما حد يموت ٠

بعد ان تتناول الزائرات الامطـار مع عـدد من الزملاء يصيح مسـئول « الحياه العامه » :

ـ يا لله يا زملا ٠٠ كل واحد على شغـله ٠٠ مجدى وسـعد بس اللـى يستنوا هنا مع أهلهم ٠ ٠

يرمـح سعد باسيلى يـده طالبـا الكلمة ٠٠ ويعطيـه مسـئول الحياة العامة الكلمة وهو يضحك :

ـ أيـه يا سعد ٠٠ طلباتك ٠٠ عاوز حاجة ؟

وبمنتهى الجديـة يقول سـعد :

ـ أنا عندى شغل اليوم ٠ عليه الدور فى **غسيل قروان الخيمة** ٠ ٠

ـ معلهش ممكن زميـل آخـر يقـوم بعملك اليـوم ٠

ـ ليـه بقـى ؟

ـ لأن عندك زيـارة ٠

بحسـم يـرد :

ـ أنا لا أوافق على أى استثنـاء ٠

ـ دى ظروف خاصة يا سـعد ٠

ـ ولو ٠٠ وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملـى ٠

ـ ممكن يحصل تبادل ٠٠ اللى عليه الشغل بـكره يعمله النهـاردة بدالك ٠٠ وانت تعمله بـكره ٠ ٠

وتدور مناقشـة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقـة يقتنـع بعدهـا سـعد باستمراره فى الزيـارة وتأجيـل شغله الى الغـد ، ولكن بعـد أن تشترك الزائرات فى المنافسه ، وبعـد ان استخدمت أختـه « فتنـه » كل ما تملك من أسلحة عاطفيـة ٠

ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسـئول الحيـاة العامة ثلاثـة زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشـاى والقهوة والمرطبـات المصنوعـة محليـا كعصير البرتقـال والليمون ، من خبرات الزيـارة أمس ، ويعقـد [illegible] مسئول [illegible] لحثهم على بذل كل جهود[illegible] من أجل اعـد[illegible]

ـ عاوزين ننبه للستات دول انت [illegible] طبيـخ لا يعلى عـن طبيخهم ٠ ٠

ـ أهـو ه كله طبيخ با لعـى ٠

ـ لا بقى ٠٠ طبيخ عن طبيخ يفـرق ٠

ـ الحكاية حكايه نفس ٠

ــ وابـه رأيكو مى محشى ؟
ــ **خطير ٠٠**
ويبدأ لمعى يوسـف فى اصدار التعليمات لمساعديه :
ــ مش عاوز ولا حصـوة واحـدة فى الرز ٠٠ عيب ٠ بتغسـل كويس ويترك علشـان بتنشـف فى الشمس ٠ الكوسـه دى كبيرة ، فنقرنهـا تخينـة ، لازم تنفسر كويس ، واللى مبها بذر كبير نرميـه ٠ ونأخـذ شوية باميـة من بتاعـة بكره ٠٠ نعمل طبقين علشـان الزوار ٠٠ أما اللحمة فسيبوهـا لـى انا بقـى ٠٠
ــ راح تسلقهـا ٠٠
ــ راح نسلق سويـة ٠٠ ونحمر شويـة ٠
ــ وحانعمل سـلطة ٠
ــ يقـوم **حليم طوسون** يجيب لنـا شويـة جرجيـر من مزرعتـه الخاصـة ٠٠ وكمان شويـة طماطم وبصـل أخضر ٠٠
ويرد **حليـم طوسـون** :
ــ ده كل الـى فى المزرعـة ما يجيش حزمتين جرجير وحزمتين بصل و½ كيلو طماطم ٠٠
ــ كويس نعملهم سلطة للزوار ٠٠
ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يقم بعمل مثل هـذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب ، والمهندس ، واستاذ الجامعة ، والطـالب** ، وهـم مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقـة لـم **تعرف الخضرة** من قبـل ،وهم يسـتضيفـون ضيوفـا أعزاء ٠ وهذه الوليـمة الفاخـرة التى يعـدون لها ترمـز الى معـان عميقة ٠ ان يطمئـن الأهالـى الـى أننـا قـادرون علـى مواصلة الحيـاة تحت أى ظـرف من الظروف ، واننا معـا ، يـدا واحـدة ، نتعاون ونتكاتف من أجـل أفضـل حيـاة تستطيع عقولنـا ان تدبـر ظروفها ، ونستطيع سواعدنـا أن تبنيهـا ، نحن بنـاة الحياة وصناعهـا ، سلاحنـا الكلمة وسبيلنـا الديمقراطيـة ، وأداتنـا الوحدة الوطنيـة ٠ لن يقهرنـا أعـداء الحيـاة مهما تنوعت أسـلحتهم ٠ لن نسمح لهم أن يغتالـوا أرواحنـا ، أو يقتلوا حبنـا للحيـاة ، وسوف نحيـا تحت أى ظـرف من الظروف ، وفى أى مكان يزجون بنـا فيـه ٠
يحل موعـد الغـداء ، الزملاء لا يسمعون الدقـات التى تناديهم لاسـتلام طعامهم ٠ عصافير بطنهم تزقزق وتعلو أصواتهـا مع كـل دقيقـة تمـر ولا يسمعون فيهـا « دقات » الطعام ٠
ــ ايـة الحكاية ؟
ــ جعنـا ٠٠
ــفين الاكـل يا لمعـى ٠

ويـرد لمعي يوسـف بغضب :

ــ مش عيب برضـه ٠٠

ــ أيـه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل ٠٠

ــ مس برضه الضيوف يأكلوا الأول ٠

ــ معاك حـق ٠٠متأسـفين ٠

ويصيح لمعـى يوسـف ٠٠

ــ دى تقاليـد شعبنا يا عالم ٠٠ شعبنا المضياف ٠

ان يقدم الضيف على أهـل البيت شىء رائـع ، احـدى القيـم الكثيرة التى يتميز بهـا شعب مصر العظيم ٠ عطاؤه لا ينضب ، يعطـى للضيف قبـل ان يعطى لنفسـه ٠ يعطيه أغلـى ما عنـده وهو راض ، حتـى وان لـم يكن يمتلك غيره ٠ لكن ليس كـل من يدخلون بيتـه ضيوفـا ، هـم فى بعض الأحيـان دخلاء ، وهو يملك حاسـة لا تخطـىء ، يميز بهـا الضيوف عن الدخـلاء ٠ الضيوف اصدقائـه ، والدخـلاء اعـداؤه وهــو قـادر على تمزيـق أقنعتهم مهما تنوعت أشكالهـا ٠ ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف ٠ هذا يحمل صينية عليهـا أطباق الأرز ، وآخـر يحمل صينيـة الكوسـة ، وثالث البامية ورابـع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسـلوق والشـوربـة التى بهـا لسـان العصفـور ٠٠

ــ تصبح أم مجـدى ٠

ــ أيـه ده كله ٠٠ دى وليمة ٠٠

ويتقدم مسـئول الحياه العامـة ، ينحنـى فى احتـرام ، كما يفعـل المتر فى الفنـادق الكبرى ٠٠

ــ كله من خيركم يا ست أم مجدى ٠

وتسأل « فتنـه » ٠

ــ وكل يوم بتاكلوا كـده ٠٠

ــ طبعا ٠٠ طبعـا ٠٠

وتنادى « بدريـه » زوجه مصطفى شقيق مجدى ٠

ــ اذا كان كده آجـى اسجن معاكو بقـى ٠

ــ [illegible] مهمى ٠٠

ــ لا الملى معروف ٠٠ أحوسـ[illegible] مصطفى بزعـل ٠٠

ــ بيجـى معايـا ٠٠

ــ أيـوه ٠٠ تبقـى كملت !

بعد الغذاء يأتـى حاملو جرادل الميـاه والصـابون والفـوط ، ويغسـل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا أمامهم ٠

ــ يا سـلام لو فنجان قهـوة ٠٠

ــ حاضر يا ست أم مجدى ٠٠

البن من بين الأصناف التي لا تصادر كلها مثل معجون الاسنان والأدويه الخاصة للاستعمال الشخصى ، ويقع مسئول الحياه العامه فى « حيص بيص » • من أين يأتى بالبن ؟ يصيح بأعلى صوته .

ـ مين عنده بن يا زملا ؟

ـ الضيوف عاوزين يشربوا قهوة • •

ـ • • •

ويتقدم « كبيفه » المقهوه المعروفين ، **شريف حنانه** ، **حكيم طوسون** ، **وليم اسحق** ، **زكى مراد** ، **صلاح حافظ** يتسابقون لعمل قهوة •

ويعلن مسئول الحياة العامة :

ـ يعنى المستخبى طلع • • من الصبح دايخ على فنجان « قهوة » • •

ـ هوه أنت ضيف ؟

ويمضى اليوم بسرعة لم نعهدها فى السجن من قبل ، قرص الشمس الأحمر يبدو بعيدا فى الأفق ، يرسل أشعته الأخيره ، الظلام يزحف بسرعه يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أقسى لحظة الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق • احباؤنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد **موعد اللقاء مرة ثانية** • حتى هذا اللقاء النادر لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ، والألم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان فى لحظه واحده قبل الافتراق •

وفى قلب « اللحظة » **تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد** حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • الثوار أنقى انقياء البشر • قلوبهم طاهرة مثل قلوب الأطفال ، وارادتهم أقوى من الصلب • هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به • عيونهم لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف انسانى يهز عواطفهم ووجدانهم •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة فى نفوسنا خلال ساعات مضت كالبرق • أياديهنا ترتفع عالية ملوحة ، وقلوبنا تسقط الى أقدامنا ، والدموع فى مآقى العيون تبدو فى ظلام الليل كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت يلف الجميع • دقات العشاء الرتيبة تنادى الزملاء ، نذهب بتثاقل الى « الميس » • • يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ، يعلن أن العشاء اليوم فيه مالذ وطاب ، تعلو هتافات الاعجاب لكن تحس بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاى والحلوى سوف تقام

بعـد العشـاء · بقابل الخبر بالتصفيق والتهليـل الخاليين من روح المـرح المعهـودة عند الزملاء ·

بعد العشـاء ، وخلال شرب الشاى وتنـاول الحلوى يرتفـع صـوت **صلاح حافظ يغنـى** لأم كلثوم ، ثم لعبد الوهـاب ، وفاروق عبد السلام يغنى منلوجات شكوكو ، وأغنيات اسكندرانيـة ، لكن الجميـع ، المغنون والمستمعون معـا ، فى واد وما يـدور فى أعماقهم فى واد آخـر ·

ما أنبـل الثوار ، فـى اللحظـات التى يعتصر الألـم قلوبهم ، يحرصون على أن لا تنتقـل عـدوى آلامهم الى زملائهم وهم يعرفـون أنهم يتألمـون مثلهم · تنتهى الحفلة ، ونمضى الى الخيام · نستلقى على الأسرة الخشبية لا يغمض لنـا جفن · العيـون مفتوحـة ، والألسـنة لا تتكـلم ، عـواء الذئاب ونبـاح الكـلاب يعكر هـدوء الصحراء وسكونهـا ، لكن قلوبنـا أكبر من الصحراء ، ونفوسـنا أكثر منهـا هـدوءا ، لـم تنـل منهما كـل عـواءات ونباحـات أعـداء الانسـانية من البشر · وهـم أشرس من كل الحيوانات المفترسـة ·

قبـل بزوغ الفجر بقليـل يهمس مجدى فهمى :

ـ ما نمتش ليـه يا درش ؟
ـ سرحـان ·
ـ فى أيـه ؟
ـ فى الشـى انت سرحان فيـه ·
ـ تبدو فى الأفـق مؤشرات لمعركـة حاسمة ضـد الاستعمار ·
ـ تحطيم حلف بغـداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة ·
ـ لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليـل ·
ـ وقضيـة الديمقراطيـة ·
ـ يكسبها الشعب من خلال المعركة ضد الاستعمار ·
ـ ما رأيك فى مقال **عبد الرحمن الشرقاوى** ؟
ـ موافـق عليـه ·
ـ وأنـا أيضـا ؟
ـ [illegible] ·
ـ نبى الاتصال بالخارج ·
ـ نناقش الأمـر من كل جوانبـه
ـ طيب ·· تصبح على خير ·

وتشرق شمس يوم جديد من أيـام النصف الثانـى من **يوليو عـام ١٩٥٦** · شيئا ما غير عـادى يجرى فى احدى الخيام منذ الصباح · **أنـا ومجدى فهمى وزكى مراد ومحمد شـطا** نجلس فى احـدى الخيـام وتطـول الجلسـة فى مناقشات حـول المعركـة ضـد الاستعمار التـى تتجمـع بوادرهـا فـى

الأفق • يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار تتطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للشعب فى المعركه ضد الاستعمار هى ضمان النصر • ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ونوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجتمع كل الزملاء كى يتلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجأة لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد . وزادت حرارتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا فى الموقف •

لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييدا ومساندة **وبلا أى شروط** • بتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهره ويوصل هذا البيان الى **رئاسة الجمهورية** والى مدير مصلحة السجون •

ـ والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟

ـ ساحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •

ثم يستطرد :

ـ ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •

ـ لا لسه بدرى •

ـ ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتاييد للحكومة •

ـ نأمل هذا • •

ويصيح المامور بحماس :

وبأسرع ما يمكن مكانكم مش هنا ، بره • فى الشارع ، ده شيء منطقى •

وأعلق بابتسامة :

ـ ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد المأمور :

ـ **عهدى بك انك لست متشائما** • •

ـ **فى هذه** المسالة بالذات متشائم • •

ويوضح أحد الزملاء • •

ـ أصل له ظروفه الخاصة جدا •

ـ ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •

ويبدو على المأمور انه لا **يفهم** الحكاية • ويتولى زميل شرحها له •

ـ أصله كان المفروض يفرج عنه بعد **الثورة مباشرة** •

ـ ليه ؟

ـ لأنه القى القبض عليه **قبل الثورة بسبعة أيـام** ·

ونلمح علامات الدهشـة والاشفاق على وجـه المأمور · ونحس بعـدور حماسـه فى نبرات صوته وهو يقـول :

ـ أظن الموقف مختلف دلوقت ·

يسـافر المأمور الى القاهـرة يحمل موقفنـا الجديد الى الحكام ، ويعـود فى صباح يوم **٢٦ يوليو ١٩٥٦** · ومعـه أخبـارا سـارة لنـا ، وكان يومـا مشـهودا أحـكى لك تفاصيـل أحداثـه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ·

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتـــى

قضينـا الأيـام العشره بعد سـفر المأمور الى القاهـرة فى ١٦ يوليـو ١٩٥٦ وعودته فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، فى مناقشـات واسـعة مع **الاخـوان المسلمين** حول ما جـاء فى مجلة « **الوطن** » وهى مجلة أسبوعيـة خصصناهـا لمناقشتهم على صفحات المجلة • وكنـا نصدر جريدة يومية من صفحتـى كراس بهـا آخـر الاخبـار وتعليق سريـع • كما كنـا نصـدر مجـلة « **الفـكر** » وهى مجلة ثقافيـة تصـدر كـل شـهر ، وكانت مقالاتهـا تعبر عن رأى أصحابهـا وكنـا نناقش كل ما ينشر بهـا فى جلسـاتنا معـا أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقـات قويـة ، بدأت فى لمـان طره انسانيـة ، وانتهت سياسية فـى « **جناح** » ثم فـى « **المحاريق** » • منهم على سبيل المثال البكباشى **فؤاد جاسر** ، الصـاغ **جمال ربيـع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سيد الريس وغيرهم ولـم توقف الخلافـات مـع الاخـوان الآخرين دون استمرار المناقشـة معهم أذكر منهم **صالح ابو رقيق** ، **ومحمـد أبو النصر** ، **ومهدى عاكف وحسن دوح** وغيرهم • من بين هذه المناقشـات اختار مناقشه دينى وبين البكباشى أركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو مـن « الاخوان المؤيدين » • ذات يوم من تلك الأيـام العشرة فى يوليـو ١٩٥٦ ، وبعـد أقـل من ساعة من صدور مجله « **الوطن** » جـاءنـى البكباشـى **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتهـا « نوبتجى » الخيمة وأقـوم بغسـيل أوانـى الأكـل ، وأملأ ميـاه الشرب ، وأرش الخيش الملفوف حولهـا بالمـاء كلما جفت ، وبعـد وضعها فى مكان ظليـل ، كـى تحتفظ ببرودتهـا • ثم أرش الميـاه أمام الخيمه كلما جفت ، وأروى الزرع أمـام الخيمة ، هذا العمل كـان يسـتغرق اليوم بطوله ، لكن كـان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخـر للقراءة ، أو لمناقشـة سريعـة • وحين طلب منـى **فؤاد جاسر** أن نجـرى مناقشة فى خيمته على فنجـان شـاى قلت لـه ضاحكا :

ـ ما أنت شـايف يا فؤاد أنـا مشغول •

ـ وبعدين ضرورى أناقشـك دلوقت •

ـ طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنـا •

ـ عندك شـاى • •

ـ ما عنديش طبعا ـ لكن نطلب من مسئول الحياة العامة •

نظام الحياة العامة بمصادر الشاى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز مادى لتشجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة ٠٠ الخ ٠

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خمس جرادل مساه الشرب حين تجف مأرش عليها الماء وأملأ التى تفرغ منها ٠ وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطيه ، يقول فؤاد :

– قضية الديمقراطية ، وتشمل حرية تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد ٠

– ليست هناك شروط فى **السياسة يا فؤاد** ٠٠

– ازاى بقى تفضل فى **السجن** ونؤيد الحكم الوطنى ٠٠

– الافراج عنا ليس شرطا للتأييد ٠٠

– ولكننا قضية وطنية مع الحكومه الوطنيه فى معركتها ضد الاستعمار ٠

– ولكنك فى نظرها لست كذلك ٠

– وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها ٠٠

– مواقفك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلنه للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك ٠

– من جانبى موافق ٠٠ ماذا تقترح ؟

– أقترح أن تجرى مناقشة مع أكبر عدد من زملاءك وتكتب بيانا للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية ٠

– مهمة صعبة ٠٠ سأبدأ بنفسى ٠

– لا يا فؤاد والا فسر موقفك تفسيرا خاطئا ٠٠

– **جمال عبدالناصر** يعرفنى شخصيا ٠٠ وسوف يثق فى موقفى ٠

– حتى ولو حدث ذلك وهو احتمال ضئيل جدا ٠٠ سوف يكون مادة لأى تفسير خاطىء ٠

– وماذا يهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى ٠

– أظن أن دورك الوطنى [illegible] عند خروجك من السجن

– [illegible] فى الخارج

– مع [illegible]

– مع الحكومة ٠

– أيهما أكثر ضمانا – حتى من الناحية الشخصية – أن تعمل وحدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين ٠

– لن أجد منهم من يقتنع ٠

– هل حاولت وفشلت ؟

– لا ٠٠ ولكنى أعرف مقدما ٠

- الناس بتتغير يا فؤاد ٠٠ انت نفسك تغيرت ٠
- موافق ٠٠ ولكن بشرط ٠

وأضحك قائـلا :

- أنت هاوى سروط ٠٠ أيـه سروطك ٠
- ان تشترك معى فـى المناقشـة ٠
- موافـــق ٠

يبتسـم **فؤاد جاسر** ويقـول

- وأدى سيجارة بيلمونـت بحالهـا ٠٠ تشربهـا لوحدك ٠ اشـعل السيجارة ، وبشـعل فؤاد غيرهـا ، ونصمت حتـى لا تشـغلنا المناقشـة عن الشعور بلذه ندخن سيجارة كامله ٠

كان عـدد من الزملاء يرقبوننا من بعيـد لا يسـتطيعون الاقتراب منـا أثناء المناقشة وتدخين ½ سيجارة مشاركة ٠ وما أن لمحوا السـيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان ٠ أقول ضاحكا :

- يـا زمـلا احنـا مشغولين ٠ ٠
- يعنى ٠٠ فتـره استراحـة ٠ ٠
- نشترك معكما فى التدخين ٠

ويخرج **فؤاد جاسر** علبه سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع **الخمسـة** المتبقين فيهـا على الزملاء ، بعـد أن يأخـذ أحـد الزملاء سـيجارة يقول لى :

- هـات نفس بقـى ٠
- يا أخى ما معاك سيجاره بحالهـا ٠
- نشربها بعد العشـاء ٠٠ لوحدنـا ٠ ٠
- والله فـكرة ٠٠ خـد ٣ **أنفاس** يا عـم ٠

دقات ساعة الغذاء المعتـادة تنـادى علينـا ٠ يهم البكباشى **فـؤاد جاسر** بالانصراف ، يسرع الينـا مسـئول الحيـاة العامة ويقـول لـى بغضـب :

- ايـه بقى ، يمشى فى وقت الغذاء ٠ ٠
- والله فكرت ٠٠ لكن ترددت ٠
- ابعت حـد يقول لـى ٠٠ على العموم أنا عامل حسـاب الأسـتاذ فـؤاد ٠

واحتفاءا بضيفنا يجلس معنـا مسـئول الحيـاة العامـة ٠ واثنـاء تناولنـا الغذاء أهمس فى أذنـه :

- ما تنساش ٠٠ كام سيجارة كـده نشربها مع الضيف ٠ ٠
- يا زميـل أنا عامل حسـابـى ٠

وبعد الغذاء تشتعل ٣ **سجائر** ويهجم علينـا بعض الزملاء « ليرحبـوا » بالضيف ، ومنعـا لاحراجـه ، يتصرف مسـئول الحياة العامة فيوزع علـى

كل ثلاث زملاء سيجارة · ويقترح فؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير من خيمته · ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

ـ شفتوا بقى الملكيه الخاصة · · مفيدة !

ـ عملت لنا أيه الملكيه العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلا :

ـ أيه الحكاية ·· باين علينا راح نتبادل المواقع ·

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة فى مواقفها الوطنية كتبه هو والصاغ **جمال ربيع** والصاغ **حسين حموده** ، وسوف يناقشونه مع أكبر عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله · أقول لفؤاد جاسر :

ـ شفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم · ·

ـ وده راح يلقى على مسئوليه كبيرة ·

ـ وأنت جدير بها ·

ـ تشجيعك يزيدنى ثقة بنفسى · ·

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ **صالح أبو رقيق** · علاقتنا قديمة بدأت فى **ليمان طره** انسانية ثم سياسية · جمعتنا **معارضة** السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية · كان يؤكد حقنا فى مباشرة نشاطنا السياسى بحرية · وكنت أتشكك فى هذه التأكيدات ، غير أننا كنا ننتهى دائما الى أننا متفقون على الاقل فى المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع · فى هذا الاجتماع بدى لى غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « **الوطن** » بانه **ارتداد** عن الموقف الصحيح ·

ـ وما هو الموقف الصحيح ؟

ـ الغاء قرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم فورا ·

ـ بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

ـ طبعا ··

ـ وحقنا فى مشروعية نشاطنا السياسى ؟ ·

ـ هذا ما تملكه الحكومة ·

ـ ليس هذا ملكا لأحد ·· انه حق ·

ـ ومن الذى يعطيه · · ؟

ـ الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ ··

ـ كيف ؟

ـ الشعب بواسطة أداته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى الوطنية ، الممثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد هو القادر على أخذ حقوقه ·

ـ من خلال اسـقاط الحكومة ؟
ـ الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنى ٠
ـ هذا ما نختلف عليـه ٠٠
وبسـتطرد ٠٠
ـ أعجب لكم ٠ قلتم بالأمس انها **فاشـية** ، وتقولون اليـوم انهـا حكم وطنـى ٠٠ كيف هذا ؟
ـ المواقف ليست ثابتة ٠٠ الناس تتغير ٠
ـ من الذى تغير ٠٠ أنتم أم هـم ؟
ـ ربما كنـا مخطئين فى الحـكم عليهم ٠
ـ وبماذا تفسر موقفهم من الحريـات ؟
ـ **تناقض لا شـك** ٠٠ ولا بـد من حلـه ٠
ـ شعار **الاسـقاط** هو طريق حـل هذا التناقض ٠
ـ وانما **التحالف الوطنى** معهم هو الحل الوحيد ٠
ـ أعجب لكـم ٠٠ ربما كنتم خيالييين ٠٠ وربما كان وراء موقفكم هـذا شيئا آخـر ٠
ـ لا هذا ولا ذاك ٠٠ بـل هو **موقف موضوعـى** ٠
ـ لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم ٠ ٠
ويكمـل :
ـ على الأقـل فى المـدى القريب ٠ ٠
ـ نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة ٠ فالمعركـة طويلة صعبـة ومعقدة ٠
ونفترق على خـلاف ٠ لكن نظـل أصدقـاء ، وما زلنـا حتـى الآن ٠
وفى كل مـرة نلتقـى فيها حتى بعـد خروجنـا من السجن يمزح معـى
ويقـول :
ـ أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنـا جنـود لمصر ، فلننتظم فى جيش واحـد ٠
وأعـود الى الخيمة ويوصلنـى الاستاذ **صالح أبو رقيـق** الى منتصـف الطريق ويقول ضاحـكا :
ـ الحدود هنـا ٠٠ مع السلامة ٠
ـ ليس بين الوطنيين حدود ٠
ـ اذن انضموا الينـا ٠ ٠
ـ ربما كان التحالف الوطنـى أفضـل ٠
ـ لكنـه لا يلغـى الحدود ٠ ٠
ـ نعم لا يلغيهـا ٠٠ وانما يضعفهـا ٠
ـ ولماذا لا نلغيهـا بضربة واحـدة ٠ ٠
ـ منطق الحياة لا يسمح ٠

يربت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب .

فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين المقابلتين . وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « المؤيدين » . وأن تصدر « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان المؤيدون » . وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم المعارض للحكم الوطنى . وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى يصيح الفنان **سعيد عبد الوهاب** وهو المسئول عن توضيب ورسم صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

– وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟

– كلك نظر يا سعيد الصبح طبعا . .

– وفين المواد ؟

– حالا تجهز . .

– والحوافز ؟

– المعنوية زى ما انت عاوز .

– لا يا سيدى .. شبعت حوافز معنوية .

– والمادية علبة سجاير هوليود « لارج » ، وأربعة شاى .

ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :

– وأجيب ده كله منين . .

– اتصرف يا أبو الصلح . .

– مفيش سجاير الا للتوزيع يومين على الزملا . .

– ربنا يرزق بعد يومين . .

– لا يا عم مش موافق .

– أبو الصلح .. لا تكن حرفيا ضيق الأفق . .

– أنا مش مسئول . .

وأقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :

– وبعدين .. يا أبو الصلح !

– طيب .. طيب .. أدى علبة السجاير .. وأدى السكر والشاى .. وأنا بقى رايح أنام

ويقول فاروق عبد السلام :

– وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الأشغال الشاقة دى .

يسحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به . وأجلس الى جانبه لأكتب أنا الآخر . وعند منتصف الليل أهز فاروق عبد السلام كى يستيقظ لندفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » . ومع

شروق شمس اليــوم التالــى يعيد الينـــا المواد منسوخة فى نسختين :

ـ هايــل يا فاروق ٠٠ امتــى الباقــى ؟

ـ قبل الغدا يكونوا جاهزين ٠

ـ الجانب الايجابــى الحرفى فيك عظيــم ٠ ٠

ـ بس نظير أجــر ٠ ٠

ـ مفهـــــوم ٠ ٠

ويصيح مسئول الحياة العامة !!

ـ لا ٠ ٠ مش ممكن ٠٠ مفيش سجاير ٠ ٠

ـ وبعديـــــن ٠ ٠ !

ـ طيب ٠٠ طيب ٠ علبة صغيرة آهــى ٠ ٠

ويبتســـــم فاروق ويقــول :

ـ لكن أنا عنــدى « نوبتجيــة » اليــوم ٠ ٠

ويتقدم الزميل **سعد باسيلى** متطوعــا للقيــام بالنوبتجيــة بـــدلا مــن فـــاروق ٠

وتمضى الأيــام سريعــة ٠ فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفـــى صـــدور أعــداد خاصـــة من مجلة « **الوطن** » وجريــدة « **الأنبــاء** » التـــى تحمل آخــر الأخبــار والتعليقات المحليــة والعالميــة ، حتــى يحل **يـــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦** ، وتتلاحــق الأخبــار والأحــداث والمناقشـــات بشـــــكل مثير ، أحكى لك عنهــا فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ٠

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتـــــى

كما قلت لك فى رسالتـــى السابقـــة كان يـــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمـــل لنـــا مع المامور الذى وصـــل من القاهرة فى ذلك اليـــوم أنبـــاء ســـــارة ٠ قال لنـــا وعلى وجهه ابتســـــامة عريضـــة :

ـ مش قلت لكم ٠٠ **الافراج** عنكم أقرب ممـــا تتصورون ٠

ـ **هـــل هنـــاك وعـــود ؟**

ـ لـــم اسمع وعـــودا ولكن الجـــو العـــام فى **الصلحة** ، **والمبـــاحث العامة** ، فى صالحكم تماما ٠ لقد وافقـــوا على كـــل مطالبكم وأكثر منها ٠ الكتب والصحف والزيـــارة والخطابات والطرود واقامة كانتين هنـــا وسوف تصـــل غـــدا ٣ زيارات فاســـتعدوا ٠ وبالنسبة للطعام فقـــد اتفقت مع متعهـــــد فى اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصـــل طازة بطازة ٠٠ واحضرت معى ثلاجة كبيرة ٠ و ٠ و ٠٠٠

ويقول أحد الزملاء ضاحـــكا :

ـ دى الحبســـة أحلوت قـــوى ٠٠

ويعلق آخـــــر :

ـ دى تبقـــى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب ٠٠

ويعلق المامور :

ـ أنا مش فاهم ليـــه التشـــــاؤم ؟

ـ أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار ٠٠

ـ وكل **قرار** لـــه مقدمـــــات ٠

ـ المقدمات ضرورى تكون سياسية ٠

ويـــرد المامور :

ـ زى أيـــه مثلا ؟

ـ رأى الحكومة فى البيـــان اللـــى أرسلناه ٠

ويبتسم المامور ، ويقول ٠٠

ـ واذا جبت لكم رأى **رئيس الجمهورية** ٠

ويخرج من جيبه برقيـــة من رئاسة الجمهورية موجهـــة الى مامـــور سجن « جناح » بالواحـــات لتوجيـــه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعـــوا علـــى البيـــــان ٠

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم • الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج الى مساندة من كل الوطنين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار • والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية • ولكن النظريه سىء والتطبيق شىء آخر • وفى طريقى الى **مجدى فهمى** أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :

– محتاجين لجلسة سريعة • •

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف •

يقول مجدى :

– من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه الموجة من التفاؤل •

– تمام • • والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات الزملاء •

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء • • يقول :

– أى خدمة • • سجاير • • شاى • • قهوة ؟

– وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

– انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم • •

– ما أحنا طول عمرنا بنتناقش • • وأنت عمرك ما عرضت خدماتك بالشكل ده •

– ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

– اذن هات ما عندك • • ورينا عرض اكتافك •

ويعطينا علبة سجاير هولبود « لارج » • ويضع أمامنا ترمس مملوء بالشاى • ثم يقول :

– وبعد شوية أعمل لكم قهوة • •

– أيه الكرم المفاجىء ده ؟

– بس شدوا حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا **افراج** •

لم أشعر يوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ، قبل السجن وخلال السنوات **الأربع الماضية** فيه • ربما كانت هذه أول تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ، **يؤيدونها ويساندونها** ، دون أن **يفرج عنهم** • وربما كانت هذه أول مرة ، تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيها حتى الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟ وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم ،

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل · كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب النظرية ، وتأكيد عدد من مفهوماتها · الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها وتمارسها الطبقات المختلفة · دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية وشرط قيادتها للثورة · ·

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من يقول : المأمور جاب راديو كبير علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** · ونجلس على **البطاطين** فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت المذيع يعلن وصول جمال عبد الناصر ·· ونسمع هتافات عالية وتصفيق حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ جمال خطابه · وحين اعلن جمال **تأميم قناة السويس** ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم ·

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** هتافا يشق عنان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** · وبعد الخطاب انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة · وبلغ تأثر **المأمور والضباط والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون الينا ويهتفون معنا ، ثم يعانقوننا فى ود وانسانية · وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والاخوان المؤيدين · ألقيت فيه الكلمات المناسبة ، والشاعر · الشاعر **فؤاد حداد** انسحب بهدوء بعد أن سمع جمال وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته ليكتب قصيدة ·

يا حمام البر سقف ، طير وهفهف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله ··

وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** ·

بكره النور فى بلادنا دلالى لما نقبم السد العالى ·

قصائد كتبت أثناء **خطاب ناصر** التاريخى ، وأخرى خلال احتمالنا · فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها ومعها كل أقطار الأمة العربية ·

كان استقبالنا لتأميم القناة يفوق فى ايجابيته كل القوى الوطنية الأخرى · فمنذ **الأربعينات** وهذا الهدف واحد من أهداف

برنامجنا • وخلال معركة الكفاح المسلح فى القناة ضد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بها حكومة الوفد •

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضع احتمالات معركة ضارية ضد الاستعمار الذى سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قد نصل مؤامرته الى الغزو المسلح • وانه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أشكالها الا بتعبئة الشعب واطلاق حرياته السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنين • وتضمنت البرقية التى أرسلناها الى الرئيس **جمال عبد الناصر** فى نفس الليلة هذه المعانى : لقد تحمس المأمور حين قرأ تلك البرقية وركب عربته على الفور واتجه الى المحافظة كى يرسلها باللاسلكى ، قال وهو يركب عربته التى كنا نحيط بها من كل جانب :

ــ أظن بقى لا مجال للتشاؤم

ــ وهل نهوى التشاؤم ؟

ــ نحن أكثر الناس تفاؤلا •• ولكن ؟

ونسمع نبرات صوت المأمور الودودة :

ــ كلها يومين وأجيب لكم أحسن خبر •

موجة التفاؤل تصعد بسرعة عند الزملاء • لا نستطيع أن نقف فى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معها • الموقف هو أن نهيىء أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها فى نفس الوقت • الأمر المؤكد ان معركة ضد الاستعمار قد بدأت بعد **التأميم** • والانتصار فى هذه المعركة يتوقف بالدرجة الأولى على **قيادة المعركة** • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعاد المعركة وهل تعى ضروراتها • وما تفرضه من اطلاق الحريات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاته الوطنية ، وقيام جبهة وطنية والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انها حقا قيادة وطنية ، ولكنها بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفرض حملة تعبئة سياسية وفكرية • محاضرات يوميا ، سياسية وفكرية ، والنشرة الداخلية « **الوعى** » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لما يرد الينا من أخبار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعون بعقولهم المقولات النظرية ، لكن عواطفهم معلقة **بالأمل المستحيل** • وتنهال خطابات الأهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعد ان يلوون عنق أى كلمة أو تصريح لمسئول • ولم يكن هذا غريبا منهم فالحق كل الحق معهم حين يتعلقون بقشه كالغريق ، ولكن الغريب حقا أن تصلنا تحليلات سياسية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يوم وآخر • أكثر من ذلك ،

يصلنــا مقــال نظــرى بعنوان « **نحن حزب فى السلطة** » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قــد تحقق ، وبالتــالى فــان القيــادة السياسية قــد أصبحت لــه !

وأصبح وضعنــا شــاذا حين وصلنــا هــذا التقرير ، مثـــل هــذا الكلام لا نوافق عليــه من الناحية النظــرية ٠ وهذه التحليلات السياسـية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، فما العمل ؟ موجه التفاؤل ســوف تصل الى قمتهــا لو عــرف الزمــلاء ما جــاء بهــا ، فمن البديهى أن يكــون الزملاء فى الخــارج هم الذين على صــواب لأسـباب مختلفـــة ، ليس فقط بحــكم وضعهم ، وانمــا أيضــا لأنهم أقــرب الى الواقع ٠ بل المفــروض انهم جــزء منــه ٠ كــان من الأفضل أن لا يرسل لنــا زملاء الخارج هذه التحليــلات والمقولات النظــرية على الأقل من بــاب الحــرص على معنويات زملائهــم المسجونين اذا لم يتحقق الافــراج عنهم ٠ لقــد وصلوا الى يقين بحقيقــة الافــراج عنــا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم ٠ وهو خطأ نظــرى ومنهجى فــى نفس الوقت ٠ ان التزامنــا ليس التزاما أعمى وانمــا هو التــزام واعى ٠ والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعــديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينــا مسئوليتنــا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفــرض الحــرص علــى معنوياتهم بعــدم تعريضهم لأى هــزة نفسية ٠ ورأينــا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهــة نظــرنا فى هذه التحليــلات السياسية والمقولات النظرية ، ومــررنا اعلانها على زملاءنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم ٠ وتجــرى الأيام الباقيــة من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يومــا من أكتــوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفــاؤل بين الزملاء بين مد وجزر ٠ خطابات الأهالى **ترفع** الموجــة أحيانا ، وأحيانا أخــرى **تهبط** بها ٠ وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجــة التفاؤل فى مدهــا وجزرها ٠ كانت كل الدلائل تشير الى مؤامــرة كبــرى يدبرها الاستعمار ضد الثورة ٠ ولم نكن مواقف القيــادة السياسية تــدل على ادراكها الكامل بأبعــاد هذه المؤامــرة ٠ لقــد ركــزت كل ثقلهــا على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدوليــة ٠ ولم تهتم باعــداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين فى **جــدول أعمالها** ٠ وكان من الطبيعــى أن تقل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافــراج ، وأن تهبط موجــة التفاؤل الى أدنى مستوى ٠ وبرزت مشكلة خطيرة ٠ مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفــرض علينــا تأييــد ومســاندة المواقف الوطنيــة للســلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير مــن اشكالها المتعــددة ٠ وفى كل بيــان أو برقيــة كنــا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحــول الى أكلشيــه تتنــاوله الســنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفــرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزمــلاء تفسير سياسى ونظـرى لاستمرار وجودهم فـى السجن ، أن تسجن لانك تعـارض النظـام شىء مفهوم ومقبول • ولكن أن تسجن وأنت تؤيد وتساند هذا النظـام مســألة لا تقبلها الا اذا كنت نملك قـدرة نظـرية كبيرة ورؤيــة سياسية واضحه مستمدة منهـا • ولقد أثبتت التجـربة صحــة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين• غيــر أن موقف الاخوان المسلمين « المؤيدين » كــان ضعيفــا ، فبعـد أن كان عددهم يزداد ، أخذ يضيق ، فتركهم عـدد كبير وعــادوا الى الاخــوان المسلمين « المعارضين » • وبعـد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشــون معـا أصر المعارضون على عـزل المؤيدين فى خيام خاصة • ومع الســاعات الأولى لصباح يــوم ٢٩ أكتــوبر ١٩٥٦ سمعنا خبـر العـدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجـرت أحـداث أحكى لك تفاصيلها فى الرســالة المقبلـة ياحبيبتــى

١٨ يوليــو ١٩٧٧
القاهــرة

ملحوظـات لابـد منهـا •• وسؤال •

الملحوظة الأولى : يوافق اليــوم ـ **١٨ يوليو ١٩٧٧** ـ الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ •

الملحوظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة **٢٣ يوليو ١٩٥٢** وبقيت فى السجن **حتى ٤ ابريل ١٩٦٤** •

الملحوظة الثالثة : بعد أربعــه أعــوام وأربعة أيــام قضيتها فى الســجن صــدر قــرار تأميم قنــاة السويس •

الملحوظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى **لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** •

السؤال : **كم** كــان عمرك يا حبيبتى يوم صدر قرار تأميــم القناة • وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الأسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتـى

فى مســاء يوم **٢٩ أكتــوبر ١٩٥٦** ، كنـا مثلبعض أبنـاء البيت الـذين قيدهم أبنــاء آخـرين من نفس البيت حتى لا يقاومـوا اللصوص الـذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من يشلون مقاومتنـا لهـؤلاء اللصــوص؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبنـاء البيت وهم لايتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهـم · واخوننـا الذيـن يقيدوننا يتعرضون لنفس مـا يتعرض لـه أبناء البيت البررة ·

وأشـرك لك يا حبيبتـى تصـور حـالة الزملاء الملقى بهم فى **قلب الصحراء** ، وبلادهم الحبيبة يعتـدى عليهـا الغزاة الاستعماريون والصهاينة · كانــوا أسودا وضعوا فى **أقفاص** · ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين يجمع بينهم شرف الانتماء **للبيت الواحـد** · لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة· **الملك يقبض على ، وحـكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشـغال الشـاقة ثـم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !**

الزملاء جميعـا يتجمعون فى حلقـات حول عـدد مـن أجهـزة الراديـو «الترانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

ــ الجيوش الاستعماريــة ·· اجتازت ممـر متـلا ··

ــ أى اذاعـــة ؟

ــ لنــــدن ·

ــ كذب لا تصدقوها ·

ويرتفع صـوت آخــر ··

ــ اسرائيل اذاعت نفس الخبـر ··

وتصيح أصوات غاضبـة :

ــ كذب ·· كذب ··

ويأتى صوت ثالث حزين ·· حزين ··

ــ الخبـر صحيح يا زمـلا ··

وتصيح كل الأصوات ··

ــ لا ·· لا ·· مش ممكن ··

ــ الخبر من راديو القاهرة ··

وبسود صمت رهيب · راحت سيناء · ربما يكونون غدا في مدن القنــاة · هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟
الموقف العسكري خطير جـدا ؟ لماذا ؟
البكباشي أركان حرب فؤاد جاسر من الاخوان المؤيدين ـ يشرح لنـا الموقف العسكري على سبورة ، أن بمـر الغزاه من ممــر متـلا معناه احتلال كـل سيناء · الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقــدم الغـزاة ؟ لا · مستحيل ؟ ما العمـل اذن ؟
ويأتي الينـا صوت فؤاد جاسر حزينــا ، ممزقا ، مكســورا :
ـ لابـد من انسحاب جيوشنا الى ضفــة القنــاة ·
وفي صباح يــوم ٣٠ أكتــوبر نسمع خبـر صدور الأوامـر بالانسحاب من سيناء ! لم تعـد الحرب نظاميــة بين جيوش فقط · انهــا حرب شعبية، وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينــا صــوت جمال عبد الناصر من الجامع الأزهــر ··
ســنقاتل ·· ســنقاتل ··
وتصل أخبار حمل الشعب للسلاح في مـدن القنــاة وفــى القاهــرة · ليقــاوم الغـزاة !
دماؤنا تغلي · وأعصابنا لم تعـد تحتمل · هذه أرضنـــا ونحن أخلص ابناءها · ايدينا التي يكبلها الحكام يجب ان تحمل الســلاح مع الشــعب في وجــه المعتدين الغزاة · وأصحب زكي مـراد في صباح اليــوم التــــالي للعدوان على بلادنا ونذهب الى المأمور ، في الطريق الى مكتبــه نتفق علــى كل شيء · دون أي مقدمات يقول زكي مـراد :
ـ نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتي : 'اذا لم يصدر قـرار الافراج عنـــا فــي ظـرف ٤٨ ساعة من الآن فعليهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنـــا ·
ويلاحظ المأمور الانفعالات على وجهنــا فيقــول بصوت ودود :
ـ يا جماعة أصبروا ·· ·· الحكومة عارفــة موقفكم الوطني العظيم ··
وأقــول بغضب ··
ـ لم يعـد شرف معرفتها لموقفنـــا لــه أي أهميــة ··
ويحاول المأمور تلطيف الموقف ··
ـ ده مرضه بساعدني في مسالة الافــراج ··
ـ لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضــه
ـ أنتــو عارفين ـ الرئيس مشغول في المعركة ·
ـ ونحن ·· ألسنا جــزءا من هذه المعركــة ؟
ـ يعني ·· المسألة تحتاج لبعض الاجراءات
ويقــول زكي مـراد بغضب :
ـ اجراءات أيــه ؟ دي كلمــة يقولهــا ··

وأكمل ٠٠

ـ ولابد أن يقولها ٠٠ والا ٠٠

ويقول المأمور ٠٠

ـ طيب أدونى فرصة كافية ٠٠

ونقول بحسم :

ـ **٤٨ ساعة** من الآن ٠٠ ليس أكثر ٠

ـ وأنا فى ايدى أيه ؟

ـ فى ايدك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة ٠٠ الآن ٠

ـ سأفعل ٠٠

ـ واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف آخر ٠

ـ زى أيه مثلا ؟

ويقول زكى مراد :

ـ سننتظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة المستعمرين ٠

ويقاطعه **المأمور :**

ـ وأنت عارف اننى لا أملك هذا ٠٠

ـ طبعا نعرف هذا ٠٠

ـ اذن ما الذى تنتظره منى ؟

وارد عليه :

ـ أن تقوم بتنفيذ **ما يمليه عليك واجبك**

ويسأل المأمور :

ـ واجبى الوظيفى ٠٠ أو الوطنى ٠

ـ نتمنى أن يكون الواجب الوطنى

ـ وأكل عيشى ؟

ـ هذه ظروف استثنائية

ـ لكننى موظف أولا ٠٠

ـ فى مثل هذه الظروف **أنت وطنى أولا ٠٠**

ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى

ـ لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم ٠٠ لكن أرجو أن تقدروا موقفى ٠

ويقول **زكى مراد :**

ـ نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنى ٠٠

ـ وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ٠٠

ـ واقول :

ـ نعرفه جيدا ٠٠ ستطلقون علينـا **الرصاص** عند خروجنا من **السجن** ٠٠

ـ وهل أنتم مستعدون لذلك ؟

ويـرد زكى مـراد بحسم :

ـ كل الاستعداد ٠

وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجـه المأمور :

ـ سيسقط منكم **ضحايا** ٠٠ والباقى لن بخرج ٠٠

ـ لا سنخرج جميعـا من بـوابة السجن ٠٠ **أحياء أو امواتا** ٠

ويتساءل المأمور :

ـ وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

وأقول سـاخرا :

ـ حتى تصل المأسـاة الى ذروتها ٠

لحظـة صمت تمـر كأنها دهـر ٠ نلاحظ خلالهـا وجه المأمـور يجسـد ما فى داخله ٠ هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه ٠ خروجهم من باب السـجن ليس لـه سوى معنى واحـد ٠ هو محاولة الهروب ٠ والقانون صـارم ، **اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب** ٠ هؤلاء أول مسـجونين يعلنون عن عزمهم **للهروب** ويحددون لـه موعـدا ٠ وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانمـا كى **يموتوا** فى ساحة الشرف ٠ عجبا لهم من بشر٠٠ يهربون **للمـوت** ولبس للحيـاة ٠

ـ وفجأةً يسأل المأمور :

ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،

ونقـول فى نفس واحـد .

ـ وفـورا ٠

ويتنـاول **زكى مـراد** الورقة والقلم من **المأمور** ويسـجل عليها مطلبنـا ٠ **الافـراج** عنـا كى **نمـوت** فى سـاحة القتـال برصاص الغـزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحـكومة الوطنيـة على بـاب السجن ٠ ويوقع وأوقع بعـده ٠

ـ واضح أن الحكاية جـد خالص ٠

ـ عهـدك بنـا لا نقول الا الجـد ٠٠

ـ اذا أعطونـى فرصة للتصرف

ـ نرجو أن يكـون بسرعـة ٠

سأذهب فـورا الى المحافظ وأطلعـه على ما دار بيننـا وعلى هذه الوثيقة٠ واطلب منـه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونهـا ٠

ـ نأمل أن نعـرف النتيجـة على وجه السرعة

ويقـول ضاحكـا :

ـ ربمـا يحتاج الأمـر اطالة مـدة **الانـذار** ٢٤ ساعة ٠

ويقول **زكي مراد** بحماس شديد :

ـ ولا ساعة واحدة ٠٠

واكمل :

ـ وهو ليس انذار ٠٠

ـ ما هو اذن ؟

ـ هو موقف ٠٠ والانسان موقف ٠

ويضمنى **زكي مراد** بحب ، ويقول :

ـ عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك ٠

ـ ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم أيضا ٠

ويطلب المامور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند **المحافظ** فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعده أن يسمع القصيدة ٠ ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالواحات الخارجة فى ذلك اليوم ٠ اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى .والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لأكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين ٠ كان الراديو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اذاعات العالم ٠ وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الترانزستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى ٠

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أشار الى خبر هام ٠٠

ـ الرئيس **جمال عبد الناصر** يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماريين والصهاينة والغزاة ٠

وتلتهب الأكف بالتصفيق دقائق ٠ وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة ٠٠ وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات ٠

ـ الاذاعة توقفت عن الارسال ٠

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى أجسامنا ٠ لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بذل دماؤنا فوق ترابك المقدس ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى نبذلها فداء لك يا مصر يا حبيبتى ٠

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

ـ تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التى تعطلت ٠

أكف الحاضرين تلتهب من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر ٠وأعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدها ينشد زكى مراد قصيدته ٠ ثم نردد مع أم كلثوم ٠٠ **والله زمان يا سلاحى اشتقت لك فى كفاحى ، انطق وقول أنا صاحى يا شعب والله زمان ؛ ومع فايدة كامل ٠ دع سمائى فسمائى محرقة ، دع مياهى فمياهى مغرقة** ٠٠ الخ ٠٠

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هادئة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلاله ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى شموخه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شيء ٠٠ حتى الموت ذاته ٠

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا انباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى أخترناه ، احكيها لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

---

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد ٠ النائب لأول مجلس للأمة عن دائرة روض الفرج ٠ اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترفع عنه الحصانة البرلمانية ٠

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتـــى

ذات يـوم من الأيـام الأولـى فى شـهر **نوفمبـر ١٩٥٦** حملت الينـا زيـارة من أهاليـنـا انبـاء هامة أعطتنـا أمـل الاشتراك فى معركـــة مصر المتصـــة · وازاداد أملنـا حين سـمعنـا اخبارا أخـــرى من مأمور السجن · الحكومة توزع السـلاح على الشعب · **زملاؤنـا** فى الخـارج بالاتفـاق مـع الحكومة يقومون بتعبئـة الجماهير فى المعركـة ، وينظمون المقاومة الشعبية فى بور سعيد · الجبهة الوطنية تتحقق من خـلال المعركـة ، والحـريات السياسية تعم كـل مناحـى الحيـاة فى مصر · فقط لـم يبـق سـوى الافراج عن المسجونين السياسين الوطنين ، وهى مسـألة قـد أصـبحت أقرب الينـا من حبل الوريـد !

ـ ولماذا لـم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟

وجهنا هذا السؤال الى الزميـل الذى جـاء مع الزيـارة وحمل لنـا هذه الأخبــار ·

ـ لأنـه يحتـاج الى قانـون ·

ـ ربما كان الأفضـل أن يصدر عفـو سياســى ·

ـ بالعكس القانـون أفضـل ·

ـ حتى يكتسـب نشـاطنـا مشروعيتـه ؟

ـ بالضبط ··

ـ ونشاطكم ·· أليس مشروعـا ؟

ـ بالطبــع ··

ـ من أى شىء يستمد مشروعيته ؟

ـ من صلتنـا بالدولة وعملنـا مع أجهزتهـا ·

ـ وهـل ننتظـر حتى يصـدر القانـون ؟

ويصيح الزميـل وكـل نبراته صوتـه توحـى بالتفاؤل الشديد ·· :

ـ مشروع القانون أعـد بالفعل وسينظر أمام مجلس الأمة ·

ـ وهـل تضمنون وقوف أغلبيـة مجلس الأمة الى جانبنـا ·· ؟

وترتفـع رنـة التفاؤل فى كلمات الزميـل :

ـ عـدد من مجلس الأمة طالبـوا بهـذا فى مقدمتهم أبو الفضل الجيزاوى ···

ويهمس :

ـ اطمئنوا ما دام الريس عاوز كده ·· لازم مجلس الأمة يوافق ··

وأتساءل بسخرية · ·

ـ وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟

ـ ليس فى ذلك أدنى شك ·

ـ اذن فليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة ·

ـ قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية ·

ـ وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟

ـ توزيع السلاح ده قرار سياسى ·

ـ لكنه يستند الى قانون ·

ـ وهذا ما حدث ·· وبسرعة · ·

ـ ألا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟

ويستنكر الزميل هذا الكلام ·

ـ ده بقى موقف ذاتى · !

واقول بغضب :

ـ الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعمارى يبقى موقف ذاتى ؟

ـ الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتى · ·

ـ وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟

ـ طبعا لا · ·

ـ لماذا اذن هذا الفصل التعسفى بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين ؟

ـ ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟

ـ أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !

وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتى المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :

ـ جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم ·

ـ خيرا · ·

ـ شكر وتقدير لوقفكم الوطنى المشرف ·

ـ تانى !

ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وابتسامته ، سخريتنا :

ـ على العموم لازم تطوهم فرصة · ·

ـ تانى !

ـ يا جماعة ليه بس التشاؤم ده · ·

ــ على العموم • باقــي من الزمن **٢٤ ساعة** • •
ــ ده بقى ببقــى انذار •• **مش موقف** • •
ــ ليــه بقــى • ؟
ــ يمكن تعديل الموقف • •
ــ هذا اذا استجدت ظروف تستدعــى تعديله • •
ــ بقى توزيع السلاح على الشعب ، واشتراك زملائكم في المعــركة **مع** الحكومه دي مش ظروف جديده ؟
ــ هي بالفعل ظروف جديدة •• تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنــا •
ويكاد المامور أن يتوســل الينا • ويقول :
ــ **أرجوكم لا تضعونــي في موقف حرج** •
ــ **ولماذا تضــع نفســك في موقف حرج** ؟
ــ سأكــون مضطرا الى القيــام بواجبــى الوظيفــي •
ــ لا نفهم دــه وحــدك •
ــ كيــف ؟
ــاطلب حضــور المحافظ واتــرك لــه الامــر •
ــ هذا يفسر على أنــه تقصير في تأديــة وظيفتــى • •
ــ أهون من أن يكــون وظيفتــك هي **اطلاق الرصاص علينــا** •
وبعــد فتــرة من الصمت • كان الحوار مــع **المامور** يدور معنــا على مسمع من أهلنــا ومن الزملاء الذين جاؤا لزيارتنــا ، لكنهم لــم يفهموا شيئا من الحوار حتــى آخــر كلمه منــه • لــم يعــكر كــل مــا شــهدنــاه من خوف وهلع وتساؤل في وجوه الزوار من هدوء أنفســنا الــذى يعكســه بريــق الاصرار في عيوننــا • ويبــدأ **المامور** محاولة كســب الزوار الــى جانبه . ولــم يعبر الدموع التى جرت من عيــون **الأم والزوجــة والأخت** ، من موقفنــا ، ويلقــى الزميــل آخــر ما في جعبتــه •
ــ ده موقف استفزازى •
ــ لمــن ؟
ــ للســلطة •
ــ لمــاذا ؟
ــ لانهم سيفسرونها على أنها حــرق للمعركة
ــلكن ما تفسيرك أنــت ؟
ــ الى حــد كبير هو كذلك • •
ونتوالــى تعليقات الزملاء :
ــ البعض يســتفزون • •
ــ والبعض يطبطبــون • •

ـ اللى ايـده فى الميـه ·
ـ مش زى اللى ايـده فى النـــار ·
ـ البعض يقاومـــون ·
ـ والبعض مســـجونون ·
ـ يـد تطلق الرصاص على الاعـــداء ·
ـ واليد الأخرى تطلقــه على الأصدقـاء ·
ـ أحسن جبهة وطنيـة ·
ـ وآخـر صيحـة نظريـة ·

سخريـة لاذعـة تجسـد كل ما فـى داخلنـا ، اصرار على الموقـف الذى أخترنـاه ، رفض لكـل الأوهـام التى نسجها زملاؤنـا فـى الخـارج ارضـاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسـى من موقفهم الذاتـى ·

ويتوجه المأمور الى عربتـه وقبل أن تتحرك بـه ، يقول لنـا :

ـ أنا رابح اتفـاهم تانـى مع **المحـافظ** ·· ونتصـل **بالقاهـرة** ·

راديـو القاهرة لا يتوقف صوتـه الذى يسمعه كل من فـى السـجن · يذيـع الأغانـى الثوريـة والأناشـيد الوطنيـة · وآذان بعض الزملاء على كل اذاعـات العالم بتابعـون أخبار الحرب العدوانيـة على بلادنـــا · يقطـع المذيـع الأناشـيد والأغانـى الوطنية ويعلن :

ـ قوات العـدو تغزو بورســعد ·· المعـارك تدور فى منطقة الجميل · ويعـود الراديو لمواصـلة اذاعة الأناشـبد الوطنيـة · وتغلى الدمـاء فى عروقنـا ·

ويعلن المذيـع ·

ـ المقاومة الشـعبية تطـارد قوات الاحتـلال ، **بورسـعيد** يا مدينـة البواســل وقلعة الاحرار · قاومى الاحتلال ··

وتعود الأناشـدد ·· وترتفـع صيحـات الزملاء نستنكر هذا الموقـف من جانب الحكومة الوطنيـة · انهـا حما نقـود الشـعب فى معركـة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركـة ولمصلحة من ؟ وندور منافسـات حـادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخـر :

ـ ماذا حنبتم من تاييدكم للحكومة ؟
ـ هو موقف سياسـى لا ننتظر من ورائه سيئا ·
ـ ومطلب الافراج عنـكم ؟
ـ جـزء من الحريات السياسية ·
ـ ومتى يفـرج عنكم ؟
ـ هذا ما تقـرره المعركـة ·
ـ قـد تطول ولا يفرج عنكم ؟

ـ لن يغير هذا من موقفنـــا ٠
ويعلو صوت مذيـــع راديو القاهـــرة :
ـ الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعتدين الغـــزاه ٠
يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلق بعض الاخـــوان المعارضين
ـ لمصلحة من هذا الانذار ؟
ـ لمصلحه المعركة المشتركه ضـــد الاستعمار ٠
ـ سيكون الثمن باهظـــا ٠
ـ مثـــلا ٠
ـ احلال استعمار محل استعمار آخـــر ٠٠
ـ وما رأيـــك فـــى الآخـــر ؟
ـ أهـــون الشريـــن ٠
ـ كـــذا ٠
ـ نعـــم ٠٠ وما رأيك ؟
ـ مصر الحـــرة المستقله ٠
وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخـــوان المؤيدين ٠ ستوتر الأعصـــاب وتعلو الاصـــوات ، تتبـــادل الشتائم ، والأيـــدى تتشـــابك ، وتكـــاد معركة تنشـــب بين الطرفين ٠ لكن صـــوت العقـــل يعلو ، ويعـــود الهدوء ٠ تتوقف المناوشـــات والاستفزازات المتبادلة ، ويتفـــق علـــى عـــدم اثـــاره اى مناقشات جماعيه والتمسك باحترام كل لمشاعر وفـــكر الآخـــر ٠
صوت « البروجـــى » يعلو بنغمـــة خاصـــة نعرف معناهـــا المسجونون فى سجونهم ، ورجـــال الحبس فى ثكناتهم ٠ زيـــاره أحـــد لـــواءات الجيش أو البوليس ٠
ـ أى نوع من اللواءات يا ترى ؟
ـ المحافظ لـــواء ٠٠ ومدير مصلحه السجون لـــواء ٠٠ ومدير المبـــاحث العامة لـــواء !
العربـــة الســـوداء فى مقدمتها عـــلم « اللـــواء » تجرى بسرعـــة نحـــو باب السجن ٠ وصـــوت « البروجـــى » لا يكف عن الصيـــاح ، وراديـــو القاهرة تواصـــل اذاعـــه الأناشيد والأغانـــى الوطنيـــة ، وشمس الظهيـــرة اللافحـــة فى الصحراء ، لا تحـــول دون وقوف الزملاء على باب السجن ، وفوق الرمال الملتهبـــة ، فى انتظـــار ما يحـــدث ويرتفـــع صـــوت حاسم ٠
ـ موقفنـــا كما هو لـــم يتغيـــر ٠
أذهب أنـا وزكى مراد لاســـتقبال اللواء القادم الينا ٠
يتقدم الينـــا اللواء المحافظ وعلى وجهـــه ابتســـامة عريضـــة ويســـلم علينـــا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

ـ أحمل أخبارا هامة البكم ٠
ـ خيـــرا ٠
ـ برقيـه من**رئاســة الجمهوريــة** تعـد بالافراج العاجـل ٠
ـ كنـا نود أن تحمل البرقيـة قـرار **الافراج** ٠
ـ مجلس الأمة سيناقش الأمـر غـدا ٠
ـ ربما تطـول المناقشـة ٠
ـ لا أعتقد ٠٠ مطلوب منــه اصدار **قانون بسرعـة** ٠
ـ وهـل تتحمل أعصابنـا الانتظار وجـزء من أرضنـا تدنسـه قــوات الاحتلال ؟
ـ أعـرف عنكم القدرة على التحمل ٠
ـ نحن غير مقتنعين بهـذا ٠
ـ أجدر بكم أن تثقـوا بقيادة المعركـة ٠
ـ كل الثقـة بجديتهـا فى المعركـة ٠
ـ من المنطقى اذن أن نثقـوا بوعودهـا لكـم ٠
ـ تجربة الأيـام الماضيـة ـ منذ قرار تأميم القناة ـ علمتنا الحذر ٠
ـ ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفـكم ٠
ـ نرجو أن لا يكـون ذلك تهديـدا ٠
ـ بـل هو واجب الوظيفـة ٠ ٠
ـ نحن لا نعتـرض ٠ ٠
ـ وتعرفـون النتائـــج ٠ ٠
ـ نعرفهـا جيـدا ٠ ٠
ـ أنتـم تنتحـرون ٠
ـ لا ٠٠ وانما نســجل موقفنـا ٠
ويضحك المأمور ، ويقـول :
ـ الانســان موقف ٠
ويبدو على المحافظ عـدم الفهم ٠ ويشرح لـه المأمور ما ســمعه فــى المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشـة ممزوجه بتعبيـرات الاعجـاب والتقدير ٠ يقـول :
ـ لـم أكن أتصـور الأمـر بهذه الدرجـة ٠
ـ ألـم ينقـل البكم المأمور حوارنـا معـه ؟
ـ ليس من سمع كمن رأى ٠
ـ وها أنت قـد سمعت ورأيت ٠
ـ وتضاعف حـرج موقفـى ٠
ـ نأسـف ٠٠ ونرجو أن تقدروا موقفنـا ٠
وتتوالـى رجاءات **المحافظ والمأمور** وعـدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانـوا يتابعون الحوار :

ــ انتظار كـام يوم لن يقلل من قيمه موقفـكم •
ــ انتـم فى منزلـة أولادى •
ــ فى التانـى السلامة •
ــ ألبس لكـم أولاد ؟
ــ وزوجـات وأمهـات ؟

ويذهب **المامور** الى خيمة **الزوار** ويصطحبهم الينـا :

ــ يا ولادى •• حرام شبابكم •
ــ أولادكم مين يربيهم ؟
ــ وزوجاتكم •• ليه يترملوا بدرى •
ــ وامهاتكم •• رح تبقـى حالتهم أيـه ••

و • و • و • وبنتحى بنـا البكباشى **فؤاد جاسر** جانبـا ويهمس :

ــ أنا رايـى كصدىي ننتظروا كام يوم ••
ــ انتظرنـا طوبـلا ••
ــ انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم •
ــ ولن يغير أيضـا من موقفهم •
ــ وقتئذ يكون الحق معكم تماما •
ــ اوليس الحق معنـا منذ زمن ؟
ــ اقصـد حى مسئولبتكم عن أرواح زملائكـم ••

مسئولبتنا عن **أرواح** زملائنا قبـل مسئوليتنا عن **أرواحنـا** نحـن • لكنْ الزملاء ممتلئون حماسـا • انهم مقتنعـون تماما بهذا الموقف • القرار ليس قرارنـا • انـه قرار كـل الزملاء وبالاجماع • هـل اهتز اقتناعنـا أمـام كل ما سمعنـاه • من توسـلات ، وما رأينـاه من دموع فى العيـون ؟ هل بكون تاجيـل الموقف ضعفـا منـا ؟ وهـل الاصرار عليـه بعـد كل ما سمعناه ورابناه يعتبـر موقفـا جامـدا ؟ • موقفنـا واضـح ومحـدد يعرفـه كـل المسئولين وكل اهالينـا وبالتالـى قطـاع هـام من الجماهير ، وقدرتنـا على تنفيذه ليست محل تسـاؤل ، الانتظـار عـدة أيـام أخـرى سيكون فى صالحنا فى كل الأحـوال • اذا صـدر **القانـون** من مجلس الأمة ، فقد كسبنا **الافراج** ، واذا لـم يصـدر واتضحـت نواياهم بعـدم الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ومز بسقط يخلد فـى سجل **الشـهداء** •

كان ما بدور فى داخلـى هو نفس ما يدور بداخل **زكى مراد** :

ــ ايـه رأيك يا زكـى ؟
ــ نعود الى الزملاء •• نناقشـهم •

ـ أفضـل أن نعـود برأى واحـد ٠
ـ وما رأيـك ؟
ـ المساومة ٠
ـ كـم يومـا ؟
ـ أربعـة أيـام أخرى ٠
ـ موافـق ٠

وقبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط ٠
ـ مـا سنتوصل اليـه يتوقف تنفيذه على موافقة كـل الزملاء ٠

ويبتسـم المحافـظ ٠ ٠
ـ يعنى الرجوع لمجلس الأمـة ٠
ـ تقريبـا ٠
ـ ماذا تقترحـون ؟
ـ التأجيل أربعـة أيـام ٠ ٠
ـ خلوهـا سبعة أيـام ٠ ٠
ـ ولماذا سـبعه ؟
ـ اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمـر بنفسـى ٠
ويسـتطرد المأمـور ٠
ـ وينتهـى مجلس الأمـة من المناقشـة ٠ ٠
ـ نقسـم البلد نصـفين ٠
ويضحك المأمور :
ـ يبقـى خمسة أيـام ونصف ٠ ٠ بلاش كسـور ٠
ـ اذن خمسة أيـام ٠ ٠
ـ لا سـتة ٠ ٠
ـ اذن اتفقنـا ٠ ٠
ـ ليس قبل موافقـة الزملاء ٠ ٠

ويذهب معنـا الى الزملاء ، **فؤاد جاسر وحسين حموده** وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين ٠ وبعـد اجتماع يستمر أكثـر من سـاعة نبـذل خلاله جهـدا مكثفـا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنـا خلال الحوار مع **المحافظ والمأمور** ، وتارة أخـرى بشرح الظروف الموضـوعية الآن ، وبعـد التأجيل ، وانهـا سـوف تكـون فى صالح موقفنـا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجمـاع الكامل ٠

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قـرار الزملاء جميعـا بالموافقـة ، تتهلل وجوهم فرحـا ، ويبعـدون ببذل كل الجهـود حتى يفـرج عنـا ٠

وتجرى الاحداث بسرعــة مذهلة ، مع كل حــدث ترتفع موجــة التفــاؤل وتتوقع افــراجا سريعــا ، لكن حدثا بعينـــه يدمع بقصبة الافراج عنـــا الى الخلف ، ويدفع فى نفس الوقت المعــركة الى بــداية النهاية ٠
أحكى لك عنـــه فى الرسالة المقبلــة يا حبيبتى ٠

٢٣ يوليــو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتـــى

فى نفس اللحظـة التى توقف فيهـا القتــال **يــوم ٦ نوفمبــر** ، **الغينـا** قــرارنا الذى حدثتك عنــه فى رسالتى السابقتين ٠ أحس بنمنيك نتحركان لتسألى ســؤالا أعرفــه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطـلب المزيــد ٠

قــرارنا الســابق الذى ألغيناه كانت حيثياته تتلخص فى كلمـــات : ان ننتهى جسديا **برصاص الحكومة الوطنية** ، خير من أن نمـوت مـــن الداخل حين نــرى أرضنـــا المقدســة تدنسها أقــدام الاستعماريين الصهاينة، ونحن هنــا فى السجن **مكبلون** ٠ ولم يكن قرارنـــا هــذا بســبب الرغبــة فى الاستمتاع بحيــاة آمنــة مستقــرة بين الأهل والأصدقاء ، وانمــا كان لهــدف محــدد هو أن **نخــرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة** ٠ وكنـــا على استعداد للعودة الى **السجن** مــرة أخــرى اذا لم ننــل شرف **الاستشهاد** فى ميــدان القتــال ، اذا ما اشترط الحكام ذلك ! كــان موقفنــا يا حبيبتى صادقا كل الصــدق ، غايته محددة ووسيلته جــزء مــن هــذه الغـــاية ، فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لهــا ، كمـــا يفعـل الانتهازيـــون والوصوليون ٠ ان كانت غايتك شريفــة فيجب أن تــكون وسيلتك الــى هذه الغـــاية شريفة حتى ولو كـــان ثمنهـــا **المـــوت** ٠

هذه المعـــانى كانت محــور حديثنـــا مع **مامور السجن** بعـــد انتهـــاء المــدة المتفق عليهـــا كى نعلن تمــردنا ونخرج **من باب السجن** اذا لم يفــرج عنـــا وبالتالــى نتعرض **للرصاص** ، قـــال :

ـ أقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقــوا ٠٠

ـ سننتظر طويلا ٠٠ ربما حتى انتهــاء مــدة **عقوبة السجن** وربمـــا سنوات أخرى **بعــدها** ٠٠

قـــال بدهشـــة :

ـ وموقفكم الســـابق ٠٠ هل عدلتم عنـــه ؟

ـ لــم يعــد لــه ما يبـــرره ٠٠ والغيناه ٠

ـ هل يمكن أن أعــرف السبب ؟

ـ ليس خوفـا أو جبنـا ٠

ـ لم يـدر هذا بخاطـرى ..

ـ وانما لأن الظروف قـد تغيرت بعد وقف القتـال ٠

ـ ظننت انكم وجدتم فيهـا فرصـة للضغط ..

ـ عفـوا .. وبعض الظن أثـم ٠

ـ ربمـا لأنى لا أفهم العلاقـة بين موقفكم الحـالى وبين وقف القتـال ٠

ـ كانت غايتنـا أن نخرج من هنـا الى ميـدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى حيا منـا ، اذا اشترط ذلك الحكـام !

دقـات نـداء العشـاء تدعونا ، ويقبل المأمور والضباط دعوتنـا لتنـاول الطعام معنـا ٠ ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال ادارة السجن ، أثنـاء تنـاول العشاء ، وخلال الحفلة الساهرة ، التى أحيـاها الزمـلاء لمناسبة وقف القتـال ٠

كانت هذه أول حفلة نقيمها منـذ بـدأ العـدوان على بلادنا ٠

وبعـد انتهاء الحفلة وقبل أن ينصرف المأمور ، عائـدا الى منزله يقـول :

ـ كل يوم اكتشف فيكم جديـدا

ـ نرجو ان يكـون محل تقديركم

ـ كل التقـدير

ـ وما آخـر جديد اكتشفتـه ؟

ـ قدرتكم على العطـاء كبيرة

ـ ولكنهم يحبسونها هنـا فى قلب الصحراء ٠

ـ ورغم ذلك فعطاؤكم لا يتوقف .. حتى فى الصحراء !

كـان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى سجن « جنـاح » بالواحات الخارجة ٠ كمـا قلت لك يا حبيبتى فى رسـالة سابقة ، اننـا وصلنا الواحات ولم نكن بهـا الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة ٠ وكان أول ما قمنـا بـه هو توصيل الميـاه الى السجن ، واعـداد مطبـخ لطهى الطعـام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى ٠ بعـد ذلك قمنـا باعداد « كافتريـا » نتنـاول فيهـا وجبات الطعام ٠ ونستخدمها فـى القـاء المحاضرات ، كمـا كنـا نستخدمها كمدرسة ٠ أكثـر من ٢٠ مسجونا مـن المسجونين العاديين الذين جاءوا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعـدادية ، وبعضهم حتى الثانوية العامة ٠ واثنـان التحقـا بالجامعة ، وأكثـر من ١٠ سجناء واصلوا دراستهم ومنهـم مـن التحق بالجامعـة ٠ فى نفس الوقت فتحنـا فصـول دراسية للزملاء الـذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغـات المختلفة ، والرياضة ، والرسم ٠

كثير من الزملاء تعلم الرسم على يـد وليـم اسحق وسعيد عبد الوهاب وكـان « ملك الصحراء » خيمة خاصة يستخدمها كمرسم بعـد أن قـام هو بنفسـه بصنع الحامل والبراويز التى يشـد عليهـا القماش ٠ ان عـدد

اللوحات التى رسمها ولم اسحو للزملاء . وللزوار من أهالينـا ، وللسجانة والضباط نكفى لأكثر من ثلاثة معارض كبيرة • كان أمـلا « لملك الصحراء » بعـد أن توقف عن الرسـم ما يقـرب من أربع سنوات ، أن يرسم • وتكاتفه الزملاء جميعـا كى يحققوا لـه هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفـر لـه كل ما يلزمه من مماس وألوان زيت وجواش وورق وخلافه •

ما زالت صوره وليـم فى ذاكرتى حين وصله أول طـرد بـه القماش والألوان والفـرش • احتضنهم بحب وأخـذ يجـرى مى انحـاء السـجن يصيح :

— راح ابتـدى ارسـم تانى •• أنا ملك •• أنا ملك •
— ملك ايه ياوليم •• ما خلاص مفيش ملوك ••
— لأ فيـه •• أنا ملك •• أنا ملك الصحراء
— لكن أنت ما تنفعش ملك يا وليم •
— مش الملك يملك ••
— وبيقولوا أنه لا يحكم
— أنا أملك الآن ما استطيع أن أعبـر به بالفن
— تبقى ملك الفن ••
— لأ •• ملك الصحراء •• لأن فى هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيهـا فـن •
— يعنى مش راح تحـكم
— لأ •• سـايب لكم الحـكم ••

ويكمل ضاحكـا ••

— فى المشمش طبعـا !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويز الخشب ليشـد عليهـا قماش الرسم • وظل طول الليل يصنع كرسى خاص ليجلس عليـه أثنـاء الرسم وبعـد « الطبيعة الصامتة » التى سيرسمها فى الصباح، كنت معـه كل تلك الساعات أقـوم بعمل صبى النجار حينا ، وصبى الفنان حينـا آخـر ، وبين الحدن والآخـر نعمل قهـوة « بن غامق » • !

— يا درش البن ده قنطه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونانـى فى شـارع شبرا ، عارفـه ؟

— مش واخد بـالى يا ملك ••
— يا أخى اللى جنب الملة « مملة شبرا » المشهورة ••
— أيوه •• أيوه •• افتكرت •• لكن يعنى لازم البن ده ؟
— مش ممكن أشرب الا « قنشطة اليمن » •

وكان يرفض باستمرار أن يقـوم أحـد بعمل القهوة •

— أصل عمل القهوة فن

ـ طيب أولع لك الوابور .
ـ وابور أيه بس .. هيه برضه القهوة نتعمل على وابور
ـ أمال تتعمل على أيه ؟
ـ على نار هادية جدا
ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، ويضع عليها قطعا من غصون الاشجار الجافة بعد أن يقطعها قطعا صغيره . ثم يشعل فيها النار ويتركها حتى تتحول الى جمرات :
ـ طيب أحط الميه والبن والسكر ..
ـ أيه هوه .. كده مره واحدة .
يأتى بالكنكة ويبدأ بوضع البن ، ثم السكر ، ثم الميه .
ـ ولازم بهذا الترتيب ..
ـ طبعا .. دى بقى اسمها كيمياء .. ملعقة صغيرة من البن لكل فنجان و ½ ملعقة صغيرة من السكر ، ثم تضع الميه ، ودى برضه بالمقاس . المدة تبقى أقل شوية من سعة الفنجان .
ـ وبعدين نقلب بالمعلقة ..
ـ شوية قبل وضعها على النار .. وبعدين أثناء وضعها على النار الهادية .
ـ ونقعد قد أيه بقى على نارك الهادية دى ؟
ـ أنا برضه نارى هادية يا درش .. ؟
ـ مش قصدى ..
ـ ده أنا مولع من جوه ..
ـ نار القهوة « الهادية » دى عاوزه ييجى ساعة علشان تغلى .
ـ وماله مش لازم المسائل تنضج ..
ـ طبعا .. بس مش على الهادى قوى كده ..
ـ بالضبط .. يعنى على النار المناسبة .
ـ وأنت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟
ـ التجربة الذاتية .. فضلا عن تجربة الملايين تؤكد هذا ..
ـ طب الذاتية وفهمناها .. أما حكاية الملايين دى تبقى أيه ؟
ـ ملايين الفلاحين يا درش .. القهوة .. والشاى .. والأكل .. كله على النار الهادية دى !
ـ معاك حق .. اقتنعت .
ـ نشرب القهوة .. هات الفنجان البنى .. يدى للقهوة طعم .
ـ آهى دى بقى مش فاهمها .
ـ أولا . أنا أحب اللون البنى ، لأنه لون مصرى أصيل . وثانيا : القهوة البنى ، أغمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى .

ـ حقيقى ٠٠ انسان وفنـــان ٠
ـ أيه ده ٠٠ اكتشاف جديد ٠
ـ أبـــدا ٠٠ انمـا نأكيـد حقيقة ٠٠

من يملك تكوينـا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القـدرة على التعـامل الانسانى مع البشر ، وانمـا على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملك الصحراء » فى اعداد مادة اللوحة التى سيقوم برسمها فى الصباح « حنظل » جمعه من الصحراء ، و (دوم) كان قد أوصـى أحـــد السـجانة بشرائه مـن « جنـاح » زهـور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فـروع شـجر الخروع ٠ يضعها بطريقة ثـم يتأملها من بعيـد ، ويعود الى ترتيبها مـرة ثانيـة بطريقة أخـرى ٠٠ وثالثة ورابعـة ٠٠ و ٠ و ٠٠ وأروح فى نـوم عميق ٠ وفى الصباح الباكـر أرى وليم وقـد جلس أمـام الحامل والفرشاة فـى يـده . وعلى اللوحـة خطوطا وألوانا ٠ جلست أتأمـل هـذا المشـهد الانسانى ٠ ما الذى يجـرى داخل هذا الفنــان وهو يمسك بفرشاته لأول مــرة منـذ أربع سنوات ، منـذ انتزعوها منـه ؟ ما الذى سيخرج مــن أعماق هذا الفنــان ، بعـــد كل ما لاقاه فى سـجون مصر ، وأبى زعبـل وليمان طره ، والواحـات طـوال أربـع سنوات ؟ ما الذى يريـــد أن يقولـه ، حين وضع « الحنظل » المـر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عبـــاد الشمس ، والورود التى زرعناها هنـا فى الصحراء ؟

تجرى يـده بسرعة على اللوحة ، خطوط . ،ألوان ، أتأمل اللوحة تـارة ، وتارة أخـرى اتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنـان من انفعالات ٠ وفجأة ـ رأيت على وجهه ما لم أره أبـدا من قبل خلال سنوات السجن ٠ هل يمكنك يا حبيبتـى نصور تعبيرات وجه أم وهى تـرى طفلهـا يذبح أمامها ، وهى لا تستطيع انقاذه ؟ بالهول ما رأيتـه على وجه الفنــان الصادق الذى يريد أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع ٠ كان يقف على حافة السكين بكـــل كيـانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمـة ٠ وظل صراعه العنيف ضـد احسـاسه بالهزيمة أكثـر من سـاعة ٠ ألقى بالفرشاة وخشبة الألوان جانبـا ، والتفت الى وعلى وجهـه ابتسامة تحـد :

ـ مش هو ده اللى أنا عاوز أقوله ٠

وأنظـر الى اللوحة بألوانها الجميلة وأقول مشجعا :

ـ مش من أول مرة يا وليم ٠

ويخرج من أعماقه تنهيـده طويلـة ويقول :

ـ ودى أول مـرة ارسم فيهـا يا درش ؟
ـ قصدى يعنى منـذ أربع سنوات ٠
ـ طيب وانت أيـه رأيك فى اللوحـة دى ؟
ـ المهم رأيك أنت الأول ٠

ـ لو شفت اللوحـة دى فى معرض تلفت نظرك ؟
ـ ما انت عارف ياوليـم أنا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيـد عـن معلوماتى عن اللغـة الهيروغلوفية ٠
ويمسك بحجر ويلقى به ويخرق اللوحة ويمزق القماش . ثم تقول :
ـ ما تعمل لنا فنجان قهوة ٠
ـ وأقـول ما زحـا :
ـ هو انا برضه أعرف أعمل قهوة ٠
ويبتسـم ابتسامة باهتـه :
ـ زى بعضـه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » ٠
بقـدر صـدق الانسان مع نفسـه بقـدر ما يكون احساسه بالهزيمـة كبيـرا ٠ وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهـارته وبراءته وتلقائيته ، حقيقة جسدها لى وليـم اسحق الفنـان ، حين ظـل لمدة شهر كامل ، رسـم خلاله أكثـر من عشر لوحات وبمزقهـا ٠ وفى كل مـرة كان يعانى آلاما تفـوق طاقـة البشر ، حتى أننـا دون أن يشعر ـ فهو يرفض بشراسـة أى مجاملة أو عطف ـ كلفنـا الزمـلاء الذين يتجـاوب معهم انسانيا ، بألا يتركـوه وحـده أبـدا وكنت أنـا الازمـه طـول الوقت فيمـا عـدا الأوقات التى أكون مشغولا فيهـا ٠ وكثيـرا مـا كـان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجيـة » بـدلا منى حتى لا أترك وليـم ٠
وذات يـوم لازمتـه منـذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قـد بدأهـا ٠ وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سـوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعـانى منهـا طوال شهر كامل ٠ فى الدقائق الأخيرة كان يضـع اللمسـات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسـو وجهـه ، ووضـع الفرشاة جانبـا وقـال :
ـ نعمل بقى فنجان قهوة ٠
ـ بطريقة الفلاحين والا المثقفين ؟
يضحك من اعماقه ويقـول :
ـ لا ٠٠ بطـريقة الفلاحين طبعـا ٠
وجلس يتأمل اللوحة ، وقـد استغرقه عالمـه الخاص ٠ وجلست الـى جانبه اتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخـر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبـه انتصر على الهزيمة بعـد ان عانى منهـا طويلا ٠ بعـد أن رشف بلذة كبيـرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قشطة اليمن » سألنى :
ـ أيه رأيك بقى يا درش ؟
قلت مازحـا :
ـ فى اللوحـة والا فى القهوة ؟
ويبادلنى المزاح :

ـ فى المهوة طبعـا ٠
ـ لا ٠٠ دى فهوة مدفمين ٠
ـ طيب وفى اللوحـة ؟
ـ فبهـا ما نريـد أن تقوله ٠
ـ لكن رأيك انت أيـه ؟
ـ ما تقوله رائع وعظيـم ٠
ـ بلسانى أم بفرسانى ٠
ـ وهل يمكن الفصل ؟
ـ كثيرون يفعلون ذلك ٠
ـ ليسوا فنانين ٠ هم آفاقون ٠
ـ لكنهم فى الصورة ٠
ـ مزيفون داخل اطار صورة مشوهه ٠

ويستمر حوارنا متصـلا ، نتحدث ، ونشرب قهوة بطريقـة الفلاحين ، ونسمع موسيقى بيتهوفن وباخ وشوبان ، ونتأمل الصورة ، ونمشى وسـط الصحراء خارج الخيمة ثم نعـود اليهـا ، ونعـاود التأمل فى الصـورة ، وتمتزج أشـعة الفجـر ، مـع صـوت الموسيقى مع حواريـا الانسانـى ، مع نظراتنا الحانيـه الى اللوحـة ، ونعيش لحظـات فى عـالم خاص ، ونتمنى أن يكـون هذا هو عالم الناس كلهـا ٠

ـ فجـر يـوم جديد ٠
ـ هو آت لاريب فيـه ٠
ـ أحلم أن يكون كمـا أراه فى هذه اللحظـة ٠

وأفيق من حلمى على صوت ينـادى على :

ـ يا زميل منتظرينك فى «الفرن»

كنت أذهب الى « الفرن » ثلاث مرات فى الأسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصـى « فـرد عجينة الخبز بالنشابة » ٠ وعن نظـام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنهـا فـى رسالتى القبلة يا حبيبتـى ٠

٢٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٦)

حبيبتي

قبل أن أدخل السجن قرأت وكتبت كثيرا عن الكادحين وعرقهم وآلامهم ، غير انى لم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت **كادحا** ما يقرب من ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** .

منذ اللحظة الأولى التى وصلنا فيها الصحراء ، لم يكن أمامنا كى نعيش سوى أن نتحول الى كادحين حقيقين ، نأكل من عرقنا وكدحنا . كنا ثلاثين كادحا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كل مقومات الحياة الضرورية . وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقوم كل واحد منا بعمل يومى عام فى المعسكر ، وعمل آخر خاص فى خيمة السكن . فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمال العامة ، خبازين ، وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخترت أن أكون خبازا وكان تخصصى «فرد » رغيف العيش وهو عجينة « بالنشابه » . والعمل فى الفرن يبدأ مع **غروب** شمس كل يوم حتى **ظهر** اليوم التالى . المتخصصون فى العجن واللتّ يذهبون مع غروب الشمس يمزجون الدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتون حتى يصبح للعجينة « **عرق** » ، فيغطونها باجولة من الخيش ، ويشترط فى هؤلاء الكادحين أن تكون صحتهم جيدة ، وعضلاتهم قويه ، وأجسامهم طويلة . وقبل الفجر بقليل يذهب الى الفرن متخصص آخر . يمسك بطرف أصابعه قطعة من العجين ليرى قوة « العرق » فيها ، ثم يذوقها بلسانه ليتأكد من « **حدقها** » . اذا وجد كل شىء على ما يرام نادى على فريق العمل ويقسم الى اثنين يقف كل منهما على « **عين** » الفرن ، واثنين يضعان الخشب والحطب تحت « **صاجة** » الفرن ويراقبان اشتعال النار ، كلما خمد لهيبها يغطونها المزيد من الحطب ، واثنين يقفان على « ماجور » العجين ويشترط فيهما أن تكون عضلاتهما قوية ، حيث مهمتهما أن يخرجا من « الماجور » كمية من العجين لا يقل وزنها عن **١٥ كيلو** ، ويضعاها على « الطاولة » حيث يتلقاها اثنان آخران أحدهما يقطع بيده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنها الثانى ، ثم يدفع بها الى أربعة من حاملى « النشاب » الذين عليهم أن « يفردوا » القطع الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق والمنفوخ . وطبعا هناك فرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لاحصر

لها بين المدينة والريف • وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيف تحملها بمهارة من تضعها على « **الكريك** » لتدفعها آخر الى عين الفرن • وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون في يد كل منهم سفنجه مبلوله بالماء بمسح بها بسرعة « **وجه** » الرغيف حتى « **يلمع** » • ويقوم آخرون برص الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على « الخيام » • كل خيمه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة في اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة •

في أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج في الفجر من تحت **أربع بطاطين** الى **برد الصحراء القارص** ، وأسير في الخلاء حوالى **٢ كيلو متر** حتى أصل الى **الفرن** • وقبل خروجى البس ملابس داخلية « كستور » ثم بدلة السجن « العبك » ، وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح **ببطانيتين**• وفى كل مرة كنت أحسب أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ، كان « **سرسوبا** » أو « **سرسوبين** » أو عدد من « **السراسيب** » **تخترق** جلدى ، ولحمى لتستقر في عظامى باردة **كالثلج** ! • وكنت أجرى بسرعة الى حيث **الدفء** فى الفرن ، وعند عودتى **من العمل** فى عز الظهر والشمس عمودية على رأسى مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب **بضربة شمس** ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف • وبداخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين فى الفرن الذين يبدأ عملهم فى الفجر فقط •

وفى أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو فى السخونة التى تمتصها الواح الصاج فوق رؤوسنا فى **الفرن** ، ترسلها الى اجسامنا بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق التى تخرج من أحسامنا • ولا يأتى الظهر الا وتكون أجسامنا عارية تماما ، الا من « الشورت » طبعا !

ودون مبالغة ، كان « **خبزنا** » أفضل من « **خبز** » القاهرة ، ولا يقل جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة « **أمور السجن وضباطه** الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالى الذين حضروا الينا فى زيارات ما شهدت به ادارة السجن • وكنا نعطى لكل زائر ٣ أرغفة يأخذها معه عند عودته ، بالاضافة الى ما كان يأكله خلال الزيارة التى كانت تستمر يومين متتاليين •

ودون مبالغة — مرة ثانية — تمكنا من صنع كحك العيد وبسكويت وغريبة بمناسبة الأعياد • كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » فى

المناسبات المختلفة خاصة فى أعياد ميلاد الزملاء · لكن ذلك لم يحدث الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية · فقد بدأنا « بتكنولوجيا » **محلية** · ثم استوردنا تكنولوجيا **مناسبة للبيئة** · مثلا بدأنا « تحمية » الفرن بنيران الحطب ، وانتهينا الى استخدام « **السولار** » · كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » · · وفى صفائح ، أصبحنا نطبخ فى « حلل » كبيرة وعلى « بوابير » كبيرة تشتعل بالسولار ، كتلك التى نراها فى المطاعم الشعبية وعند « **بتوع الطعمية** ·».
وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المتمسكين بالقديم ويرون ان الاساليب البدائية تعطى « نكهة » « خاصة » « للطبيخ » وللخبز · ويين المتحمسين بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفر الجهد والوقت · وكان انصار القديم يضعون الجهد الاكثر نظير الطعم الألذ والأفضل · ويرد عليهم دعاة الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتزود بالمعرفة ، وخلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا · أيهما أكثر متعة . الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعة موسيقية · والطريف ان بعض الزملاء وقعوا فى « حيسة » السؤال الخبيث فراحوا يتبارون

ـ أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة ·

ـ أمال عامل زى عجايز الفرح ليه مش عاجبك الأكل ؟

ـ أنا لم أنقد الأكل الا فى الأيام الأخيرة ·

ـ يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » ·

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ··

ـ تبقى من أنصار القديم ··

ويدرك « المطب » الذى استدرج اليه ويشاركهم الضحك والتصفيق ·

والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى السجن وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت · وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافى والفكرى والفنى ·

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على التحصيل الفكرى والثقافى بشكل كبير · فقد كتب المرحوم « خليل قاسم » روايته الشهيرة « **الشمندورة** » وكتب صلاح حافظ مسرحية « **الخبر** » وكتب مجدى فهمى كتابا عن « **التفسير المادى للتاريخ** » ·وترجم حلمى **طوسون** « مبادىء الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادىء الاقتصاد السياسى ومعظم أشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية . هذا الى جانب النشاط المسرحى فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ ورؤوف نظمى وعبد المنعم سعودى ·

هكذا بدأنا من الصفر ببدائيات بدو الصحراء الى امكانيات تقترب

من مثيلاتها فى المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحله نوادى سياسيه وثقافيه ومرسم ومسرح • وتحولنا نحن من كادحين فى بلاد شديدة التخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة فى اليوم . الى كادحين فى بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات فى اليوم ! لقد تمكنا من تحويل هذه البقعه من **الصحراء** الجرداء الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير تسوده المساواة التامه . لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدويا لا فرق بين زميل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نقود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليله كحوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمثاليته من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة •

ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاشتراكى وشعاره « من لايعمل لاياكل » مجرد تصور نظرى • وحين طبقنا هذا الشعار فى تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لقد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى قضيناها فى **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة فى الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نجحنا أيضا فى تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تثقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير أما أن ينجح **مسجونون** فى ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحرية فهو أسطورة ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء بدأ بنكتة من أحد الزملاء العمال :

— أنا شخصيا مبسوط جدا هنا •

وتلقى النكتة زميل عامل آخر

— نعمة يحفظها من الزوال •

باستنكار يقول زميل مثقف :

— مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شىء •

— ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان •

ويرد المثقف :

— دى نظرة ضيقة الأفق •

— ليه بقى ؟

— أن تفضل الأكل على الحرية •

ويضحك زميل ثالث من العمال :

— وقع فى « المطب » .. وهل هناك تناقض بين الأكل والحرية ؟

— أصل لـه مفهومه الخاص عن الحرية .

ويغضب الزميل المثقف ..

— أفهم من كده أنكوا تفضلوا **السجن** « عشان » عن الحرية .

ويقول الزميل الأول الذى بدأ الحوار بنكته

— ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو أن نتوفر لنا **فى** بيوتنا ما ناكله هنا ..

وتبدو « الدهشة » على وجه الزميل المثقف :

— للدرجة دى ؟

— وأكثر يا زميل !

— ازاى ؟

ويصيح الزملاء العمال :

— لا بقى .. ده مش معقول .

ويدرك الزميل المثقف — متأخرا — أنه **نسى** ما قرأه وسمعه عن حياة العمال والكادحين .

هذا الحوار يا حبيبتى لم يحدث بالطبع . وانما هو صورة فنية أردت بها أن أجسد لك حقيقة عارية . الانفصام بين الفكر والممارسة . كثيرون من أبناء الطبقات المقهورة الذين حملوا الفكر التقدمى لم يستطيعوا حل التناقض بين **ما يحملونه من فكر . وبين ممارستهم للحياة** ، لسبب محدد هو أنهم ذاتيون . ولست هنا فى مجال الحديث عن الاضرار التى أصابت الحركة الثورية حين تولى **بعضهم** مراكز قيادية ، وانما أريد أن أصور لك سلوكهم فى سجن « **جناح** » فى نظام حياتنا وكيف استطعنا من خلال [illegible] . أن نصل الى المجتمع النموذجى الذى كتبت لك عنه فى عدة الرسائل . فقد كانوا خارج السجن « **يشتركون فى المعركة مع الحكم الوطنى** . أثناء العدوان الثلاثى وبعده بشهور . وألقى القبض عليهم . وصدرت أحكام ضد بعضهم ، وافرج عن البعض الآخر لبراءته . ثم ارسلوا جميعا فى **الواحات** فى أوائل **عام ١٩٥٧** . وكان أول ما [illegible] نظام « الحياة العامة » [illegible] **لصالح** الجميع » مع استثناءات قليلة جدا . لقد كادوا أن [illegible] المعانى العظيمة التى استطعنا أن نغرسها فى نفوس زملاء المسجونين القدامى — **منذ عام ١٩٥٢** — لكننا عالجنا الأمر بمرونة وحكمة واستطعنا أن نحمى مجتمعنا النموذجى وسوف تكون رسالتى المقبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتى .

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتى

مع كل دقيقة تمر منذ التقيت بك يزداد يقيني بلحظة الصدق التى أعيشها ، ويزداد اصرارى على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمرى . ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يغضبه فى رسائلى السابقة ، لكنى أرجح أن هناك من سيجد فى رسائلى المقبلة ، ما سوف يغضبه . وربما يلقى فى وجهى بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التى الصقوها بعدد من الثوريين . ومتى ؟ فى **ديسمبر عام ١٩٥٦** . وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم **أحكام بالسجن والأشغال الشاقة** . على أن هذا ومثله ليس مجال حديثى فى هذه الرسائل ، وسيكون لها مكان آخر . وحديثى هنا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان **عاريا** تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى قناع أو ستار . لقد دلت تجربتى الخاصة على أن السلوك الشخصى هو محك صدق الثورى . فالثوريون يا ابنة الستينات من **طينة خاصة** . وبقدر ما يكون التكوين الانسانى للثائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، ثم يجنى ثمارا يانعة له وللآخرين . وفى قاع النفس اللا انسانية تضيع **كل** جرعات الفكر التقدمى الانسانى ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التى لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها فى حديث **مبهر** ، أو مقال **رشيق** يحتوى على « **بهارات** » ثورية جدا ! . واليك تجربتنا معهم فى نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا فى السجون بالعشرات منذ **الخمسينات** ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مصادرة** كل الامكانيات التى ترد الينا واعادة **توزيعها** على الجميع يتساوى فى ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله **شئ** على الاطلاق . طبقنا هذا النظام فى **سجن مصر وفى ابى زعبل وفى ليمان طره وفى سجن « جناح » بالواحات** . وخلال تلك السنوات ـ **٥٢ الى ٥٧** ـ لم يثر أصحاب الامكانيات ـ على قلتهم ـ أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماستهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرفنــا على الافـلاس الذى يهددنــا بأن نعيــش على ما يقــدمه لنــا **السجن** فقط وهو دون **الكفاف** ٠

وكانت المفاجأة فـى أوائـل عـام ١٩٥٧ حين وصـل الينـا من **ســجن القناطـر الخيرية** عـدد من أصـحاب الامكانيات ومعهم عـدد من المعدمين ويحملون معهم نظامـا للحيـاة العامة يقــوم على أســاس مصـادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصـــالح الجميـع ، والـ ٥٠٪ الباقيــة لصـــالح **أصحــاب الامكانيـــات** ٠

ويـدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الخيريه وبين مسئول الحياة العامــة فى سجن « جنــاح » بالواحـات الخارجــة ويتوقف حتـى اتخــاذ قــرار ٠

وجائنـــى مســئول الحياة العامــة ، فقـد كنت فى ذلك الوقت امثله اتخــاذ القرار ، قــال :

- اليــك استقالتــى ٠
- وهــل املك قبولهـــا ؟
- ولماذا لا تملك ؟
- انت منتخب ولست معينــا ٠
- أقدمها للجمعية العموميــة ٠
- ربما أمكن علاج الموقف ٠
- لا أظـــن ٠
- كيف ؟ انهم زمـــلاء ٠٠ !
- أشــك فى ذلك ٠
- كلامك خطير ٠
- وأتحمل مسئوليته ٠
- الى هذا الحـــد ؟
- وأكثـــر
- انتظر ٠٠ سنرى كيف نعالج الموقف ٠

وابــدأ نقاشــا مع الزملاء :

- المسألة فى غاية الحساسية وارجو ان توافقـوا على نظامنــا ٠٠
- وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كـل الزملاء ؟
- أفضـل أن نرتفـع بمستوى المناقشــة ٠
- لكنك لم تجب على الســؤال ؟
- ما زلت أحترم ذكاءكم ٠٠ انتم تفهمون ما أعنيه ٠
- اليس لكل انسان احتياجاته الخاصــة ٠ ؟
- بالتأكيـد ٠٠ ولكن زيدونـى ايضاحـا ٠
- المريض الذى يحتاج الى طعام معين ٠

ـ يوفـره له نظامنـا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمهـا ٠
ـ المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا ٠
ـ ربما نجـد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحده ٠
ـ وعندئذ نـكون المسـألة مفروضـه ٠
ـ أليس من الأفضـل أن يكون الأمـر بارادتكم ؟

كان **مجدى فهمى وسعد باسيلى** يشاركانى فى هـذا الحوار ، تداولنا فى الأمر مـره أخرى واتفقنـا على نقل حوارنا معهـم الـى كـل الزمـلاء ، وهو يتضمن ادانـة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنـا للحيـاة العامـه والذى ارتضيناه ما يقـرب من**خمس سنوات** ٠ فى ذات الوقت نقترح نظاما آخـر مرنا جوهره المصادرة ولكن مـع استثنـاء بعض الأشـياء والتنـازل عن ١٥٪ مـن قيمـة مـا يـرد اذا زادت القيمـة عن ٥ جنيهات ولمن يرغب ٠ وكان من المسـتحيل أن نتجاهـل انانيـة من يملكـون الامكانيات والتى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفهـا « **بموقـف مبـدئى** » الى تقليـل ما يقدمونه أو حتى الى الامتنـاع عـن تقـديم شىء بالمـرة ٠ وعند مناقشـة هذا النظـام الجديد معهم وافقـوا بشرط ان تزيـد نسبه الاستثناء الى **٢٠ ٪** اذا زادت قيمة ما يـرد من امكانيـات عن ١٠ جنيهـات ولـم نعترض ٠ فالذين تقـل قيمه امكانياتهم عـن ٥ جنيهـات لن يطالبـوا بنسبة لانهم مع المصـادرة الكاملة ، وأولئـك الذين تزيـد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم ٠

ومع أننا بذلنـا جهـودا مكثفـة لاقنـاع زملائنـا القدامى للموافقـة علـى هذا النظـام الجديد ، ولكـى تـكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعيـة ٠ فـان العلاقات الانسانية بينهم لـم ترتـق أبـدا الى مثل ما هـى عليـه بين الزملاء القدامـى ٠

ربمـا طـال حديثى قليـلا عن الموقف من نظـام الحياة العامـة داخـل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطـرح جانبـا من جوانـب السلوكيـات المصاحبة للمناضـل خاصـة داخل السجن حيث الهدف الأساسـى هـو خلق أرقـى علاقات انسانيـة بين الجميـع ، كضرورة للمقاومة الجماعيـة لكـل الظروف الصعبـة التـى يواجهونهـا فى السجن ٠

لقـد حسبنا عندما حضر الينـا الزملاء من سجن القنـاطر الخيرية فـى أوائل عـام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربـة **تعاونهم** مع الحكومـة الوطنيـة ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومة الشعبية** فى بورسـعيد ، وأخيرا ، وليس آخـرا ، عن سبب تفاؤلهم الشـديد فـى **قضية الافراج** عنـا بعـد تأميم قنـاة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثـى ، ولكن بـدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكـون وقتنـا فى قضيـة تتعلق **بذواتهم** فـى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريرى الحسى فى الخيمة ، وجدت نفسى أمام شريط طويل من ذكريات الماضى البعيد . **الأربعينات** . وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من **الخمسينيات** . مد عى حصيلتها اليوم ؟ فجأة طفرت الدموع من عينى عزيزه . خرجت من الخيمه مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ ترسل سوره فى امكان وبكاد يحيل ظلام ليله الى نهار لكن عيناى لا تراه . ولا تحس الا بظلام مستفحل حالك السواد . هواء ربيع الصحراء نقى ومنعش ، لكننى اكاد **أختنق** ! وآلام حادة فى كل جسمى . تنعقد انى عظامى وتكاد تحطمها ، دوار يلفنى وصداع يكاد يحطم رأسى . وأروح فى اغماءه . أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعلى وجهه ابتسامته الانسانية :

- نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده .
- نومة واغماءة ؟
- وانت برضه من الصنف اللى يغمى عليه ؟
- أيه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
- قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .
- وكل قدرة لها حدود ..
- أثق فى انها لن تصل الى تلك الحدود .
- أرجو ..

يقول وابتسامته لا تفارقه :

- تسمع حتة الزجل دى ؟
- أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمعك وأنفعل بكلماتك .. لكن حالتى لا تسمح .
- طيب ما نيجى نروح عند الملك ؟
- لأ . أفضل أن أجلس هنا قليلا ..
- لوحدك .. لا ..
- أرجوك ..
- لا تنس أننى مشروع طبيب .

ويتركنى دقائق . ويذهب ذهنى بعيدا الى أواخر الأربعينات .

كان **رؤوف نظمى** واحدا من المناضلين القادرين على كسب ثقة الجماهير ، بين طلبة **كلية الطب** حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك . احترف العمل الثورى وهو فى السنة النهائية . ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل **دفاع سياسى** يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عنسياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها .

هل كان من باب الصدفة أن يدان رؤوف نظمى وعدد آخر من الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم **كأحمد الزقم وعبد الخالق الشهاوى** . وغيرهم من الذين أدوا دورا هاما فى الحركة الثورية مثل **داود عزيز ووليم طانيوس** ؟ . وأن تصدر هذه الادانات والمعركة الوطنية فى عنفوانها ؟ ما أخطر الذاتية حين تتمكن فى نفوس الذين يملكون اتخاذ القرار !

وأرى **رؤوف نظمى** قادما نحوى ومعه **مجدى فهمى** ، وملك الصحراء ، ويدور حوار انسانى أحكيه لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى .

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٨)

حبيبتـــى

لماذا خرجت فى تلك الليلة التى حدثتك عنها فى رسالتى السابقة من خيمتى الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة فى وقفة مع النفس ؟ كلا · فالتقييم الذاتى هو جوهر الوقفة مع النفس · هل كانت محاولة لتقييم موضوعى للمسيرة منذ انتزعونى من موكبها ؟ كلا · لست أدرى على وجه الدقة ما الذى كان يسيطر على كيانى ويكاد يهده هكذا · ربما كان شيئا أقرب الى أحساس أم ذبحوا وليدها أمام عينيها · لقد شدنى هذا الاحساس المؤلم والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظور حالك الظلام · بعد أن كان فى بداية الخمسينات يبشر بمستقبل مشرق · ولكن لماذا تملكنى هذا الاحساس بعد مجىء زملائنا من سجن القناطر الخيرية منذ شهور وفى تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارهاصات ، لكنها لم تجعلنى يوما قبل ذلك اليوم المشهود أتشاءم فى المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة شبه اليائسة · منذ القى القبض على كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا فى الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنى اهتمام · كانوا من عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والتحيات ، لمواقفنا البطولية فى السجن ! ولصمودنا فى وجه الارهاب ونجاحنا فى المحافظة على وحدة الزملاء داخل السجن ! لكن دون اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية · وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور بلغ حد السخرية فى بعض الاحيان ثم وصل الى حد الاستنكار حين وصلنى قرارهم الذى ينص على التقدير الخاص بى ، ضمن قائمة قرارات الادانة لعدد من أخلص الزملاء ؟ وسجلنا استنكارنا هذا فى شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف منه ، فى ذات الوقت اتخذنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع الاتهام عن الزملاء المدانين · ومع ذلك فقد ظلوا فى « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم · حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد · وكانت

النسبة الى معظم طير التعبير هو موقفهم من نظـــام الحياة العامــة ٠
لقد ضاع كل شيء ولم تبق سوى قيمة الروح الجماعيـــة التـى
نجحت فى تأكيدهـــا عند زملائنـــا القدامى ، فهـــل يريدون تدميرهـــا
بعد أن **دمروا كل شيء فى الخارج** ؟ ٠

ويتحدى من زملائـى صوت « **ملك الصحراء** » ٠

ــ ولا يهمك يا درش ٠

ــ ولا يهمنى من أيـه يا ملك ؟

ويعلق **رؤوف نظمـــى** :

ــ طـول ما فينا نفس مش راح نسكت أبـدا ٠

ــ وايه اللى تقدر نعمله أنفاسنا الباقية ٠٠ فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة ٠٠ يقطعه قـول **مجدى فهمى** :

ــ وقف التدهـور على الأقـل ٠

ــ أرجو أن لا نكون قـد وصلنا الى نقطة اللا عـودة !

ويبتســم مجدى فهمى ويقـول :

ــ لا دى الحكاية عاوزة فنجان قهوه من بن « قشطة اليمن » ٠٠ أيـــه رأيــك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

ــ اجرى يا رؤوف جهز لنـــا عـدة الشغل ٠ ٠

ويلتفت الى رؤوف نظمى ٠ ٠

ــ عاوز قهـوة « مثقفين » ولا قهوة « فلاحين » يا درش ؟

ــ ما كفايانـــا مثقفين يا رؤوف ٠ ٠

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنـــى بهم علاقـــة أبويـــة ، مجموعة من الشباب لا يزيـــد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما ٠ **نبيـــل حلمـــى** الطالب بالسنة النهائيـــة بكلية الآداب ٠ جسمه النحيـــل يحمل امــراض الكبـــد ، والكلى والاشتباه فى الصفراء ٠ **مجـدى نجيب** ابتســـامته الانسانية وتلقائيته التـــى تبشر بمولد فنـــان كبير على يـــد الملك ٠ **ماجـد حـــافظ** الطالب بالثقافـــه العامـــة « العمدة » الذى يسهر على راحتنـــا ٠ **مصطفـى حامـد** عامل الخراطـــة الذى تعلم القراءة واكتابـــة فى أقـــل من ثلاثـــة أشهر ٠ وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخليـة **ومحمد خليفـه** طالب الثانوية العامة الذى حـكم علـه بالأشغال الشـــاقة **عشر سنوات معى** ٠ **وفايز مـراد** طالب الثانوية العامة بتكوينه الانســـانى السوى المعطاء ، وابتسامته الذكية أحيانا ، والخبيئة أحيانا أخرى ، وسعيد عبد الوهاب الفنـــان الموهوب ٠

ما ان دخلت خيمة « **الملك** » حتـــى احتوت كيانـــى المهـــدود كلمـــات الزملاء « أبنائـــى » ٠

ماجـد حافظ « عمدة خيمتنـــا » يقول :

ـ انمـد نفسـك يا زميـل ٠
ـ لـيه يا عمـده ؟
ـ جرادل الميـه فاضيـه ٠ ٠
ـ معـاك حـق ٠٠ نسـيت ٠
ـ يعنى أيـه نسيت ٠ ٠ اقترح عقوبـة على نفسـك ٠
ـ أمنـرح أنت يا عمـدة ٠
ـ العمدة لا يفتـرح ٠٠ وانما يقـرر ٠
ـ قرر وسأنفذ فـورا ٠
ـ خذ ٣ سجاير هوليـود « لارج » ٠ ٠
وأضـحك قائـلا ٠ ٠
ـ على كـده راح أنسى كـل مـرة ٠٠
ويقـول متوعـدا :
ـ لا ٠٠ المرة الجايـة بقـى ٠ ٠ حاتشـوف ٠
ويقـول **مجدى نجيب** ٠ ٠
ـ انـى اتهم ٠ ٠
ـ أيـه يا مشروع فنـان ٠
ـ تعطيـل المشروع ٠
ـ ازاى ؟
ـ انت نسيت يا أستاذ ان موعدنـا اليوم لرسم « بورتريه » لك ٠ ٠
ـ معاك حق يا مجدى ٠ ٠ متأسـف ٠ ٠
ـ أقترح عقوبـة لنفسـك ٠ ٠
ـ ترسمنى مرتين ٠ ٠
ويضحك الجميع من قلوبهم ٠ ٠
ويقـول **مصطفى حامـد** :
ـ كله كـوم ٠ ٠وحسابـى معاك كوم لوحده ٠
ـ كان موعدى معك ٠٠ لمراجعة مقالى للنشرة ٠
ـ وده معنـاه أيـه عند الثوريين ٠ ٠
ـ تخريب الثورة طبعـا ٠ ٠
ـ اقتـرح عقوبـة لنفسـك ٠ ٠
والتفت الى الملك ضاحـكا ٠ ٠
ـ اقتـرح انت يا ولـيم ٠ ٠
ويقول **وليـم** ضاحـكا :
ـ الشـنق طبعـا ٠ ٠
ويضج الزملاء بالضحك ٠ والتفت الى **رؤوف نظمى** قائـلا :
ـ أحدث طريقـة للعلاج يا رؤوف ٠

ويقول بود وحب :

ـ أولادك وأحبابك ٠ ٠ عاوزينك !

وأحس بكياني المهدود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلي يصرخ بأعلى صوت **الحقيقة مؤلمة** ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت **عشرات المرات** !

ويناولني الملك فنجان القهوة ٠ ٠

ـ فنجان قهوه « قشطة اليمن » يعدل المخ ٠ ٠

وأقول ضاحكا ٠

ـ ما دام قهوة « فلاحين » يبقى راح يعدل المخ ٠ ٠

ـ همه دول يا درش ممبش غيرهم ٠

ويحتج **مصطفى حامد :**

ـ والعمال راحوا فين ؟

ـ يا سيدى العمال ٠ ٠ **قيادة** ٠

ـ للسلطة والا من خارجها ؟

ـ ما خلاص اتعدلت ٠ ٠

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « **قشطة اليمن** » التى تبرع بها الملك على شرف « درش » ويهمس **مجدى فهمى فى أذنى :**

ـ أول مرة تخرق اتفاقنا ٠ ٠

ـ كنت فى حالة سيئة جدا ٠

ـ هذا أدعى ٠ ٠

ـ معك حق ٠ ٠

ـ اذن لنا قعدة ٠

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة ذلك اليوم ٠ وفى مساء اليوم التالى التقى مع **مجدى فهمى** فى احدى « قعداتنا » التاريخية :

أسأله :

ـ هل كان موقفا بائسا ٠ ٠

ـ بل كان خطوة نحوه ٠

ـ ولكنى انسان ٠

ـ حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدها ٠

ـ وأن تكرر ؟

ـ يصبح مهزلة ٠

ـ وتكتمل المأساة ٠

ـ لا يزال فى نفسك ما يسمح بتكرار الموقف ٠

ـ **وكيف يزول نهائيا ؟**

ـ **أن تكون أنت** ؟

ـ كان فى الخارج بريق من أمـل ٠
ـ ليكن الأمـل هنـــا ٠
ـ نبـدأ من الصفر مـره أخـرى ٠
ـ وهل نملك غير ذلك ؟

كنـــا نتحدث ونحن نسير فى الصحراء ، وعيـون الزملاء من بعـيد ترقب ، ما كادت تراناـا **متعانقين** ، بعكس نـور القمر ظلنـا ، جسـما واحدا ، يخـرج علينـا **سعيد عبد الوهـاب** ، لا نـدرى من أيـن وهو يصيح ٠ ٠

ـ اثبتوا ٠٠ خليكو زى ما انتـو ٠ ٠
ـ أيـه يا فنـان الجيل الصاعـــد ؟
ـ حتـة دبين منظـر ٠٠ مدهش ٠
ـ راح ترسـمه يا سعيد ؟
ـ أتـأمله ! الفن تـأمـــل يا أستاذ ٠
ـ دا الحب يا ســعيد ٠
ـ وهـوه الحب مش فن يا أســتاذ ؟

الحب بجميـع أنـواعـه هو علاقـة انسانيـة جوهرهـا الصـدق ٠ الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب ، حبيبـا كان ، أم زمـيلا ، أو واحدا من ذوى القربـى ٠

وهذا الحب « الانسانـى » ليس غايـة فى ذاتـه ٠ أنـه غايـة وفى نفس الوقت وسيلة الى غايـة اسمى ؛ هى حب الوطـن بكل ما تفرضـه هـذا الحب من التزام ومسئولية ، واسـتعداد لبذل الحيـاة ذاتهـا من أجـله ٠

والتفت الى مجدى فهمى قائـلا :

ـ مجدى ٠٠ انت دائما تصيب كبـد الحقيقـة ٠ ٠
ـ ليس دائما والا أصابنى الغرور !

ويستطرد ضاحــكا :

ـ ما هـى آخـر حقيقة أصبت كبدهـا ؟
ـ قولك ان الأمـل من هنـــا ٠
ـ فعـلا لـم يعد الا من هنـا ٠

ومنذ ذلك التاريخ نفضنا كل الاوهام عن كاهلنـا ، لنبـــدأ **مـن جديـد من السجن** ، وبالزملاء الذين اثبتوا خـلال نضالهم خـارج السجن وداخله ، انهم قادرون على مواصلة المسيرة ٠

كيف بدأنـا ؟ وما الذى أنجزنـاه **منذ منتصف عـام ١٩٥٧** حتـى انتقلنـا من سجن « جنـاح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس **الواحات فى أغسطس عـام ١٩٥٨** ؟

هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

٣٠ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتى

كان علينا بعد **منتصف عام ١٩٥٧** بعد اهتزاز الثقة بزملائنا فى الخارج ، أن نستمد أملنا فى مواصلة المسيرة من زملائنا فى السجن بعد خروجنا . كان قرارنا : من السجن نبدأ من جديد . هذا على الرغم من الأخبار التى وصلتنا عن مباحثات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وقرب وصولها الى تنظيم واحد « تنظيم » ! ولقد كان شعار الوحدة جذابا للغالبية العظمى من قواعد وقيادات التنظيمات الشيوعية فى مصر . وكان موقف المسجونين من الوحدة يتجسد فى وحدتهم الطبيعية فى مواجهة ظروف السجن وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسية والايديولوجية والتنظيمية . لذلك رحبنا بأخبار مفاوضات الوحدة . وان كان هناك سؤال يجول فى أعماقنا : لماذا اندفعت القيادات التى عاشت سنوات طويلة منقسمة على بعضها ، وتحكم كل منها على الآخر بالانحراف ، والانتهازية ، بل والخيانة ، الى **الوحدة** ، وبهذه **السرعة الجنونية** ؟ وهل تنبع هذه الوحدة من ايمان حقيقى بضرورة انهاء **الانقسام الطويل** ، أم أنها محاولة بائسة لقيادات تشعر **باهتزاز** ثقة قواعدها بها ، وتحاول استرداد هذه الثقة ؟

وكان علينا أن نجيب على السؤال الكبير .

كيف نعد انفسنا ، ونعد الزملاء لمواصلة المسيرة بعد خروجنا من السجن على أسس نظرية وسياسية أكثر وضوحا ؟ وكانت الاجابة هى : دعوة كل الزملاء الى تقييم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنا فى الخارج منذ ٢٣ **يوليو ١٩٥٢** بهدف الخروج **بدروس مستخلصة** . وفى وجه معارضة شرسة واتهامات عديدة لنا من بعض الذين حضروا الينا فى **عام ١٩٥٧** ، قررنا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشة موضوعات أذكر منها : الموقف من ثورة **٢٣ يوليو عند قيامها** . الموقف من أزمة **مارس ١٩٥٤** . الموقف خلال **العدوان الثلاثى** . مفهوم الوحدة الوطنية وعلاقتها بقضية الديموقراطية والحريات السياسية ، **كذلك مناقشة أهم** الموضوعات النظرية التى تضمنتها بعض التقديرات الأساسية التى **كتبها** زملاؤنا فى الخارج وأهمها . « **حزب السلطة** » . و « **الوحدة مع الانتهازية تغليب لها** » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » .

وخلال **أشهر** قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعى » **عشرون عددا** احتوت على الرأى الرسمى وكان الذينيدافعون عنه يدافعون فى الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأى المعارض ، وقد جاء بآراء جديده . وأخرى كانت **مرفوضة رسميا** فى وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسيه والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان **اطلاق حرية** كل الزملاء فى المناقشة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التى لم تحدث فى تاريخ التنظيمات الثورية فى مصر أو خارج مصر **مؤشرا** لمفهوم جديد بدأت صياغاته الأولى منذ ذلك الحين عن **الديموقراطية داخل التنظيم** ، ربما استطيع أن أكتب عنه فى وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحه وقتئذ . كيف يثق الزملاء بقدرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نعصوا عن كاهلهم التعلق بأوهام نشاط زملائهم فى الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقائهم الفكرى بعد اتمام الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من ارهاب فكرى تحت ستار « **المحافظة على الوحدة** » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق ويستخلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن . حقيقة سكنية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقه أنه لا أمل الا فى الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الافراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد **انتهاء مدة العقوبة ؟**

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟

لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . تملك وضوحا سياسيا وفكريا « كان سلاحها فى القتال ضد اليمين وضد اليسار داخل تنظيم الوحدة الجديد » وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن شرفها والتزامها .

وشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى **سجن « المحاريق »** بالواحات **الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثا** « عامة واخبارا مثيرة » ! . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت **تعثر** مفاوضات الوحدة بين **التنظيمات الثلاثة** واعلانها بين تنظيمين . فأممنا احتفالات « بهيجة » لمناسبة

هذا الحدث « **السعيد** » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** ـ وأقمنا احتفالات « **مهيبة** » لمناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساما ـ بعد أقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » ! وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علاقة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **المحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « الوحدة الثلاثية » حمل الينا زملاء القى القبض عليهم فى أوائل عام **١٩٥٨** حوكموا ونقلوا الينا فى « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » **لنا فى المحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذى ينتظرنا فى السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلا :

ـ اللى أكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . **بط** .

كان نقلنا من ليمان طره ـ بعد **الاضراب العام** الذى دخله كل **المسجونين فى الليمان** ـ الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعا لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن** « **المحاريق** » **فى قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدى ، فى **سجن مثل هذا** فى قلب الصحراء ؟

ويهمس الينا أحد الضباط الاصدقاء . .

ـ سينتقمون للسنوات التى أخذتم فيها **حريتكم** هنا فى « جناح » . .

ـ وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ .

ـ لقد أعدوا لكم **نظاما خاصا** .

ونبدأ فى اعداد أنفسنا للحياة فى **سجن** « **مغلق** » **فى قلب الصحراء** . لم يدر بخلدنا يوما أننا سننتقل الى سجن له « زنزانات » مرة أخرى فى قلب الصحراء . حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتلمظون غيظا ، فكيف **نكون مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطى « الثقافة والفكر » فاذا بنا ننهل منهما لنغذى عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو يهدأ لهم بال ، ونحن هنا ، فى **الصحراء** التى أرادوها قبرا لنا نغنى ونرقص، ونقيم الاحتفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أمامنا من وقت كى نعد أنفسنا للظروف الجديدة فى **السجن الجديد** ؟ ويأتى الينا الخبر « من منبعه الأصلى » من مكتب

قائد **السجن الحربي** • ! ويحمله الينا الزميل **محمد مختار جمعه** الذى وصل الينا حديثا ، فى أبريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور • كان **مختار جمعه** مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبته **المخابرات العامة** ، « **نفخته** » و « **جلدته** » وحرقت **ظهره بالحديد المحمى** « **وخلعت أظافره** » ، **ووضعوه عاريا فى الماء المغلى** ، كى يعترف على واحد من زملائة ولكن دون جدوى • كان بطلا ، فاقت بطولته **الأسطورة** • وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم **الجبناء** رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا ارساله الى سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** • وفى مكتب **قائد السجن الحربى** قبل ترحيله بساعات سمع **محمد مختار نقاشا بين قائد السجن وبين أحد ضباط المخابرات** :

ـ مش كان أحسن نرميه هنا ؟

ـ مفيش فايده • • لن يتكلم •

ـ راح يا خذ حريته فى « جناح » • •

ـ كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحاريق » •

وتأتى الينا أخبار أخرى تؤكد ان سجن « **المحاريق** » **على** « **التشطيب** » وأن بعثة من **ضباط المباحث العامة** ، **والسجون والمخابرات** ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك • وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلنا الى **المجهول** الذى لم نستعد له •

المعرفة هى زادنا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونه وتحت أى ظرف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحوث **والمجلات** سوف يلقون بها الى أفواه النيران لتلتهمها • ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من أدوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا **المعرفة** عن طلابها ! وكان أول قرار نتخذه هو اعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على ورق سجاير « **بفرة** » وخصصنا [illegible] لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى يشرب أهلها [illegible] لف » ، وتكليف أهالينا بشراء أكبر كمية منه من القاهرة • وخلال أقل من شهرين تم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قراءته دون جهد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعادة نسخ ما فى هذه الكتب **والتقارير** من معرفة على ورق « البفرة » يفوق التصور • كانوا حريصين عليها حرصهم على **حياتهم** • وهل يمكن أن تكون لحياتهم معنى

بدون **الثقافة والفكر** ؟ **الثائر لا يموت** ، اذا قتل أو مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه **المعرفة** • وأبدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما فى داخلنا من حب وصدق وشرف وانسانية نغترفها من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبدا •

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن • مجموعات الزملاء تعمل **٢٤ ساعة** فى اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب وثالث يراجع • مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم السجائر ، يرفضون حينا ويطلبون بدلا منها ورق « بفرة » وحينا آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل • لم نكن فى حاجة الى جلسات توعية كتلك التى عقدناها قبل نقلنا **من ليمان طره الى « جناح »** • ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تجسد لما يدور فى نفوسهم ، أنه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال فى مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئا سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** •

وفى غمرة هذا النشاط الكبير الذى يستعد للحياة الجديدة ، المعروفة والمجهولة فى **سجن « المحاريق »** تأتينا أنباء انتصار **ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق** من راديو القاهرة • ونظل طول الليل نسمع تعليقات الاذاعات العالمية ، واعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خلال عودته من **موسكو** • ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافراج قريب ، ونقرأ بيانا يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ويوقعون عليه بأسمائهم !

ونتساءل بسخرية :

ــ ليه كده ؟

ــ وأيه المناسبة ؟

ــ ليجدوا مكانا تحت الشمس •

ــ ولن يجدوه كما يتوقعون •

ــ ربما كان وراء الشمس •

ــ لم يتعلموا بعد • •

ــ سيلدغون مرة أخرى •

ــ آه لو كانوا مؤمنين •

ــ ومن أين يأتيهم الايمان ؟

ــ ذواتهم فوق كل أعتبار • •

ــ **اليــوم يمين ٠ ٠**
ــ **وغــدا يســـار ٠**
ــ **كلــه ماشـــى ٠**
ــ وحسب الطلب ٠

ومرة أخرى يأتينا من زملائنــا فى الخارج ما يهــدد معنويات زملائنــا فى السجن ٠ **الافراج** أقرب ممــا تتصورون ٠ اعــدوا قائمة بأسماء عــدد كبير من **الاخوان المؤيدين** ٠

ونــرى تكاســـلا فى عمليــة نســخ الكتب والتقارير ٠ وتتضـــاعف مسئوليتنا ٠ ولا نجـد ســوى الحوار معهم حينــا ، والسخرية بمـــا يقولــه الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حينــا آخـر ٠ وتجرى الاحــداث بسرعة مذهلة نداء شـــهر « **العسل** » الذى حسب زملاؤنــا أنه آت لا ريب فيــه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » ٠ ونتوالى التعليقـات الســاخرة :

ــ همه كانوا عاوزين عسل أبيض ولا أسود ؟
ــ مش مهــم ٠ ٠
ــ مش مهم ازاى ٠٠ الأبيض غير الأســـود ٠
ــ لمه بقى ؟ الأبيض حلــو ٠٠ والأسود حلــو ٠
ــ برضــه الطعم مختـــلف ٠ ٠
ــ المهــم ما يكونش مــر ٠
ــ وهــل يميزون ؟
ــ انهم لا يبصرون ٠
ــ ربمــا يحســـون ؟
ــ ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم ٠

ويعود الزملاء الى حياتهم الســـابقة فيواصلون عمليـــة نسـخ الكتب التى سنأخذهــا معنــا الى **سجن** « **المحاريق** » وينجزون كل ما كلفوا بــه ويجرى عمل **مخابىء** لها حتى لا تقع عند وصولنا الى ســجن « **المحاريق** » ٠ وفى المســاء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجـــى فى وقت لم نعتــده من قبل ٠ ينزل من سيارته ونــراه متجهــا الى حيث يســـكن الاخوان المؤيدين ٠ بعـد مرور بعض الوقت يزف البنــا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافــراج** الصحــى **عن ١٠٠ من الاخوان** المؤيدين ٠ جاءنــا الرجل ســعيدا ليس لانــه سيخرج من السجن فقط ، وانما لانه يــرى ٠ ٠

ــ ده مقدمة**للافــراج** عنكــم ٠ ٠
ــ مش بالضرورة ٠
ويقــول بدهشـــة ٠
ــ **ازاى بقى ٠٠ وانتو اللى خلليتونــا نؤيـد الحكومة ؟**
ــ ولـــو ٠ ٠

وتتضاعف دهشـــته ٠ ٠

ـ مش ممكن ٠٠ ده شيء غير منطقـى ٠
ـ المهم ٠٠ ألف مبـــروك ٠
ـ سأسحب تأييدى للحكومة اذا لـم يفرج عنكم ٠
ـ يسـجنوك معانـــا ٠ ٠
ـ زى بعضـــه ٠ ٠
ـ موقف مثالـــى ٠
ـ بـل أبسـط أنـواع الوفـاء ٠ ٠
ـ أى وطنـى خارج السجن ٠ ٠ مكسب للمعركة ٠
ـ سأمتنع عن العمل السياســى ٠
ـ خطــأ كبير ٠ ٠
ـ خير من التعاون مع من **يسجنون** أخلص الوطنيين ٠
ـ تغلب عواطفـــك !
ـ وهـل من العقل أن تسجنوا ؟
ـ عقـــل الحـــكام ٠
ـ وهل تختلف عن عقولكـــم ؟
ـ اختـلاف كبيـر ٠
ـ وما مصـــدره ؟
ـ الموقف الاجتماعـى ٠
ـ لكن المعركـة ما تزال وطنيـة ٠
ـ يحسبون أنهم قادرون على كسبها وحدهم ٠
ـ ولماذا وحدهم فقط ؟
ـ لضمان موقفهم الاجتماعـى ٠
ـ ربما لا يفرج عنكم أبـدا ٠
ـ الا اذا اضطروا الى ذلك ٠
ـ وما الذى يضطرهـــم ؟
ـ ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية ٠
ـ فهمت ٠ ٠
ـ وماذا بعد أن فهمت ؟
ـ سأكون من أقوى المطالبين **بالوحدة الوطنيـة** ٠

وفى ساعة متأخرة من الليـل يقيـم الزملاء احتفالا يـدعـون اليـــه الاخوان المسلمين المفـرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عـدد قليـل منهم **البكباشى فؤاد جاسر** ، **والصاغ جمال ربيـع** ، **والصاغ حسن حموده** ، **وسيد الريس** ٠ وفى نهاية الاحتفال يلقـى **البكباشى فؤاد جاسر** كلمة انسانيـة تتضـمن

كل المعانـى التى دارت فى حوارى معه · وفى اليـوم التالـى يشـهد سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** مشاهد انسانية ، قـل أن يحـدث مثلهـا · أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ·

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٤٠)

حبيبتـــى

وشـــهد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية مواقف** انسانيـــه عميقـــة أكـــدت الجوهـــر الطيب للانســـان • كانت قائمة أســـماء المفرج عنهم فى مســـاء اليوم السابق تشـــمل كل ضبـــاط الجيش وعددا من المدنيين ، ولـــم تتضمن أسماء اخـــرين مـــن الاخـــوان المؤيدين • وظلت هذه المســـألة محل تســـاؤل من الاخوان المؤيدين الذيـــن شملتهم القائمه والذين لـــم ترد اسماؤهم فيهـــا • مخاوف كبيـــرة كـــانت تنتاب الباقين من المؤيدين ، ليس فقط لعـــدم الافراج عنهم ، ولكن بســـبب مـــا ســـوف يلاقونـــه فى السجن بعد خروج قياداتهم • فلقـــد كان الوضـــع بين الاخوان المؤيدين والاخوان المعارضين قـــد بلغ درجـــة كبيـــرة من الســـوء • ولقـــد بلغت هذه المخاوف حـــدا جعلت الاخـــوان المفـــرج عنهـــم يفكرون فى البقـــاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هـــم الآخرين •

وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مأمـــور الســـجن :

ـ هل تقبل **استضافتنا** عنـــدك كام يـــوم ؟

وتبدو علامات الدهشـــة على وجـــه المأمور •

ـ استضافتكم ! أين ؟

ـ هنـــا فى **الســـجن** •

وتزداد دهشـــة المأمـــور •

ـ هل أكذب أذنـــى ؟

ـ لا تكذبهـــا ••

ـ تريدون البقـــاء فى السجن !

ـ أيـــوه •

ـ وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بـــره ؟

ـ مش دى المشـــكلة •

ـ وهـــل توجـــد مشـــكلة ؟

ـ أيـــوه •• اخواننا الذين لـــم يفـــرج **عنهم بعـــد** •

ـ ستحل قريبـــا جدا •

ـ ننتظر فى السجن حتى تحـــل •

وبصيح المأمور :

ـ جـــد والا هــزار ؟

ـ **منتهـى الجـــد ٠**

ـ دى بتبقـى مسئوليـه على ٠

ـ ليه يعى ٠٠ نحن نريـد أن **نسجن** بارادتنـا ٠

ـ لا تملكــون ذلك ٠

ـ لا نمْلك أن نسجن أنفســنا ؟

ـ ولا تملكــون الخروج من السجن بارادتكم ٠

ـ اذن سنعتصم هنــا على أبواب السجن ٠

ـ ولا تملكــون هذا أيضــا ٠

ـ لماذا ؟ **ألـم يفــرج عنــا ؟**

ـ بعــد أن اسلمكم فى القاهرة ٠ ٠ **افعلوا ما شـئتم ٠**

ـ نحن عهـــدة ؟

ـ تمـــام ٠

ـ اذن لن نخرج من باب السجن ٠

ـ سأكون مضطرا لاستخدام القــوة ٠

ويتوتر الموقف لحظة ٠٠ ويقول المأمور مبتسما ٠ ٠

ـ **السجن بالقوة ٠ ٠ والافراج بالقوة ٠ ٠** أيــه رأيكم ؟

ـ هل يمكن الاتصال بالقاهــرة ؟

ـ للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمــر غريب ٠

ويضحك واحــد من الاخوان :

ـ وما وجه الغـرابة ٠٠ ناس عاوزه تنسجن فيها أيه دى ؟

ـ فيها كتير ٠ ٠ **قرار جمهورى ٠**

ـ وهــل الحصول عليه صــعب ؟

ـ جـــدا ٠ ٠

ـ كان ســهلا قبــل ذلك !

ـأنا لا أفهم فى السياســـة ٠

ويضج الجميع بالضحك ، بينمــا يـــدق جــرس التليفـــون ٠ يضع المأمور السماعه ويقول مبتســما ٠

ـ وصــل القرار الجمهورى ٠

ـ باعــادة ســجننا ؟

ـ **بالافراج عنكم جميعـــا ٠**

يتعانقون ويتبادلون التهانــى ويعودون الى خيامهم يعلنــون الخبـــر ويستعدون للعودة الى الحريــة ٠

يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنــى :

ـ ربـــع ساعة وأكــون عنــدك ٠

ويهمس **جمال ربيـــع** :

ـ فين ملك الصحراء ٠٠ أنا عــاوزه ٠

ـ أظن فى خيمته ٠

ينادى على **فؤاد جاسر** ، واخرج لـــه من الخيمة ونجلس تحت ظـــل **شـجر النزوع** الذى زرعنـــاه حول كل الخيـــام ٠ تخــرج منـــه كلمــات خجولـــة :

ـ الحاجات دى بفــى مش لازمانـــى ٠ حاجة بسيطة كـــده ٠

ـ شكرا يا أستاذ مؤاد ٠٠

ـ والكام مرس دول ٠٠ يعفـــى برضـــه ٠

ـ ستحتاج الى نقود ٠

ـ لا ٠٠ عندى فى البنك ٠

ـ قصدى ٠٠ ربما تحتاج ركوب تاكسى مثلا ٠

ـ عامل حسابـى ـ معايـا **ثلاثة جنيـه** ٠

وبينما أنا أنادى على مســئول الحياة العامة لأسـلمه هذه الخيـرات من علب الطعام المحفوظـة والسكر والشاى والحلاوة الطيحنيـة والسجاير ، فضـلا عن **عشرين جنيها** ، أسمع صـوت **ملك الصحراء** ٠٠

ـ انت فين يا أستاذ فؤاد ٠٠ أنا دايخ عليك ؟

ـ أنا اهو يا ملك الصحراء ٠٠ كان لازم أمـر عليك ٠

ـ فاضى لمدة ســاعة ٠٠

ـ ثلاث ساعات يا ملك ٠٠ أنت عـارف ٠

ـ طيب بينا على « الاتليبة » ٠٠ معانا يا درش ٠

ـ نقعد هنـــا ٠٠ فى الضـلة دى ٠

ـ لا فى الاتيليـــة ٠٠ عاوز أرســمك ٠٠

ـ حقيقـــى يا وليـم ؟

وينهض لمعانقه فى حب واخـوة ٠٠ وفى خيمة وليـم نجـــد كل شــىء معـدا **للرسم** ، يجلس **فؤاد جاسر** على كرسى ويبـدأ **ملك الصحراء** يضـــع خطوطـه الاولى ٠ يقول فؤاد ضاحـكا ٠٠

ـ طيب ما أنا رايـــح لهم بنفسى يا ملك ٠٠

ـ ومالـــه ٠٠ أصل وصـــورة ٠

ـ وطبعــا الصورة أحســـن ٠

ـ المقارنة بين صورة وأخرى ٠٠ وليس بين الأصل والصورة ٠

ـ وما هـــى مقاييس المقارنـــة ؟

ـ قدرة الفنـــان على ان يقول ما يحس بـــه ٠٠

ـ وهل تختلف بين فنـــان وآخـــر ؟

ـ طبعا .. ما آراه انا قد لا يراه غيرى ..

ـ مثــلا ..

ـ فنان يغوص فى الأعماق الانسانية .. وآخر يستهوية الشكل الخارجى .

ويضحك فؤاد ويقول :

ـ وطبعا انا شكلى الخارجى .. الحمد لله ..

ـ شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك ..

ويضج بالضحك ..

ـ يا ساتر .. حرام علىك يا ملك . أنا بأشوف نفسى فى المراية ..

ـ لما تشوف الصورة راح تغير رأيك .

ويدخل الصاغ **جمال ربيع** تسبقه رائحة « البارفان » النفاذه ، ويرتدى البدلة « **الملكى** » ، آخر أناقة ، يحيينا ويقول موجها حديثه الى **فؤاد جاسر** :

ـ مش كان أحسن تلبس البدلة يا فؤاد ..

ويرد الملك :

ـ ما كنتش راح أرسمه .

ـ يعنى مش راح ترسمنى يا **ملك** .

ـ ما انا رسمتك ثلاث صور .

ـ كانت بهدوم **السجن** .

ويقول وليم ضاحكا :

ـ واحدة منهم **بالروب** .

ـ كانت هايلة ..

ـ ابدا .. كانت وحشة .. **اوحش صورة رسمتها** ..

ويضحك جمال ..

ـ كل ده بسبب الروب ..

ـ انا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكى » !

ـ البس بدلة « جمهورى » !

ـ ما أنت خلعتها خلاص ..

ويضج الجميع بالضحك . ويقول **جمال ربيع** :

ـ وحياتك يا ملك .. صورة كده سربعه .

ـ فوتوماتون ؟ ..

ـ حتى ولو بالقلم الرصاص ..

ـ بشرط .. الوجه بس .

ونضج بالضحك مرة أخرى ، وتتوالى **التعليقات** :

ـ يا خسارة القيافة دى كلها .

ـ طب ياقة انجاكتة وعقدة الكرافتة ٠
ـ لو بالألوان كان ممكن ٠
ـ الظل والنور يغنى عن اللون ٠
ـ المهم تبقى الصورة مختلفة ٠
ـ وأيه وجه الاختلاف ؟
ـ صورة مسجون ٠ ٠ وصورة مفرج عنه ٠
ـ تعبيرات الوجه ٠
ويتدخل ملك الصحراء قائلا ٠ ٠
ـ اذا كان كده مس راح أرسم ٠
وينزعج **جمال ربيع** ٠ ويقول .
ـ ليه يا ملك ؟
ـ مش شايف أى فرق ٠
ـ ازاى بقى ؟ دى مسألة مهمة قوى ٠ ٠
ـ تبقى تنتظر كام يوم لغاية ما أشوف الفرق ٠
ـ يا ملك بلاش هزار ٠٠ مفيش وقت ٠
ـ استنى شوية ٠ ٠ يمكن أشوف حاجة استحق أرسمها ٠
ـ الله يسامحك ٠٠ مش لاقى حاجة فيه تستحق ترسمها ؟ ٠٠
ـ أنت فاهم قصدى ؟
ـ طبعا ٠٠ طبعا ٠٠ أمامنا وقت ٠
أكثر من ساعة لم يتحرك خلالها **فؤاد جاسر** من جلسته ٠ يهمس قائلا :
ـ نشرب سيجارة يا ملك ٠
ـ وفنجان قهوة « قشطة اليمن » ٠
ـ قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك ٠
ـ كلك نظر يا درس ٠ ٠
ـ قهوة « فلاحين » طبعا ٠
ـ تبقى بتحب الاستاذ **فؤاد جاسر** ٠
ويضحك ولبم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر ٠
ـ أيه الحكاية ٠٠ فهمونى علشان اضحك معاكم ٠

أقوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، ويجلس **وليم اسحق** يتأمل الصورة التى أوشك على الانتهاء منها ٠ تعبيرات وجهه تدل على رضاءه عنها ، وهو نادرا ما يرضى عن صورة يرسمها ٠ أقول لوليم :
ـ أسرع صورة ترسمها يا ملك ٠

ويقول بأســــى :
ـ وربما آخـــر صــورة !
ويقــول فؤاد جاسر بصوته الودود :
ـ ربنا يديك طولة العمر يا ملك ٠
ويرد بأســـى :
ـ مين عارف راح ارسـم فى سـجن « **المحاريق** » **والا لا** ٠ ٠
وأقــول منســجما :
ـ لن نتوقف عن الرسم يا وليـم ٠٠ ثـق ٠
ويــرد بسخرية مريــرة :
ـ أنق فى عجله التاريـخ ٠ ٠مش كـده ؟
ونسود لحظــة صمت تمطعها نبـرات صـوت ولـيم بحمـل الأسف
ـ متأسف يا درش ٠ ٠ انت مش ناقص هموم ٠
ـ وأنت جزء هـام من همومى يا ولـيم ٠
ـ ما هو علشـان كده ٠٠ كان لازم ألم لسانـى :
وأقول ضاحــكا ٠ ٠
ـ طب لـم صـورة فؤاد بقـى ٠
ويعود الى فرشاته وألوانــه ٠ تعبيرات الأسـف ما تزال علـى وجهه ٠ الفرشاه تهتز فى يـده قليــلا ٠٠ يتركها ترتشف رشفه قهـوة ٠ وأقـــول ضاحكــا ٠ ٠
ـ قهـوة « فلاحين » اكسير الحيـاه ٠
يعود الى فرشاته ويمسكها بحيويه ويمزج على « البالتــا » عـددا مـن الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقــول :
ـ سوف يا درس ٠٠ عينك فيها سبه كبير من **عنين فـؤاد** ٠٠
ـ وأيــه اللى بيجمع بينهم يا وليـم ٠ ٠
ـ **صـدق الانســان** ٠
ونسمع أصوات تنـادى على **فؤاد جاسر** ٠ حـان الوقت لسفر المفـرج عنهم ٠ فؤاد لا يتحرك من مكانــه ويظـل جالسا فى صمت ووليـم يواصـل الرسم بهدوء ، وحوار سريــع يدور بين تعبيرات تجسدهـا اللحظــة علــى وجه فؤاد ونلتقطهـــا روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة ٠
ـ أحسن صورة رسمتها فى حياتــى ٠
وينهض **فؤاد جاسر** من جلســته ويعانق **وليــم اســحق** ، يقبله والدموع تجرى على خدوده ٠ وأرى فؤاد يبذل جهـــدا خارقــا للتغلب على انفعالاته ، وأقــول ضاحـكا :
ـ خد بالك يا فؤاد الألوان لســه طريـــة ٠ ٠
وبصعوبة شديدة نسحب **فؤاد جاسر** خارج خيمة وليـم اسـحق كـــى يذهب الى خيمته ليرتدى ملابســه « **الملكــى** » ويأخـذ حاجياتــه ، فموكب

الفـرج عنهم قـد اوشـك على التحرك ٠

وعند **باب السجن** يتجمع كـل الزملاء ليودعـوا اخوانـا لهم **دخـلوا** السجن وهم مختلفـون معهم فى كل شـىء ، وخرجوا منـه وقـد انفقـوا على شىء واحـد ولكنـه أساسـى وجوهرى ، **مساندة الحكم الوطنـى بقيـادة جمال عبدالناصر** ، من أجل مصر أم جميـع الوطنيين ، وحبيبة كـل الشرفـاء ٠

وخارج **أسوار السجن** ، بالقرب منها ، تشـهد صحراء **الواحـات الخارجة** ، مـا لـم تشهده أبـدا عبر الأزمان والعصـور ٠ **صـورة عـدد من الاخوان المسلمين يعانقون** بود **ومحبـة من يختلفون معهم فى الفـكر ، ويجمعهم** حب مصر ٠

متى تشهد القاهره هذه الصـورة ؟ متـى ؟ ٠ بـل متـى يشـهد الوطن العربى كله هذه الصورة ؟ متـى ؟ ٠

وتتحرك العربات تحملهم الى **الحرية** ! وتعود الينـا بعـد أيـام قليلة كـى تحملنـا الى **سـجن الحاريق** ! ٠

اكتب اليك رسالتى المقبلة وانا فى الطريق اليه يا حبيبتـى ٠

٢ اغسطس ١٩٧٧
القاهـرة

تم الجزء الأول

الجزء الثانى ((تحت الطبع))

رقم الايداع ٤٥٩٤/٧٨

الترقيم الدولى ٧ ــ ٥٨ ــ ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »
اول شارع الجيش ــ تليفون ٩٠٨٣١٨
القــاهرة

من الكتاب

قضى المؤلف اثنى عشر عاما فى سجون وليمانات ومعتقلات المملكة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة • وبعد خروجه ظل سنوات اخرى يتامل بعض احداث جيله ••• وفى لحظة صدق مع نفسه سجل هذه التجربة الغنية •

ان رحلة المؤلف فى سجون مصر كما سجلها فى هذا الكتاب لم تكن رحلة حقد على احد •• ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجانين •• لان السجانين ببساطة مذهلة يموتون فى اللحظة التى يقبلون فيها هذا العمل •

ان رحلة هذا الكتاب تؤكد ان سؤال الانسان عن حقه فى الحب امر طبيعى •• وان فهم الانسان لظروف مجتمعه امر عادى جدا حتى وان كان غال الثمن •

والكتاب قد يبدو فى ظاهره مجرد رحلة فى السجون السياسية •• لكنه فى اعماقه رحلة انسان يبحث عن حقه الطبيعى فى الحرية والحب • انه رحلة الاصرار على الحق التى تجعل العذاب الذى يفرضه السجان هو طاقة جديدة ينير بها الانسان ايام المستقبل •

حاول ان تفهم حقك فى حب الحياة والناس بان تقرأ هذا الكتاب اكثر من مرة •

الناشر

